

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

نيابة العمادة لما بعد التدرج

والبحث العلمي

والعلاقات الخارجية

جامعة الحاج لخضر - باتنة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

منهج الشيخ إبراهيم بيوض في عرض الإلهيات

من خلال تفسيره في رحاب القرآن

مذكّرة مقررته لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إشراف الأستاذ الدكتور:

لخضر شايب

إعداد الطالب:

صالح حمدي

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة الأصلية	الدرجة العلمية	إسم ولقب الأستاذ
رئيساً	جامعة الجزائر	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عمار حيدل
مقرراً	جامعة باتنة	أستاذ التعليم العالي	أ.د. لخضر شايب
عضواً	جامعة باتنة	أستاذ محاضر	د. خميس بن عاشور
عضواً	جامعة باتنة	أستاذ محاضر	د. العربي بن الشيخ

السنة الجامعية: 1426.1427هـ / 2005.2006م



الإله - - - داء

إِ والدي العزيزين اللذين غرسا قلا حباً ورسوله، وتلقّيت أو دروساً ياء
أحضا ما، (رب ارحمهما كما ربه - ياني صغ ا)
إِ زوج العزيزة ال غمرته بالسكينة والاطمئنان، وتكبدت معي مشاق البحث، فكانت
ء-ونا وسنداء

إِ إخو وإخوا الذين شدا م أزري، فكانوا الشدائد م-ددا
إِ كل مؤمن غيور، يسعى إ أن تكون كلمة ا هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى
إِ هؤلاء يعا أهدي رة هذا العمل

ص-ا

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله .

لكل من عقيدة الإسلام وشريعته أصول وأركان اكتملت بتمام الوحي، وبإقامة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه هذا الدين، لكن الإنسان المؤمن كم خلافته عمارة الأرض وسياسة الأمم، لا بد له -وهو يؤدي أمانة الأمة- من التجديد، وذلك بإقامته أبنية أخرى يبدعها فوق هذه الأصول؛ هي ثابة الفروع الممتدة منها، كي يواجه المتغيرات والديناميات المتجددة.

كما أن التجديد إما ينهض بدوره الكشف عن جوهر الأصول ومقاصدها - يعلوها غبار الابتداع، فيطمس معالمها بالزيادة أو الانتقاص أو سوء الفهم وفساد التأويل، والتجديد يطال باستمرار مناهج الفهم والإفهام هذه الأصول والأركان، سبب معطيات الواقع ودد الآليات والأدوات، والعقيدة من أمانة الدين بل هي أساسه، ولا شك أن الإيمان بالله تعالى هو الركن الركبي للعقيدة، وأركان الفاعل لعجلة المؤمن بالله. وما كانت المعرفة الإنسانية بناء تراكمياً؛ بل اللاحق فيها على موروث السابق وبواصل، فإننا بحاجة أكيدة إلى التعرف على موروثنا الحضاري المثل الاعتقاد بالله، لنبحث عن الآليات التجديد فيه.

بيد أن المصدر الأول معرفة الله تعالى وتصحيح التصور حوله، وغرس الإيمان به النفس؛ هو كتابه المسمى القرآن الكريم، الذي ما فتى العلماء يعكفون عليه: شرحاً وتدبراً وتفسيراً، ومن هؤلاء المفسرين الذين عملوا على إصلاح النفوس وتطهير العقائد بالقرآن: الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، وبعد اطلاع متواضع على تفسيره وجدت فيه قضايا علمية وطرق منهجية العرض؛ جديرة بالبحث والدراسة، ذلك أن تفسير الشيخ هو تفسير اجتماعي إصلاحية، عرضه على شكل دروس شفوية المسجدة، كان يهدف إلى إيصال

هداية القرآن إكل البيوت، وإكل كافة شرائع التمتع، ومن القضايا الأولى الشك
عناية كبرية نفس ه، قضايا الإيمان بالتوحيد، نظراً لأيتها.

و أجد - حدود علمي- من ث هذا انبأ من نفس الشيخ، فكان
ذلك دافعاً وفرا لاختيار هذا الموضوع للبحث، من أجل كشف آراء الشيخ
تلف مسائل الإيات، وبيان منهجه عرضها، يستفيد منه الباحثون والدعاة
مواجهة ديات العقيدة، وتيارات الشرك والإلحاد؛ لتجدة كل عصر ومصر.
هذا وقد سبقت عدة دراسات وأبحاث، تناولت جوانب عدة من فكر الشيخ بيوض -
شرعية، اجتماعية، سياسية...- من بينها: كتاب الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا
وزعيما، للدكتور مد ناصر، وكتاب الشيخ بيوض المصلح، للدكتور مد ناصر
بوحمام، كما تناولت الباحثة نادية وزناجي أطروحتها للماجستير موضوع: منهج
الشيخ ابن باديس وبيوض النفس.

أما إشكالية هذا البحث فيمكن صياغتها كالتالي: ما هي مواقف الشيخ بيوض
من مسائل الإيات التي كان يبحثها من خلال القرآن الكريم؟ وكيف كان منهج
عرضه؟ وقد حاولت حل هذه الإشكالية من خلال اتباع مناهج متكاملة تفرضها
طبيعة الموضوع وهي:

الاستقرائي والوصفي: لتتبع رأي الشيخ في مسألة الواحدة من خلال نفس ه، عرضه
ووصفه. التحليلي: لتحليل الآراء والمواقف ونقدها. الاستنتاجي: لاستخلاص واستنتاج
قواعد منهج الشيخ الموضوع.

وقد قسمت البحث إلى هيد وأربعة فصول وخاتمة، تطرقت التمهيد إلى
الشيخ بيوض ويزات شخصيته، نفس ه للقرآن الكريم، وأخيراً مذهبه العقدي، و
الفصل الأول تناولت البحث العقدي عند الشيخ من خلال مبحث، الأول مكانة العقيدة
من نفس الشيخ والثاني منهج الشيخ في العقيدة، والفصل الثالث تناولت منهج
الشيخ في بيان وجود التعا من خلال مبحث، الأول معرفة التعا عند الشيخ،

والثالث للاستدلال على وجود التعا عند الشيخ، و الفصل الثالث تناولت منهج الشيخ بيان وحدانية التعا ، من خلال ثلاثة مباحث، الأول حقيقة الوحدانية وأركانها عند الشيخ، والثاني حقيقة الشرك وأقسامه عند الشيخ، والثالث لآثار الإيمان بالوحدانية عند الشيخ، و الفصل الرابع تناولت منهج الشيخ بيان صفات التعا من خلال أربعة مباحث، الأول للصفات الذاتية، والثاني للصفات الفعلية، والثالث للصفات المتشابهة، والرابع منهج الشيخ عرض الصفات.

هذا وقد وضعت أمانة كل فصل أهم النتائج التي توصلت إليها، صحتها يعالجها خاصة البحث، وأردفت كل ذلك بأربعة فهارس، فهرس للآيات وآخر للأحاديث وآخر للمصادر وأخرى أخى فهرس للمحتويات.

وما أن كل بحث يعتمد على مصادر ومراجع، فإن المصدر الأساس الذي اعتمدته بعد القرآن الكريم هو تفسير الشيخ بيوض الموسوم بـ: رحاب القرآن، بيد أنه غير كامل، إذ يعد نصفه الأول مفقوداً، أي من سورة الفاتحة إلى الآية 69 من سورة الإسراء، إذ اعتمد أساساً إلا على الأجزاء المطبوعة منه، إذ غاية وضع خطة البحث، أي من الجزء الأول الذي يضم تفسير الإسراء—بدءاً من الآية 70—، إلى الجزء الثالث عشر الذي يضم تفسير سور السجدة والأحزاب—وهو ما يشكل الربع الثالث من القرآن تقريباً—، ذلك لأن تفسير الشيخ لا يزال طريق الطبع والنشر، حيث ينشر كل سنة جزء واحد منه، وآخر جزء طبع منه يد الآن هو الجزء الرابع عشر، ويضم تفسير سور ياسر والصفات.

إضافة إلى ذلك المصدر الأساس، فقد اعتمدت مصادر ومراجع متنوعة العقيدة والتفسير، للإباضية—مذهب الشيخ—ولغهم، دون أن أغفل الرجوع إلى بعض الموسوعات وأراجع العلوم الكونية، لتوثيق وتأييد حقائق علمية ذكرها الشيخ تفسيره.

أما بالنسبة للصعوبات، فلم أعان إلا من عقبة أساسية، وهي عدم اكتمال تفسر الشيخ طباعة ونشرا -للأسباب المذكورة-، حيث أعت هذا الأمر عقبة سبيل استكناه صورة واضحة وشاملة لآراء الشيخ، ومنهجه عرض مسائل الإيات من خلال كامل القرآن الكر ، خاصة إذا علمنا أن رحلته مع التفسر استغرقت ما يقارب نصف قرن من الزمان، ولعل ا تعا يقبض ذا التفسر بعد اكتمال صدوره، من يواصل دراسة آراء الشيخ بيوض ا موضوع -إن شاء ا -.

وأخ ا إذ أ بي هذا البحث ا تواضع، أ د ا تعا دا كآ ا على منه وتوفيقه، وأسأله حسن القبول وسعة العفو على كل خطأ وتقصر عملي، إنه يع قريب يب. وأتقدم بالشكر ا زيل والدعاء ا الص لكل من ساهم إبراز هذا البحث ا الوجود، وأخص بالذكر أستاذي الدكتور: ضر شايب، الذي حاز فضل إشرافه على البحث، فلم يدخر جهدا توجيهي وإرشادي ا الفكرة السليمة وانهج السديد، فاستفدت كآ ا من علمه و برته، فا أسأل أن يتقبل منه وبجازيه ع أحسن ا زاء.

وا مد الذي بنعمته تتم الصا ات.

السبت 28 ذي ا حة 1426هـ.

28 جانف - ي 2006م

صالح محمد

حمدي

تمهيد

أولاً: سيرة الشيخ بيوض ومميزات شخصيته

ثانياً: تفسيره للقرآن الكريم

ثالثاً: مذهبه العقدي

أولاً/ سيرة الشيخ بيوض ومميزات شخصيته

1/ سيرة الشيخ بيوض¹:

* هو إبراهيم بن عمر بن بابه بن إبراهيم بيوض، وأمّه: عائشة بنت كاسي أولاد عون، ولد - ر هـ - يوم 11 من ذي الحجة سنة 1316 هـ - / 21 أبريل 1898 م دينة الق-رارة م-ن وادي ميزاب، جنوب الجزائر.

* دخل المدرسة القرآنية سن مبكرة، واستظهر القرآن الكر سنة 1911 م - و - ليتج-اوز الثانية عشرة- عند شيخه: محمد بن الحاج يوسف العطاوي، والتحق بعد ذلك لقة "إيروان"²، تدرج طلب علوم اللغة العربية، وعلوم الشريعة الإسلامية.

* من أبرز مشاهير تلف مراحل تكوينه، و ش فنون العلم واية:

1. الشيخ إبراهيم بن عيسى الابركي (1273-1329 هـ - / 1857-1911 م)³.

¹ - اعتمدت الترية الشيخ اراجع الآتية:

* بيوض، إبراهيم بن عمر: **رحاب القرآن (نفس سورة الإسراء)**، مقدمة ا بر: عيسى بن محمد الشيخ با حاج، نشر: ر- عية التراث -القرارة- غرداية، ط2: 1992.

* **رحاب القرآن (الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض)** مهرجان ختم نفس القرآن الكر ، مقدمة محمد بن صا ناصر، نشر عية التراث -العطف- غرداية، ط: 1989.

* محمد بن قاسم ناصر بوحجام: **الشيخ إبراهيم بيوض (اصلاح ا ر)**، مكتبة ا يل الواعد، س-لمطة عم-ان، ط1: 1425 هـ - / 2004 م.

* محمد بن موسى بابا عمي: **الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض**، نشر: الكشافة الإسلامية ا زائرة -القي-ادة العامة واطفة الولائية غرداية، ط: 1417 هـ - / 1996 م.

² - حلقة "إيروان": هيئة دينية ميزاب، تدرج ضمن نظام العزاية، وهي هيئة طلبية العلم؛ ا افظ لكتاب ا .

³ - من علماء القرارة الأعلام، تعلم دينة ا لفة، التحق بعهدا حاج محمد الشيخ بلحاج بالقرارة، عهد الشيخ اطف-يش ب يزجن، وعند عودته إ بلدته القرارة؛ فتح معهدا للدراسات الابتدائية والثانوية، فتخرج منه ا يل الأول للإص-لاح القرارة، منهم ا شاخ: إبراهيم بيوض وإبراهيم أبو اليقطان وقاسم بن ا حاج عيسى الشيخ بلحاج... وقد خلا-ف الابركي-ي شيخه ا حاج محمد الشيخ بلحاج -بعد وفاته- من الوعظ با سجد، فحارب ا هل والفساد و تلف البدع.

-بتصرف- عن: عية التراث: **معجم أعلام الإباضية (قسم ا غرب الإسلامي)** من القرن الأول ا جري إ العصر ا اضر، نشر عية التراث، القرارة-غرداية-ا زائر، طبع دار الغرب الإسلامي، ب وت-لبنان، ط2: 1421 هـ - / 2000 م، ج2/ص26-

2. الشيخ الحاج عمر بن أبي المكي (1275-1339هـ / 1858-1921م)¹.

3. الشيخ عبد الله بن إبراهيم أبو العلا (1300-1379هـ / 1882-1960م)².

و يقتصر الشيخ بيوض على التلمذ النظري على شيوخه، بل كان كثرة اللازمة -م، وك- انوا صونه بهم الشديد، فحظي بتكوين تطبيقي يعزز بتزكية النفس، وتنمية القدرة العقلية، واسمية، فجمع بذلك الأسس الثلاثة للتربية الفقهية: الروح، والعقل، والاسد.

* حب المطالعة والاعتماد على النفس توسيع المعارف (العصامية)؛ ما من أبرزات الشيخ منذ فتوته، وقد كان من رواد نادٍ لشيخه الحاج بك العنق، تمتع فيه سرارة القوم طالعة م-ا يصلهم من كتب وولات؛ من المشرق خاصة، ومتابعة قضايا العالم الإسلامي ومساجد تجددات أحداثه، وعنهما يقول الشيخ: «هذه المسالك كانت تناقش فيها كل مشاكل البلد، وتشرح فيها كل سياسته، فعرفت ما أكن أعرف من أسرار تمتع والإصلاح؛ فتقف عقلي ما أسمع وم-ا أرى، وعلم أساليب النضال، وأرهف حسي، وربما تربية اجتماعية تازة، وكانت هذه المسالك وخدمة الشيخ وملازمته؛ مدرسة عظيمة، استفدت منها ما لا أجده الكتب!»³

* وقد تأثر الشيخ فكره وإصلاحه بشخصيات علمية كثره، لعل من أبرزها شخصية الشيخ

¹ - تلقى تعليمه الابتدائي سقط رأسه القرارة، انتقل إلى غرداية ودرس عند الشيخ بابكر بن الحاج مسعود، أكمل دراسته العليا عند الشيخ المدافيش بيزجن، ورج سنة 1896م، حيث أسس معهداً لتعليم أبناء القرارة شتى العالوم، وكان واعظاً وإماماً له دور التربية وإصلاح ذات البين، ويعتبر معهداً ياباً امتداداً لعهد، إذ أن مؤسسه من كبار طلبته، وعلى رأسهم الشيخ إبراهيم بيوض. تولى مشيخة مسجد القرارة بعد وفاة الشيخ إبراهيم الأبريكي سنة 1911م، وكان يرسل إلى شيخه المدافيش بعثات علمية ابتداء من سنة 1907م، وبعد وفاة شيخه توجهت تلك البعثات إلى جامع الزيتونة بتونس، بدءاً من سنة 1916م. كان عضواً بارزاً الجمعية السرية يزاب، التي تعنى من فروع الجامعة الإسلامية باستنبول خلال الحرب العالمية الأولى. من أشهر تلاميذه: الشيخ إبراهيم أبو اليقطان وإبراهيم بيوض وسعيد شريف (الشيخ ع-دون)...وغ-م. معجم أعلام الإباضية، ج2/ص313-314.

² - ولد القرارة، تلمذ على يد الشيخ إبراهيم الأبريكي، انتقل إلى معهد الحاج عمر بن، وكان ضمن البعثة الأولى إلى قطب الألة الشيخ المدافيش بيزجن سنة 1910م. خلف الشيخ الأبريكي بالعهد سنة 1911م، خلف الحاج عمر بن مدرسا، وبوفاة الأبريكي خلفه الإشراف على تلاميذه النجباء، منهم الشيخ إبراهيم بيوض، وتولى دروس الوعظ المسجد سنة 1921م، وقد ساند الشيخ بيوض حركته الإصلاحية. معجم أعلام الإباضية، ج2/ص264-265.

³ - دبوز، مد علي: أعلام الإصلاح الزائر، مطبعة البعث، قسنطينة- الجزائر، ط1: 1394هـ / 1974م، ج2/ص153.

المد بن يوسف اطفيش (1237-1332 هـ / 1821-1914م)¹، فكان يعده آية التحقيق، ويعتد العمل التربوي والإصلاحي الذي قام به مكملًا لمدته، وقد تأثر كذلك بالإمام المد عبده (1266-1323 هـ / 1849-1905م)²، وتبنى منهجه التفك والتفس.

* كما كانت للشيخ مراسلات مع شخصيات لية ووطنية وإسلامية، تربطه وإياهم روابط طلفة علمية وفكرية وسياسية. فقد كان يرسل علماء العال الإسلامي، منهم: الشيخ مصطفى

¹- أشهر عال إباضي با غرب الإسلامي العصور اديثة، من عائلة شهرة بالعلماء من يسجن، تلقى مبادئ العلوم من عدة مشايخ ميزاب، ر عن ساعد ا د والتحصيل بعزة لا تعرف المل، فنشأ عصاميا، يسافر للدراسة خارج موطنه، وجعل دأبه ا رص على اقتناء الكتب واستنساخها، فتجمعت لديه مكتبة غنية، تعد فريدة عصرها بالنظر إ ظروف صاحبها، وبعده عن مراكز العلوم والعمران. وما كاد يبلغ السادسة عشرة، ح جلس للتدريس والتأليف، ولما بلغ العشرين أصبح عال وادي ميزاب، بلغ درجة الاجتهاد ا طلق كهولته، كما يذكر ذلك بنفسه. أنشأ معهدا للتدريس ب يسجن، رج فيه علماء ومصلحون واهدون، انبثوا أقطار ا غرب والعال الإسلامي، له منهج التدريس يعتمد على استغلال الوقت، والتركيز التلق. تستمر دروسه طيلة أيام الأسبوع، من الضحى إ الزوال، إلا يوم ا معة، يزيد دروسا مساء بعد العصر. وكان غزير ادة، طويل النفس، متفانيا العلم، يدرس أحيانا أحد عشر درسا تلقا اليوم الواحد. وبلغ عدد تلاميذه العشرات، من أشهرهم: إبراهيم اطفيش، أبو إسحاق: نزيل القاهرة العال اقق، وإبراهيم بن عيسى أبو القبطان: رائد الصحافة العربية ا زائر، والشيخ أ د الرفاعي من ادينة انورة، وغهم كهم من بلغ اشيخة. ومن أهم آثار الشيخ اطفيش تأليفه ا أة ا ا مكتبة الإسلامية، كما ونوعا، فقد عدها بعضهم وقال: إا تبلغ الثلاثة مؤلف، ما ب كتاب ورسالة، لت تلف فروع اعرفة، انقول واعقول من بينها: «تيس التفس»: طبع مرة، وبعاد طبعه الآن بتحقيق الشيخ إبراهيم طلاي، وهو آخر ثلاثة تفاس للقرآن؛ أ زها حياته وأها، إذ كتبه بعد نضجه العلمي.

• «شرح عقيدة التوحيد»، لعمر بن يع، (مط).

• «شرح كتاب النيل وشفاء العليل»: موسوعة فقهية جامعة لآراء اذاهب الإسلامية، يقارن فيها ب الأقوال بروح متفتحة، ويرجح ما يراه با حة والدليل، وأصبح هذا الكتاب معتمد الإباضية الفقه، وبواسطته تعرف العال الإسلامي على الفقه الإباضي، واعتمدته ان موسوعات الفقه الإسلامي مصر والكويت. **معجم أعلام الإباضية**، ج2/ص399-405.

2- أحد رجال الفكر الإسلامي النابغ مصر، وعا من علماء الأزهر ومف الديار اصرية، كـان خـب ا بالشـربعة ومقاصدها ودارسا جيدا للقانون، حاول أن يضع تفك اسلم خط انسجام مع اكتشفات العلمية وطـروف العصر اديثة، وكان يدعو إ رير الفكر من قيود التقليد، كان صغره من أتباع افكر ال الدين الأفـالـا الذي نـاـدى بالصحة العاية للقوى الإسلامية، وقد أصدر معه باريس جريدة العروة الوثقى، وقد اشتغل بالتدريس والتـأليف، مـن مؤلفاته: تفس غ كامل للقرآن الكر، رسالة التوحيد، شرح ج البلاغة، الإسلام والرد على منتقديه. وقد عـ تلميـذه مد رشيد رضا؛ آثاره كتاب: تاريخ الأستاذ الإمام. مؤسسة أعمال اوسوعة للنشر والتوزيع: **اوسوعة العربية العاية**، الرياض-السعودية، ط2: 1419 هـ / 1999، مج16/ص107.

الزرقاء (الأردن)، والشيخ موسى الصدر (إيران)، والشيخ علي بي امعر (ليبيا)، والشيخ -زة الرفاعي (الدينه انورة)، والشيخ عز الدين بليق (لبنان)، والشيخ أ د - د ا ليل-ي (س-لمطنة عمان)، والزعيم سليمان باشا البارو (ليبيا) ... وغ هم.

وكانت له مراسلات مع رجال عية العلماء اسلم ا زائري ، مثل رئيسها: الشيخ ع-د ا ميد بن باديس، والشيخ الطيب العق ، والشيخ البش الإبراهيمي، وكانت له علاقات يمة با فكر الراحل مولود قاسم نايت بلقاسم.

وأكثر اتصالاته -بعلماء ميزاب- كانت بالشيخ عدون (شريف سيدي)، والشيخ أ اليقطان¹، والشيخ مد علي دبوز²، والشيخ عبد الر ان بكلي، وشاعر الثورة مفدي زكرياء ...

* سنة 1921م ا الشيخ من وباء (التيفيس) الذي حصدا ثات من الأنف-س الق-رارة، وأصاب الأمة بة من علمائها، فكان من بينهم شيخه ا اج عمر بن ي؛ الذي لازمه ملازمة مستمرة بعد وفاة شيخه الابريكي، فوجد الشيخ بيوض نفسه الصف الأول، و كان ش-اغرا، فما كان من ابن العشرين ربيعا فقط؛ إلا أن مل الأمانة بإخلاص، وتلقف راية الإص-لاح بشجاعة، واستطاع لنبوغه أن يدخل عضوا حلقة "العزابة"³، سنة 1922م، انتخب رئيسا ا بعد ذلك سنة 1940م.

¹ - إبراهيم بن عيسى دي أبو اليقطان، (1306-1393هـ/1888-1973م)، من العلماء الأعلام القارة يزاب، وف-ف إ جانب الشيخ بيوض بداية مراحل حركته الإصلاحية، وعمل على تطوير التعليم عهد ا ية الق-رارة. ك-ان م-ن الأعضاء الإداري اؤسس معية العلماء اسلم ا زائري . ية شيخ الصحافة ا زائري ا هدة، أصدر ا جرائد وطنية إسلامية باللغة العربية، فيما ب : 1926-1938م، أسقطها الاستعمار الفرنسي الواحدة تلو الأخرى. من آثاره الفكرية حوا 60 عنوانا؛ ب كتاب و ث ورسالة، تلف الفنون، من بينها: "سلم الاستقامة" الفقه، (7 أجزاء)، "سليمان باشا البارو " (جزءان)، "الإسلام ونظام اساجد وادي ميزاب" (مخ)....وغ ها. معجم أعلام الإباضية، ج2/ص27-29.

² - مد علي دبوز (1337-1402هـ/1919-1981م) أديب ومؤرخ، تلقى تعليمه الابتدائي سقط رأسه "بريان" انتقل إ القارة ليزاول دراسته الثانوية عهد ا ية، على يد شيوخه: بيوض وعدون وغ ا، التحق امع الزيتونة بتونس، وبعد ذلك امعة القاهرة صر؛ حيث صص دراسة التاريخ والأدب وعلم النفس. عاد إ ميزاب عام 1948م مدرسا عه-د ا ية، الذي قام بتطوير برا ه الدراسية. وقد برز الشيخ ال التأليف، ومن أعماله: - تاريخ ا غرب الكب (3 أ-جزاء) - صة ا زائري ا دية (3 أجزاء) -أعلام الإصلاح ا زائري (5 أجزاء). معجم أعلام الإباضية، ج2/ص387-389.

³ - "العزابة" هي ا ية العليا مشرفة على الشؤون الدينية والاجتماعية ا تمع ايزا ، وهو نظام خاص بإباضية ا غرب الإسلامي. وللتوسع التعريف لقة العزابة ودورها؛ انظر: مد صا ناصر: حلقة العزابة ودورها -بناء ا تم-ع اسجدي، نشر عية التراث - القارة.

* وما لبث أن برزت شخصيته هذه المقة، حـ كُلف مهمة التدريس والوعظ والإرشاد باسجد، ومن ثم توجه إلى الإصلاح الديني والاجتماعي، فكان على الشاب اُتحمس -ال-ذي آمن بأفكار مد عبده الإصلاحية، ورأى مآسي ا مود الفكري، والتزمت ا قيت، والتعصب -ب الأعمى للآباء والأجداد- أن بدأ بإصلاح ا بيئة الدينية، مقاومة التقاليد البالية ورافات السائدة تمعه آنذاك.

* وقد أدرك الشيخ -سه الإصلاحية، واطلاعه على ا ركات الإصلاحية العا الإسلامي، أنه لابد من وضع خطة عملية طويلة النفس، حول اسجد إ منارة إشعاع، وتشد أنظار اسلم فتجتمع القلوب حوا، لتمدهم بالنور يع مناحي حيا م الدينوية منها والأخروية، فما كان من الشيخ -كما يصفه مد ناصر-: «إلا أن حول اسجد إ (جامعة شعبية)، لا يقتصر فيها -ا على الوعظ والإرشاد وحد ا، وإا يقدم فيه أطايب ا معرفة الإسلامية؛ مبسوبة على مائدة القرآن الكر وسنة الذ مد (صلى ا عليه وسلم)»¹.

* إ جانب اهتمام الشيخ باسجد؛ اهتم بالتربية والتعليم أيضا، فأعطا ا كل ما ملك م-ن جهد ووقت، ولذلك حرص على إنشاء حركة تربوية؛ مع إ أصالة ا بادئ، حداثة الوس-ائل، فأسس معهد الشباب -معهد ا ية للتعليم ا توسط والثانوي- يوم: 18 شوال 1343 هـ - / 21 ماي 1925م، رفقة أعلام لمص، من أمثال: الشيخ أ اليقطان إ-براهيم (1306-1393 هـ - / 1888-1973م)، والشيخ شريفي سعيد بن بلحاج "الشيخ عدون" (1319-1425 هـ - / 1902-2004م) -الساعد الأ ن للشيخ بيوض-.

وكان من رات هذا ا عهد أن رج منه -وما يزال- أفواج متعاقبة من الطلاب، فيهم العلماء والأطباء واهندسون والكتاب والشعراء والأساتذة الذين انبثوا أ اء القطر ا زائري وخارجة. * ومن ب أهم عوامل تكون الشيخ بيوض؛ تدريسه لعدة كتب اسجد واههد، من ه-ذه الكتب:

1. رسالة التوحيد، للعلامة مد عبده.
2. مسند الإمام الربيع بن حبيب ا ديث.

¹ - الإمام الشيخ إبراهيم بيوض، رهاب القرآن (مهرجان ختم نفس القرآن الكر) تقد: مد صا ناصر، نشر- رعية التراث، العطف - غرداية، 1989، ص 6.

3. فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ لابن حجر العسقلاني، والذي درسه أسجد - دة أربعة عشر عاما، ما كون فيه ملكة حديثة.
 4. كتاب طلعة الشمس أصول الفقه، للعلامة عبد الله بن يوسف السائي العما، ما مكنه من معرفة استنباط الأحكام.
 5. كتاب النيل وشفاء العليل الفقه، للشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثمري، ما مكنه من الاطلاع على تلف أبواب الشريعة.
 6. كتاب مغ اللبيب اللغة، ما قوى فيه رصيده اللغوي، ودربه على توظيف قواعدها نفسه لكتاب .
 7. كتاب دلائل الإعجاز البلاغة، للشيخ عبد القاهر رجا، دة س - سنوات، ما مكنه من استخراج وتذوق الأسرار البلاغية القرآن.
 8. كتاب الأما الأدب العر؛ لأ علي القا، دة إحدى عشر سنة.
 9. كتاب السلم انطق؛ للشيخ عبد الرحمن الأخصري، ما كون فيه توظيف العقل انطقي تقبل الأحكام وبثها.
- * ومن عوامل تكون الشيخ بيوض أيضا تتبعه للأحداث عن كـ ب؛ باس - تماعه الي - ومي مختلف الإذاعات، خاصة إذاعة لندن (BBC)، وبواسطة اهتمامه بالصحف والدوريات واللات مختلفة؛ ال كانت تصدر من زائر وتونس ومصر ... ومن بينها:
- الرسالة: للشيخ أحمد حسن الزيات.
 - الفتح والزهاء: للشيخ ب الدين طيب.
 - انهاج: للشيخ إسحاق اطفيش.
 - الفاروق: للشيخ عمر بن قدور زائري، وكذا
 - لمة العر، اتمع، الأهرام ... وغها¹.
- * سنة 1931م شارك الشيخ بيوض تأسيس جمعية العلماء المسلم زائري، وانتخب عضوا إداريا، وقد أسندت إليه مهمة نيابة أمال.
- * سنة 1937م أسس " جمعية الحياة"، رائدة النهضة العلمية والإصلاحية الحديثة بالقرارة.
- * دخل معترك الحياة السياسية؛ بعد خروجه من الإقامة الجبرية بالقرارة، وال فرضها عليه استعمار الفرنسي سنة 1940م، دة أربع سنوات، إثر رخصات من الشيخ؛ شديدة اللهجة ضد

¹ - للتوسع هذا العامل، انظر: مد علي ديوز: **أعلام الإصلاح** زائر، ج/2 ص 161-162، ج/3 ص 79-81.

الظلم والظلم .

* و سنة 1948م كان عضواً في إغاثة فلسطين ، وكان من بين الأربعة أعضاء على برقيات ورسائل التأييد -باسم اللجنة- ، وهم: الشيخ البشير الإبراهيمي، الشيخ إبراهيم بي-وض، الشيخ الطيب العقدة ، فرحات عباس.

* و ذات السنة، انتخب نائباً لدائرة غرداية لمس الزائري، وقد تصدى هذا المجلس للدفاع عن قضايا الإسلام والعربية والوطن؛ كما أعيد انتخابه للمنصب نفسه سنة 1951م.

* أسهم بقسط وافر في حرب التحرير الزائرية، برأيه ومساعدته، فكان دور الناشط الثوري ببلدته يديره بنفسه مباشرة، وبواسطة أبنائه الشباب من تلاميذه، لذلك استقبل جنود جيش التحرير وضباطه، وإيواءهم، ومع الأسلحة والتموين، وإيصال ذلك إلى تلك المراكز -ز الثورة بالشرقية والشمالية.

* وقد قام بدور بطو فعال إحياء مؤامرة فصل الصحراء عن الزائر؛ إلى دبر فرنسا -لتمزيق الوحدة الزائرية، فقد وقف الشيخ معارضا لتلك المؤامرة -رغم الإغراءات والتهديدات-، فكان الفضل يعود إليه الإبقاء على وحدة التراب الوطني ، والشعب الزائري.

* 19 مارس 1962م، وبعد إيقاف القتال -إثر مفاوضات إيفيان- عين عضواً في اللجنة التنفيذية المؤقتة، وأسندت إليه مهام وزارة التربية، وبقي هذا المنصب إلى يوم تسلم السخط للحكومة سبتمبر 1962م.

* سنة 1963م -وبعد مرحلة من الانقطاع- بعث الشيخ " لمس عمي سعيد" الذي تولى أكرهية دينية واجتماعية وادي ميزاب، تمتع فيه بثلاثين العزابة دن ميزاب ووارجلان، للنظر مستجدات تمتع، وللإفتاء النوازل ... وقد انتخب الشيخ رئيساً لهذا المجلس غاية وفاته.

* من تراثه الأدبي نفسه مسجل لأكثر من نصف القرآن الكريم ، أشربة عية، ودروس قيمة -مسجلة- مناسبة دينية واجتماعية وسياسية، وفتاوى وأجوبة طوطة عن أسئلة فقهاء وعلمية، إلى جانب مراسلاته ذات الطابع العلمي، ومقالاته الرائعة صحافة أليقظان على الصوص، وأطب الكثرة تلف المناسبات.

* غربت في الشيخ بيوض عن أفق العالم الإسلامي؛ مساء الأربعاء 08 ربيع الأول

1401هـ - / 14 جانفي 1981م، عن عمر يناهز 83 سنة، رحم الله الفقيد رة واسعة، وأسـكنه فسيح الجنان، آم .

2/ بعض يزات شخصية الشيخ بيوض:

لقد اجتمعت الشيخ بيوض عدة خصائص و يزات، فطرية ومكتسبة، أهلتها لتبـوء تلك المكانة العلمية والإصلاحية الحظيـة، وجعلته عالـمـاً مجدداً في مهيبا، مسموع الكلمة، مؤثراً القلوب والعقول على حد سواء، ولعل أبرز تلك الصائص ما يلي:

(أ) كان خطيباً فصيح اللسان، سواء كان يـطـب بالعربية الفصحى، أم بالعربية الدارجة، أم باللهجة الـيزابية الـلمية¹.

(ب) حباه فطنة شديدة، وذكاء وقاداً، ودقة الملاحظة وإدراك خفايا الأمور، عله يرى الكلمة الـيد الـفـو وسبها الناس غـ ذات قيمة - يرى فيها دلالات جمـة².

(ج) إ جانب فصاحته وذكائه، كان ذا حافظـة قوية، وخاطرة حاضرة، تغرف الاستشهاد من مع الكتاب والسنة، وتستمد من الأمثال واـكم والأشعار، ومن خلاصة آربه الـيد الـمعاشرته للناس، ومطالعاته الكثـة الـتنوعة³.

(د) كان بارعاً التحليل، والإفاضة الكشف عما في عن الإنسان البسيط، وكان يقارع الـجة بالـجة، فيتبع الـجج الـيتمسك الـالرأي الآخر، ويرد عليها كمة ومنطـق سـليم⁴، سواء كان هذا الآخر أضـرابه من العلماء -القدامى واـدثـ، أو افسدين واـغرض .

(هـ) كما أو قدرة على بسط الـوضوع ونشره، وعلى الاسترسال التفس والتوضـيح⁵، «وقد يستمر به اقام خطيباً أو واعظاً، عدة ساعات لا يتلجلج له لسان، أو يضعف له صـوت، والناس أمامه يتابعونه بإعجاب لتدفقه البلاغي، وسعة علمه، ووضوح طريقته»⁶، بل قد يستغرق ليل الـوضوع الواحد؛ أياما عديدة بدروس متواصلة، مثل موضوع الـجرة النبوية ومغازيها، إذ

¹ - مد ناصر: رهاب القرآن، ص 8-9، مد ناصر بوحجام: مرجع سابق، ص 25.

² - (م.س)، ص 24، عيسى الشيخ بلحاج: مرجع سابق، ص 26.

³ - مد ناصر: رهاب القرآن، ص 9.

⁴ - مد ناصر بوحجام: مرجع سابق، ص 24.

⁵ - (م.س).

⁶ - مد ناصر: رهاب القرآن، ص 09.

ألقى فيه حواثية دروس، و ليل حادث صلح اديبية، ألقى ستة عشر درسا -تقريباً-¹.
(و) كان مع إ أصالة مبادئه وثقافته الإسلامية الواسعة، تفتحاً وديداً أفكاره، فكان من أبرز صفاته؛ متابعة الأحداث الوطنية والعالية عن قرب، وذلك حرصه على رؤية الـ دوريات، واقتنائه ما ينشر على الكتاب، من كتب جديدة².

(ي) كما كان قُت التعصب اذه³، وبدعو إ وحدة السلم وتكاتفهم خدمة مبادئ دينهم وأصوله، وإن تعددت مذاهبهم الفروع، يقول مد ناصر: «وأحسب أن حرص الشيخ بيوض أن يعل من اسجد مدرسة؛ تربي السلم الصحيح، وتنقي عقيدته من التعصب اقيـت، والنظر الضيق، هو الذي دفع به إ شرح صحيح البخاري مدى أربعة عشر عاماً، فقدم بذلك الدليل العملي، > اوز بعض الذين يقفون عند حدود الكتب اذهبية لا يتعدوا»⁴.

ثانياً/ تفسيره للقرآن الكريم

1/ رحلته مع النفس :

كانت للشيخ بيوض رحلة -روحانية وعلمية- متميزة مع القرآن الكريم، فقد أ حفظه وهــ و ابن الثانية عشر، وجلس للناس يفسره -معتمداً على تفسه البيضاءي بداية- وهو ابن العشرـرين ربيعاً⁵، وعاش مع تفسه هـ زهرة شبابه، و ام نضج عقله و ربه، > اختتم رحلته اباركة عند خريف العمر؛ فُبل وفاته ببضعة أشهر فقط.

ولنترك قلم مد صا ناصر⁶؛ يصف لنا بوصف بليغ وموجز، رحلة شيخه بيوض مع التفسه، حيث يقول: «كان اللقاء الأول للشيخ مع كتاب ا مفسرا سنة (1921م) وهو ما يزال شاباً

¹ - مد ناصر بوحجام: مرجع سابق، ص 24-25.

² - مد ناصر: رهاب القرآن، ص 09.

³ - مد ناصر بوحجام: مرجع سابق، ص 26.

⁴ - مد ناصر: رهاب القرآن، ص 07.

⁵ - مد بابا عمي: مرجع سابق، ص 16.

⁶ - «الدكتور مد صا ناصر، أحد تلاميذ الشيخ البارزين، ومن رواد الأدب العربي المعاصر، ومؤسس جمعية التراث، درس معهد اياة بالقرارة و جامعة ا زائر، و معهد القضاء الشرعي بسلطنة عمان، له عدة مؤلفات ودراسات»، ارجـع: مد بابا عمي: (م.س)، هامش ص 16، مد ناصر بوحجام: مرجع سابق، هامش ص 13. والدكتور مد صا ناصر يدرس حالياً كلية اناار للدراسات الإسلامية با زائر العاصمة.

العشرين من عمره، > جلس إ الناس يفسر القرآن، معتمداً ذلك على تفسر البضاوي، انتقل أواخر العشرينيات إ تفسر الشيخ "مد عبده" الذي كان يعجب نهجه الإصـلاحي إعجابا كبا، فاعتمد تفسر ه زء "عم يتساءلون"، و تكن طريقته عندئذ واضحة متسلسلة، إذ كان مشغولاً بالعمل الإصلاحي، وبالتعليم وإعداد ا يل لتحمل رسالته الإصلاحية والتربوية.

> إذا كان يوم السبت فاتح ا رم ا رام من سنة (1353 هـ) ا وافق للسادس من ماي سنة (1935م)، قر منه العزم على بداية التفسر من أول (البقرة) بطريقة متسلسلة، منتظمة، متتابعة.

وكان تفسر ه عبارة عن دروس عامة تلقى مسجد (القرارة)¹، أمام عامة الذـاس أسـاتذة وطُلابا، مثقف وأمي، رجالاً ونساء، صغاراً وكباراً، وكان الوقت اُخصص هذه الدروس مـا العصرين، يلقيها باللغة العربية الفصحى مع شروح تداخلها اللهجة ايزابية الية أو اللغة العربية الدارجة، رغبةً منه إيصال رسالة القرآن إ كل قلب، وإبلاغ إشعاع ادى الربا إ كل بيت.

و ما أن مدينة القرارة -وهي ت الاحتلال الفرنسي مثل بقية القطر ا زائري- تعرف النور الكهربائي إلا سنة (1958م)، و ما أن الناس يتفطنوا إ الآلات الكهربائية فإن الدروس الكهاها قبل سنة (1961م) تحظ بالتسجيل الصو، لأن الناس يعرفوا آلات التسجيل، أو هم يهتدوا إليها إلا هذا التاريخ.

ومن هنا، فإننا نسجل -والأسف ملء ا وانح- أن تفسر الشيخ من أول سورة البقرة إ قوله تعا: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر) الآية سبع من سورة الإسراء، يعـد مفقوداً فقداناً كلياً، اللهم إلا ما سجله بعض الطلاب متاثراً دفاترهم هنا وهناك، وهو لا يقدم صورة حقيقة عن تفسر الشيخ على كل حال.

وهكذا فبداية من يوم السبت 23 صفر 1381 هـ ا وافق للخامس من شهر أوت 1961م، بدأ التسجيل الصو لتفسر الشيخ؛ بداية من قوله تعا "ولقد كرمنا بني آدم"...

وهكذا دأب الشيخ على التفسر تهذا، مواظباً، لا يشنيه عنه إلا عائق من سـفر، أو مـرض، أو

¹ - القرارة -مدينة الشيخ ومسقط رأسه- هي إحدى مدن وادي ميزاب السبع، تقع جنوب ا زائر، وتبعد عن غرداية عاصمة ميزاب ومقر الولاية بـ 116 كلم، ويذكر اؤرخون أن تاريخ نشأة القرارة يعود إ سنة 1040 هـ. -أما اذن الأخرى فهي: العطف، مليكة، غرداية، بـ يسجن، بنورة، بريان.

انشغال مهمة من مهمات البلاد والعباد، وحقت به عناية ا تكلؤه قرابة ست سنة، وهو يحا-ق رحاب القرآن الكر ، ويغوص ار علومه اللدنية، واعطا مرشدا، موجهها مريد-ا، جامع-ا موحدا، إ أن ختمه بسورة الناس بعد صلاة العشاء، من يوم الثلاثاء 26 ربيع الأول 1400 هـ- اوافق ل- 12 فيفري 1980م.

وقد أقامت ا زائر حكومة وشعبا؛ مهرجانا عظيما مدينة القرارة، تتوالى هذه السمة النورانية، و ليدا هذه المناسبة العظيمة ال حضرها ع غف من العلماء والفضلاء، وكان ذلك يوم ا معة التاسع من رجب سنة 1400 هـ- ، اوافق ل- 23 ماي من سنة 1980م. وكان ا هرجان مش-هدا عظيما، يكرم فيه كتاب ا و لمة كتاب ا ، ومفسر كتاب ا ¹.

وكان ا قدر أن ينهي مسمة الشيخ الدنيوية ذا الإكرام، فلم يعيش بعدها سوى سبعة أشهر، أسلم الروح عندها لبارئها > تلقى ا زاء الأخروي ا الد جنات النعيم بر ته ورض-اه إن شاء ا ² إ ه- كلام مد ناصر.

بعد هذه الرحلة ا باركة للشيخ بيوض مع القرآن، قبض ا لتفسه ا سجدي الشفوي؛ م-ن مل - بإخلاص- هم إخراجهم من الأشرطة السمعية و ريره دفاتر مقروءة، ومنها عرف طريقه إ الطباعة منذ سنة 1992م أجزاء متتابعة بدءا من تفس سورة الإسراء، وآخر جزء نشرته معة التراث بالقرارة هو ا زاء الثالث عشر الذي يضم تفس سور ³: سبأ وفاطر، وذلك رمض-ان 1425هـ- /2004م، و ا رر ذا التفس هو أحد تلاميذ الشيخ النجباء: الشيخ عيسى ب-ن م-د الشيخ بلحاج ³ -حفظه ا - أستاذ اللغة العربية عهد ا ياة.

2/ خصائص منهجه التفس :

لقد تصافت شخصية الشيخ بيوض وتفسه ه عدة خصائص منهجية، جعلت منه مفس-را متميزا، ومؤثرا بيئته ا لية ا يزية، والوطنية عموما، وكن أن مل أبرز ا صائص النقاط

¹ - وقد طبعت معة التراث كتابا وي ب دفته الكلمات ال ألفت با مناسبة، ت عنوان: " رحاب القرآن"، إء-داد: مد صا ناصر.

² - تفس سورة الإسراء، مقدمة مد صا ناصر، ص 6-8، وللتوسع رحلة الشيخ مع تفس القرآن انظر: دبوز: أء-لام الإصلاح ا زائر، ج3/ ص 124 وما بعدها، وكذا كتابه: ضنة ا زائر ا دبنة ونور ا باركة، ا طبعة العربية، غرداية - ا زائر، ط1: 1969م، ج3/ ص 71 وما بعدها.

³ - معرفة مراحل إعداد هذا التفس محررا، انظر: مقدمة تفس سورة الإسراء: ص 8-21.

*** ااصية الأو :**

كان الشيخ رجلا قرآنيا ق، أحب كتاب ا ، وحفظه صدره حفظا راسخا منذ طفولته، لا يظفر بسعادته إلا تلاوته؛ ولذا داوم عليه العمر كله: قراءة وتدبرا؛ اتباعا وتبليغا، يقول تلميذه اؤرخ؛ مد علي دبوز عنه: «كان الشيخ بيوض قرآنيا، لا د نشوة نفسه، و جة خاطره إلا القرآن، إذ كان يتلوه ويتدبر معانيه. وكان يتلوه من ا صحف، ويتلوه من حافظته-ه، ويتلوه-ه لمس التلاوة اسجد، وكان يفزع إ القرآن وحدته مرضه، فيتلوه من حافظته، فتطول تلاوته، لا يتعب ولا ل، لانتشائه به»¹.

فبامتزاج القرآن بعقل الشيخ ووجدانه -حيثما حل و أي وقت كان- أو س-جية وق-وة ذهنية على استحضار الآيات المناسبة، الوقت المناسب، للموضوع الذي هو بصدده، سواء كان درس نفسه أو غ ه، لغرض الاستشهاد، واستقراء الباحث لنفسه الشيخ أحسن دليل على ذلك.

وقد وصف مد علي دبوز أثر تلك ا ااصية على الشخصية العلمية لشيخه بقوله: «إنه ل-ولا حفظه للقرآن كله، وتدبره الدائم له، ما عرف معانيه، وما تداعت آياته نفسه؛ فيتذكر الآيات الكثيرة موضوع ما يفسره»². كما أوعز مد دبوز الاستعداد النفسي عند شيخه لنفسه كلام ا ، إ أدواته الفطرية واكتسبة ال أهله لذلك، فقال: «وكان الشيخ بيوض بفصاحته النادرة، وزكائه الوفا، وطبعه الأد ، وسعة علمه العربية والشريعة، ومعرفة-ه ب-ا تمع وأمراض-ه، وبالنفس البشرية وخصائصها، كان هذه القوى و هذه الأدوات مستعدا كل الاس-تعداد لنفسه-كتاب ا»³.

*** ااصية الثانية:**

كان الشيخ قد رسم هدفا واضحا ددا، لنفسه ه كتاب ا تعا -وه-و مقص-د الق-رآن ومنهجه- وهو هداية النفوس، كما جاء آيات كثرة؛ كقوله تعا : (ونزلنا عليك الكت-اب

¹ - دبوز: أعلام الإصلاح، ج3/ ص 131.

² - دبوز: هنة ا زائر ا دينة، ج3/ ص 76. وانظر أيضا: أعلام الإصلاح، ج3/ ص 131.

³ - دبوز: هنة ا زائر ا دينة، ج3/ ص 72.

تبييناً لكل شيءٍ وهدى ورحمةً وبشرى^١ (المسيلم) (النحل: 89).

فمن منطلق القرآن؛ يكن الشيخ يفسره تقليدا للعلماء، ولا مفاخرة للناس، إما كان يقصد ذيب النفوس بأخلاق القرآن، وتطهيرها من العقائد الزائفة، وترسيخ العقيدة الصالحة فيها، وإصلاح المجتمع ونظمه، تثقيف العقول بثقافة القرآن وعلومه^٢.

يقول الشيخ بيوض عن مقصد القرآن -الذي انتهجه هو- نفسه هـ: «والقرآن كما هـ. و معروف عنه؛ أنه كتاب هداية وإرشاد، و ذيب للنفوس، ودعوة للناس إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، وهذا هو المقصد الأول من القرآن الكر ، وما قصص القرآن وأحكامه وأوامره ونواهيها، إلا وسائل لتحقيق هذا»^٣.

ويقول مددبوز عن مقصد شيخه: «إن غرض الشيخ من النفس؛ هو مراد من كتابه هـ: إصلاح النفوس، وتثقيف العقول، وتنظيم المجتمع، وخلق النهضة الصحيحة المسلم^٤!». وكان من أهداف الشيخ من نفسه هـ: إرباء الأعداء الذين يتربصون به و بركة الإصلاح، دوائر السوء، سواء منهم المستعمرون أو أذنابهم من العملاء المفسدين، أو الممدون -من أبناء جلدته هـ- الذين قبعوا على مآث الأجداد، وناووا كل جديد وكل ذلك من أجل ألا تغترم العامة، يقول مد علي دبوز عن شيخه أنه «يرى القرآن أكل سلاح يجهز به على خصوم النهضة وأعداء الدين... وكان الشيخ درس النفس، يهجم على الممدين أعداء النهضة في رد دعهم إلى تضر الدين، وودهم الذي يضر المسلم، وينقص على الاستعمار وأذنابه هـ، ويهدد إبادهم وعدواهم للدين، وإضرارهم بالمسلم، فتراهم العامة على ضوء القرآن نكرهم؛ فتنبذهم -وقد كانت مغلطة- فينضمون لترددون إلى زمرة الإصلاح، ويكونون من حزب اله»^٤.

* اضية الثالثة:

كان الشيخ -ر هـ- يرى أن فهم القرآن وتدبره حقاً وواجباً على عموم الناس، وإيسر حركاً على العلماء أو الطبقة المثقفة فحسب، لأجل ذلك كان نفسه هـ -كل دروسه شفهية

^١ - دبوز: هنة الزائر الدينية، ج3/ ص 73-74.

^٢ - نفس سورة الفصص: ص 92.

^٣ - دبوز: هنة الزائر الدينية، ج3/ ص 75.

^٤ - (م.ن)، وانظر أيضاً دبوز: أعلام الإصلاح، ج3/ ص 124.

يلقيها اسجد-بيت ا - يتحدث فيها بلغة وبلهجة خطابية يفهمها كل عم-ار اس-جد ورواده، صغارا وكبارا، رجالا ونساء، مثقف وأمي، رغبةً منه «إيص-ال الفهم-م إ-ي-ع طبقات ا تمتع، وهو عبء ثقيل جدا، وبه امتاز عن سائر افسرين الذين اطبون طبقة معينة من الطلبة حلقات التدريس، أو الذين لمسون إ مكاتبتهم اطبون بكتاب-ام العق-ول اثقفة ا تعلمة»¹.

فكان درس تفسد الشيخ ثلاثي اللغة، يلقيه بالعربية الفصحى، زوجة باللهجة ايزابية الملية، وبالعربية الدارجة. ويتفاوت استعماله للميزابية؛ حسب تفاوت الموضوعات، خاصة الاجتماعية والمثلية ال هي ألصق با تمتع من غها².

كما كانت جة خطابه قوية رائعة، يشعر فيها ا تمتع حرارة وجدانه اتقد، واهتمامه الشديد ا يقول، أضف إ ذلك تدفق حديثه أثناء الدرس-من غ توقف ولا تعثر- لقوة فصاحته من جهة، وحسن إعداده للدرس من جهة أخرى، كل أولئك عوامل جعلت النفوس تصغي إليه خشوع، والعقول تنتبه إ منطقته؛ متيقظة لا تغفل³، وعن هذا الأثر يقول مد دب-وز: «فت-رى السكون سائدا اسجد ا كتنظ، لتأثر الناس بالدرس وحسن استماعهم إليه ... وكأن اس-جد ليس فيه إلا الشيخ الذي يجلجل صوته الرخيم القوي جنبات اسجد»⁴.

* اضية الرابعة:

أما مرجعية الشيخ إعداد دروس تفسد ه؛ فتتمثل أساسا كتاب ا تعا -قراءة وتدبرا- قبل أي مرجع آخر، و هذا يقول الشيخ: «لقد أغنا كتاب ا عن كل كتاب ال-وعظ والإرشاد! إز أ لمص درس التفسد بسهولة إ ا واضيع الاجتماعية ال أريد التحدث فيها، ومن درس القرآن بامعان وجد فيه كل شيء، وأغناه عن كل شيء»⁵، وما فسر القرآن من القرآن.

يستنكف الشيخ بعد ذلك عن العودة إ بعض اصادر اهمة التفسد، خاصة تفسد-

¹ - تفسد سورة الإسراء، مقدمة ا رر: عيسى مد الشيخ با اج، ص 31.

² - (م.س)، ص 32.

³ - دبوز: ضنة ا زائر ا دينة، ج 3/ ص 74.

⁴ - (م.ن).

⁵ - دبوز: أعلام الإصلاح، ج 3/ ص 125.

النار - للشيخ مد عبده، و مد رشيد رضا - اللذين تأثر الشيخ به - وض كـ ث ا نـ هـ جهما الإصلاح، وحسن توظيفهما كتشافات العلوم ا دينة بيان إعجاز القرآن وأسـ راره، يقـ ول مد دبوز: «والشيخ بيوض يعتقد عقيدة الشيخ مد عبده وتلاميذه ا شـ رق وا غـ رب: أن العلم قد ترقى هذا العصر، فيجب أن ننتفع تفس القرآن ا وصل إليه العلم هذا العصرـ ر ... فنأ با ديد التفس ، ونسائر العصر ا ترقى العلم وا ضارة، ونب معجزة القرآن، وأنه كتاب الدهر، يليق لكل زمان ومكان»¹.

وبعد اوز الشيخ لتفس سورة يوسف - حيث انتهى تفس النار - صار يعتمد على تفس ين: روح اعا للألوسي²، والتفس الكب للفخر الرازي، وقلما يعود إ تفس آخـ ر، إلا إذا أراد أحيانا معرفة قول الإباضية بعض الأحكام الشرعية الواردة الآية، فـ جع إ كتاب: تيسـ التفس ، للشيخ ا مد بن يوسف اطفيش. و ا طبع تفس : ظلال القرآن، لسيد قطب، صـ ار الشيخ يرجع إليه مع ا صدرين ا ذكورين سالفًا، و أواخر السبعينيات -تقريبًا- وصل إ الشيخ بيوض -من مصر- تفس القرط³: ا امع أحكام القرآن، وقد بلغ الشيخ حينها التفس ؛ منتصف سورة الأحزاب، فاعتمده الشيخ ضمن قائمة مراجعه⁴.

* ااصية ا امسة:

كان الشيخ دروس تفس ه يتبع -غالبا- خطوات منهجية متسلسلة؛ هي غاية الأية، تتمثل

¹ - دبوز: **هنة ا زائر**، ج3 ص 77، وانظر أيضا: **أعلام الإصلاح**، ج3 ص 125-126.

² - الألوسي، أبو الثناء مود بن عبد ا (1217-1270هـ/1802-1854م)، فقيه ومفسر و دث، ولد بغـ داد وتلقـى العلوم على شيوخ عصره، كان شديد ا رص على التعلم، اشتغل بالتدريس والتأليف سن مبكرة، فـ ذاع صـ يته وكـ ر تلاميذه، تولّى منصب الإفتاء وبقي فيه حـ سنة 1263هـ، له عدة كتب قيمة، أبرزها تفس ه الكب «روح اعا تفسـ القرآن العظيم والسبع ا ثا». **ا وسوعة العربية العاية**، مج2/ص629.

³ - القرط ، أبو عبد ا مد بن أ د (600-671هـ/1204-1273م)، فقيه مفسر وعا باللغة، ولد فرطبة ورحل منها بعد سقوطها إ الإسكندرية إ صعيد مصر حيث استقر فيه، كان القرط عا اكب ا منقطعا إ العلم، وقد خلـ ف 13 كتابا مابـ مطبوع و طوط، أبرزها تفس ه الكب «ا امع لأحكام القرآن الكر»، وهو تفس كامل عني فيه با سـ ائل الفقهية، إ جانب العلوم الأخرى، وكتاب: التذكرة بأحوال ا وتى، والتقريب لكتاب التمهيد ... **ا وسوعة العربية العاية**، مج18/ص163.

⁴ - دبوز: **أعلام الإصلاح**، ج3 ص 126، وانظر أيضا: **هنة ا زائر**، ج3 ص 76-77.

النقاط الآتية:¹

1. يتبدئ درسه دوما بدعاء مأثور، يتضرع فيه إخالقه بأن يكرمه بنور الفهم، ويفتح عليه من حكمته وخزائن علمه.
2. يتو أحد الطلبة ويد الآيات ال يريد الشيخ تفسه ها، أو يتو قراءا بنفسه.
3. يذكر سبب نزول الآية عصر النبوة، ومطابقتها ختلف العصور.
4. يربط الآية بال قبلها، وكذا السورة بال قبلها، م را لطائف وأسرار هذا الربط، وأوجه المناسبة، ما يؤكد إعجاز القرآن.
5. يشرح افردات اللغوية، ويتوقف أحيانا عند النكت البلاغية، مبديا إعجابه ا - ا أو من حس فني مرهف - ومذيقًا حلاو ا ستمعيه.
6. يستحضر ما ورد نفس اوضوع، من آيات تلفة، ويقارن بينها لتكتمل الصورة، لأن الآيات يكمل بعضها بعضا - كما يذكر الشيخ ذلك مرارا.
7. يذكر ما ورد تفسه الآية عن رسول ا (صلى ا عليه وسلم) - إن وجد وصح -.
8. يعرض آراء بعض افسرين الواردة اوضوع، ويناقشها: موافقًا، أو مفذًا، أو مبدعًا لرأي جديد.
9. يعرض على الآية قضايا اتمع ا عاصرة: التربوية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية - حسب موضوع الآية - التماسا لعلاج القرآن.
10. يتوجه إ النفس البشرية بالعة والذكرى واة وعطة ا سنة.
11. يستعمل درسه أسلوب اوار، ولفت الانتباه - حفاظا منه على تركيز استمع وحضور ذهنه - فكثا ما يردد - مثلا - عبارات: "واتبها جيدا"، "تذوقوا حلاوة اء"، "هل فهمتم؟"، "ب عليكم أن تدركوا هذا" ...
12. تم - عادةً - درسه حصلة للموضوع، بدعاء ا تام.

*** اضية السادسة:**

إن اطلع على تفسه الشيخ بيوض، يلحظ فيه اة أساسية وهي اة الإبداع والتجديد، وقد أشرنا إ بعض ملاها سابقًا، ولكن نزيد هنا إبراز أها النقاط الآتية:

¹ - نفس سورة الإسراء، مقدمة ا رر: عيسى مد الشيخ با ا ج، ص 31-32.

1. قوة حاسته النقدية، وجرأته الصدع باق، والإفصاح عن رأيه لاء دون وجل ولا تردد¹، فكان بذلك قوت التعصب اذه، وتكرار آراء افسرين أو تقليدها عن غيرة، يقول مدبوز: «والشيخ بيوض لا يقلد غيره التفسر ولا يتعصب مذهبه، بل هو يتزود لدروسه من أحسن اراجع لكل اذهب الإسلامية، فيطلع على أقوالها، فيقرر ما يراه موافقا، وبقيد ينسبها كلها، فيضعفها، فيأخذ هو بالشيء القوي اديد من عنده»².

2. وتبعنا سبق؛ كان الشيخ لا يعكث اباوض اباحث الكلامية أو اللغوية، ولا الافات اذهبية مسائل العقيدة أو الفقه³، لأن كل ذلك الف لغرضه من التفسر، ولوسائل قيق هذا الغرض، الذي يقول عنه الشيخ بنفسه: «إن غرضي من تفسر القرآن، هو تربية الناس بالقرآن، وتشقيفهم ووعظهم، ومعالجة أمراض النفوس كلها بالقرآن، فإنه شفاء الكلها»⁴، ويقول عن وسائله وسيله إ ذلك: «ذا أرگزار ديت على معا القرآن، واستخراج الأسرار من الآيات الكونية اذكرها القرآن، والقصص الواردة فيه، لا أتعرض للنحو والإعراب - كما يفعل القدماء- إلا قليلا...»⁵.

3. وقد وفق الشيخ أيما توفيق قيق غرضه، بعرض اتمع ونفوس أفراده على علاج القرآن، فكانت الثمرة أن «رأى الناس أنوار القرآن الكشافة؛ أمراض نفوسهم فتأبوا منها، فازدادوا صلاحا واستقامة وحباً للذ... وصارت القرارة هي حاملة لواء الإصلاح جذوب الزائر، ومعقلا عظيما من معاقله، ومن انايع القوة للنهضة الإسلامية ازائرية اديثة، الا أورثت ازائر حريتها واستقلالها»⁶.

4. قدرة الشيخ على إسقاط سنن الأنفس وامتاع، على أحداث عصره، وبعد نظره ليلها واستشراف مآلها، على ضوء تلك السنن القرآنية، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر، من ذلك مثلا عمق ليله لقصة ياجوج وماجوج الواردة موضعين: سورة الكهف، وسورة الأنبياء،

¹ - نفس سورة الإسراء، مقدمة ابرر، ص 31.

² - دبوز: ضنة ازائر، ج3/ ص 76.

³ - مقدمة ابرر: ص 30.

⁴ - دبوز: أعلام الإصلاح، ج3/ ص 129.

⁵ - (م.ن).

⁶ - دبوز: أعلام الإصلاح، ج3/ ص 124.

فبمناسبة نفس ه لقله تعا : (حتى إِذَا فُتِحَتْ ياجوج وماجوج وهم من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) (الأنبياء: 96)، وبعد ليل الشيخ للقصة، أخذ يربطها ويفسرها بأحـداث وقعت التاريخ الإسلامي، وهي الحلات التتارية والصليبية على بلاد اسلم¹، زاد الشيخ فربطها بأحـداث عصره هو، وفسرها بالتنبأ حدوثه المستقبل -وصدق حدسه ذلك-؛ وهو ما نعيشه ن، واقعنا اعاصر على مشارف الألفية الثالثة، من الآثار السيئة للعوة المتعددة الواجب، أو النظـام العاي اديد.

يقول الشيخ هذا الشأن: «والعا يتأثر بعضه ببعض، لأنه أصبح كدار واحد، أو غرفة صفة، أو كحوض ماء صفة، تسقط فيه حصة صفة، فتحدث تموجات كل أطرافه، ولا يوجد نفس للتموج، كحالة العا اليوم، لأنه يعد هناك من يقول: "أنا برج عاجي، لا أتأثر ما يقع من حو" لا يقول هذا إلا غافل جاهل»². أعطى الشيخ مثالا قريبا جدا -من حيث الزمن- من متابعة الناس للمستجدات اليومية لأحداث الوطن -تأكيدا وتوضيحا لفكرته- وهو -حدث التصحيح الثوري سنة 1965م، فقال: «وبالأمس فقط وقع انقلاب الزائر، فتحدثت عنه صحف العا كلها، لأن كل دولة تتأثر من قريب أو بعيد ذا الانقلاب، فتعيـد نظر -ا وسياستها مع هذه الدولة، سبب الوضع اديد الذي طرأ فيها، وكأن الآية تش إ كسر يع واجز، يصح العا كله دارا واحدة»³.

5. السمة الأخرى الميزة تعا الشيخ وحباه ا، هو ما يفتح عليه من أنوار حكمته، ويلهمه إياه أثناء درس النفس من معان طرباله من قبل⁴، ويصرح -غالبا- بتلك الإشارات حينها، ويعبر عنها بعبارات تلفة، فيقول: هذه بنت اللحظة، أو: هذه اللحظة -بـدت ملاحظة، أو: هذا اع طر على با من قبل أبدا، أو: يبدو ... وهذه النكتة طـر -إلا هذه اللحظة⁵، هذه ايزة جعلت الأستاذين: مد بابا عمي ومصطفى شـريفي -اللذين يتابعان طبع أجزاء نفس الشيخ، ويتكفلان بوضع فهارسه -صصان فهرسا كاملا لكل جزء،

¹ - نفس سورة الأنبياء: ص 264.

² - نفس سورة الأنبياء: ص 264.

³ - (م.ن).

⁴ - مقدمة ا برر، ص 29.

⁵ - انظر مثلا: نفس سورة مر : ص 8، 17، 37، 50، ونفس سورة طه: ص 274، 299، 313، 321 ...

باسم: "فهرس مسائل ال صرح فيها الشيخ برأيه أو أ ما بنت اللحظة".
ومرد هذه ايزة عند الشيخ، هو صدق توجهه إ ا تعا ، وتضرعه إليه أن يفتح عليه قبل
كل درس؛ بدعاء يستهل به حديثه، ويؤمن الناس على دعائه من بعده، يقول الشيخ: «إ ا د
ا تعا على هذا الفتح وقت الدرس، إ ا أستعد لدرس النفس من قبل على قدر الاستطاعة،
وأبذل كل ا هـد ذلك، وأتوجه إ ا بالدعاء أول الدرس ليمد ، وهذا الدعاء أرى أثره
كثا إ الام، وما أجده وقت الدرس ... وأنا لا أستطيع أن أعد ارات ال تصل ائـات،
وهي ال أحس فيها دد عظيم الدرس لا أعرف سببه، وإ ا هو من قبل ا تبارك وتعا «¹.

ثالثاً/ مذهب العقدي (المذهب الإباضي)

كان الشيخ إبراهيم بيوض - ر ه ا - إباضي اذهب، واذهب الإباضي من أول ا - ذاهب
نشوءا التاريخ الإسلامي، بالنظر إ التأثر العلمي والروحي الذي كان عند العلمـاء والأـة
الأوائل أوساط اسلم ، فقد كان إمام اذهب الأول: جابر بن زيد²؛ من كبار التابع الذين
نشروا الثقافة الإسلامية القرن الأول ا جري، وقد عاش هذا الإمام ما ب سن 21-96هـ³.
وأغلب القضايا العقدية ال اختلفت فيها الأمة، نشأت الثلثين الأخين من القرن الأول
ا جري، وقد حصر العلامة الشهرستا هذه القضايا اختلف فيها، أربعة أصول كى⁴:

¹ - دبوز: **أعلام الإصلاح**، ج3/ ص 126-127.

² - أبو الشعثاء الأزدي العما (18-93هـ/ 639-711م)، ولد بقرية "فرق" بعمان، و"أ بلغ أشده قصد البصرة، وهي
يومها من ب عواصم البلاد الإسلامية العلم والأدب والسياسة، وا ذها دار مقام ومدرسة علم. كان يتنقل بينـها وبـ
ا جاز، لاستزادة معرفة أو لتحقيق مسألة أو لافاة شيخ. روى اديث عن ثلثة من خة الصحابة منهم: عائشة وعبد ا بن
عباس وعبد ا بن عمر وعبد ا بن مسعود... ١٢، ومن تلامذته: أبو عبيدة مسلم بن أ كرة وضمام بن السائب وقتـادة
شيخ البخاري وعمرو بن دينار... كان جابر إماما النفس واديث والفقه، ترك موسوعة علمية نفيسة تعرف بـ "ديوان
جابر" سبعة أال، وهو أول من ع اديث ديوان، ومن أوائل المؤلف الإسلام، إلا أن ديوانه ضاع وبقيت بعض
فتاواه. ورواياته وآراؤه منتشرة جل مصادر الشريعة، واصة اصادر الإباضية. وجابر هو إمام أهل الدعوة والاستقامة،
وواضع قواعد الاجتهاد للمذهب الإباضي. **معجم أعلام الإباضية**، ج2/ ص 108-109.

³ - علي بي امعمر: **الإباضية موكب التاريخ**، ا لقة الأو : نشأة اذهب الإباضي، مكتبة الاستقامة - سـ لطنة عمـان،
ط2: 1989، ص 59.

⁴ - الشهرستا ، أبو الفتح مد بن عبد الكر : **الـلال والـالحل**، قيق: مد سيد كيلا ، دار صـعب، بـ وت، ط:
1986، ج1/ ص 14-15.

1. الصفات والتوحيد فيها.

2. القدر والعدل.

3. الوعد والوعيد.

4. السمع والعقل والرسالة والإمامة.

وقد درس الإباضية -و- مقدمتهم إمامهم: جابر بن زيد- قضايا الاختلاف تلك، كما درسها غمهم من علماء الإسلام، وانتهوا فيها إلى الرأي والذهب الذي اقتنعوا بصحته، ما يوافق كتاب السنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)¹، ويتمشى مع روح الإسلام وقواعده. وقد أخذ الإباضية الأصل الأول ذهبهم -فيما يتعلق بالبراء سبحانه وتعالى- تبيحه تعالى عن مشاة الملق؛ استناداً إلى الآيات الكمات من كتاب²، فقد عرف الإمام السائي³ -م- ثلاثا- التوحيد بأنه: «إفراد عبود بالعبادة -ع- وحدته- والتصديق ذاتا وصفاتا وأفعالا، فلا يس هناك ذات تشبه ذاته تعالى، ولا تقبل ذاته الانقسام، لا فعلا ولا وهما ولا فرضا، ولا تشبه صفاته الصفات، ولا يدخل أفعاله الإشراك، فإن الفعل له سبحانه خلقا، وإن ينسب إلى غم-ه كسبا»⁴.

¹ - علي بن إمام: الإباضية موكب التاريخ، ص 60.

² - (م.ن).

³ - الإمام عبد الله بن حميد السائي (1286-1332هـ)، تلقى تعلمه بلدته "أوق" بعمان، وقد حفظ القرآن على يد والده، وتعلم على يد الشيخ راشد بن سيف اللمكي، كما أنه تنقل إلى الشرقية سنة 1308هـ، فالتحق بحلق الأم صا بن علي المارشي، فكان ذلك الالتحاق من مرحلة التنظ والدرس إلى مرحلة التطبيق واليدان، فقام السائي مع شيخه صا ومع معاصريه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين أياديين، ولا أدل على ذلك من أن الإمامة قامت على أكتافهم، وقويت بتأييدهم. يعد السائي علما بارزا مساهمة النهضة العلمية والإصلاحية عصره، فهو لا يعد مصلحا اجتماعيا على مستوى وطنه عمان فحسب، بل على مستوى العالم الإسلامي بداية القرن الرابع عشر الهجري. كانت له علاقات مع كثر من علماء عصره، منهم الشيخ أطفيش الزائري. كان له الكبر هو قيام الدولة الإباضية والإمامة عمان. ترك الإمام السائي آثارا علمية قيمة علوم الشريعة واللغة العربية والتاريخ، وما يزال بعضها منها طوطا، من آثاره المطبوعة: - فة الأعيان بسدة أهل عمان، التاريخ. - شرح المجمع الصحيح (مسند الإمام الربيع) الحديث. - مشارق الأنوار، شرح أرجوزته اسماء "أنوار العقول علم الكلام". - عية التراث: معجم أعلام إباضية الغرب والشرق الإسلامي وخراسان وخوارزم واند والسند (معجم أعلام الشرق)، برنامج كمبيوتر، إصدار 2005م.

⁴ - السائي، أبو محمد عبد الله بن زيد: مشارق أنوار العقول، مطابع العقيدة، سلطنة عمان، ط2: 1398هـ/1978م، ص150

أما ما ورد القرآن والسنة من نصوص يوهم ظاهرها التشبيه والتجسيم، فقد سلك الإباضية اهه مسلكا واضحا، وهو مسلک التأويل¹ يقتضيه اع من سياق النص، واه رصيد اللغة من اازات والاستعارات والكنيات¹، بناء على أن القرآن نزل بلسان العرب، وعلى سبيل اثال: تأويل الاستواء بالاستيلاء، واليد بالقدرة والنعمة، وما إ ذلك.

و مسألة القدر، فإن الإباضية -كما سلكت كثر من الفرق- اذت موقفا وسطا، وهو أن الالتجاء إ اديد جهتين للفعل الواحد: الق، والكسب للإنسان، ليس من قبيل الشـركة، وإاه هو مخرج من الإشكال، إذ تزل² مسألة من غوامض علم الكلام، لذا طغت على الفكـر الإباضي نسبة الاقتراب من اا حينا، كما طغت عليه نسبة الاقتراب من الاختيار حينا آخـر²، «إلا أن النزعة الـ بقيت طاغية عند الإباضية عامة، هي تقوية نسبة الاختيار، ا يتحمل الإنسان مسؤوليته، وتتجلى اكمة الأمر والنهي، ما يترتب عنهما من الثواب والعقـاب، وتتميـز حركات الاختيار عن حركات الاضطرار، مع اعتقاد أن اعا خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير»³.

و مسألة الوعد والوعيد، يرى الإباضية أن أصحاب الكبائر -مشرک كانوا أم موحدین- مخلدون النار دائما، وأهل الطاعة لمدون انة دائما، بناء على أن اعا صـا دق وعده ووعيدة، وتبعا لذلك ذهب الإباضية إ أن الشفاعة امدية لا تعا إخراج عصاة اوحدين من النار بعد أن يدخلوها -بوساطة الله -p، وإاهي شفاعاة خاصة باؤمنا اؤوف بدينهم، وتكون بزيادة درجـام انة⁴.

وقد استقرت آراء الإباضية أكثر مسائل الاف، على الأصول المسـتمدة من الكتـاب والسنة، وقد عاصر إمام اذهب الأول: جابر بن زيد، عددا غفاه من الصحابة، الذين رجع إليهم كثر من مسائل الاف، باعتبارهم أساتذته الذين عرفوا من أسرار الإسلام وروحـه، مـا

¹ - اعبى، فرحات: البعد اضاى للعقيدة عند الإباضية، نشر: عية التراث -القرارة، ط: 1987، ج1/ص274.

² - (م.س)، ج2/ص483.

³ - (م.ن).

⁴ - انظر: الساي: مصدر سابق، ص 294 وما بعدها، وإطقيش، امد بن يوسف: شرح عقيدة التوحيد، قيق: مصـطفى بن الناصر وين، نشر عية التراث، القرارة-غرادية-ا زائر، ط1: 1422هـ -/2001م، ص 532-539، وعليه امعمـر: الإباضية (دراسة مركزة أصوم ونارهم)، ا طبعة العربية، غرادية، ص 60.

يفهمه غ هم، كأمثال عبد ا بن عباس، وعائشة أم المؤمنين ، وأنس بن مالك، وعبد ا بن عمر
١٧ و غ هم¹.

وقد اعتد الشيخ علي بي ام عمر؛ اذهب الإباضي أول اذاهب المعتدلة نشوءا، وأقر - ا إ
عصر النبوة، وأفهمها لروح الإسلام، وأسرار التشريع، ذلك باعتبار أن آراء الإباضية اس- تقرت،
قبل أن تتكون اذاهب الأخرى وتنتشر أقطار العا الإسلامي مدة تطول أو تقصر².

¹ - علي بي ام عمر: الإباضية موكب التاريخ، ص 60-61.

² - (م.س)، ص 61. وللتوسع أكثر تاريخ اذهب الإباضي، وتراثه وتطوره الفكري، انظر: اوسوعة التاريخية للشيخ علا- بي
بي ام عمر بعنوان: الإباضية موكب التاريخ، ج1: نشأة اذهب الإباضي، ج2: الإباضية ليبيا، ج3: الإباضية تونس،
ج4: الإباضية ا زائر.

الفصل الأول

البحث العقدي

عند الشيخ بيوض

● المبحث الأول: مكانة العقيدة من تفسير الشيخ بيوض

■ أولا/ الاهتمام بالحقيقة الشرعية للإيمان

■ ثانيا/ الاهتمام بالآثار العملية للإيمان

● المبحث الثاني: منهج الشيخ بيوض في بحث العقيدة

■ أولا/ تفسير القرآن بالقرآن

■ ثانيا/ التعامل مع الروايات

■ ثالثا/ العقل والتأويل

أولاً/ الاهتمام بالحقيقة الشرعية للإيمان

من أسائل الكي ال شغلت الشيخ بيوض نفسه، وتوقف عندها كث من الواضـع بالتحليل والتقرير؛ مسألة: حقيقة الإيمان، لكو شرط الفلاح الدنيا والآخرة، ونظرا لاختلاف ا مدارس العقدية حوا.

1/ آراء ا مدارس العقدية مدلول الإيمان:

اختلفت ا مدارس العقدية مدلول الإيمان إ أربعة آراء :

*** الرأي الأول:** الإيمان هو اعرفة بالقلب: وهو قول ا هم بن صفوان وأبو الحسن الصابي. ولا في فساده؛ لأن أهل الكتاب كانوا يعرفون الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم، و يكونوا مؤمن به.

*** الرأي الثا :** الإيمان هو الإقرار الفرد باللسان: وهو قول الكرامية، فنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكنهم يقولون بأ م يستحقون الوعيد الذي أوعدهم ا به. وقوم أيضا ظـاهر الفساد.

*** الرأي الثالث:** الإيمان هو التصديق بالقلب: وهو قول أ حنيفة، وأ منصفـورا ـاتردى، والأشاعرة.

*** الرأي الرابع:** الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، وهـو قول مالك والشافعي، وأ د، وسائر أهل ا ديث والإباضية واعتزلة¹.

وقد اتفق الرأيان الأخ ان على أن أصل الإيمان هو التصديق بالقلب، وإ ا اختلفـا تسـمية الإقرار والعمل بالأركان إانا، مع اتفاقهما على وجوب ع الطاعات افروضة، وعلى استحباب النوافل ا مشروعة¹.

¹-انظر: مد بن أ العز الدمشقي: شرح العقيدة الطحاوية، تح: عبد ا التركي، وشعيب الأرئووط، مؤسسة الرسالة - ب وت، ط8: 1416هـ/1995م، ص2373، والبا فلا ، أبو بكر مد بن الطيب: هيد الأوائل وتلخيص الدلائل، قيق: عماد الدين أ د حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ب وت-لبنان، ط3: 1414هـ/1993م، ص388-390، واطقيش: شرح عقيدة التوحيد، ص540-548.

12/ رأي الشيخ بيوض مدلول الإِان:

يرى الشيخ بيوض رأي مذهبه مفهوم الإِان، فيقول: «إِن كل ما ورد القرآن من أوامر ونواه وأحكام، وكل ما جاء السنة الـ هي الأصل الثا للدين، يدل دلالة صـرة واضحة يقينية على أن الإِان عقيدة وقول وعمل، واما موع كل لا يتجزأ»². وقد استدلل الشيخ على صحة ما قرره جموعة من الأدلة؛ منها:

* الدليل الأول:

من أدلة الشيخ على ما ذهب إليه؛ اجتماع الصفات العملية الـ علق عليها الفلاح للمـؤمن، ومات الفردوس، أوائل سورة المؤمنون: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ - صَلَاتُهُمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومٍ قَمَنَ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (المؤمنون: 1-11)، قال الشيخ نفسـها: «فالأـذين اجتمعت فيهم هذه الصفات هم الفلاحون، والأـذين تمتع فيهم هذه الصفات ولو كان بعضها، فهم الماسرون، لأن الدين إما أن يأكله أو يذهب كله»³. ووجه الاستشهاد من الآيات، هــو أن «أما تعاقب من فعل كذا فقد أفلح، بل قال: قد أفلح المؤمنون الذين من صفات كـذا وكذا»⁴.

انطلاقاً من الآيات استدللنا على مفهوم الإِان، قد يظن امرء صعوبة قيق صفات الإِان بكاملها، أو يتساءل عن إمكان تساوي كل الناس فيها، فينفي الشيخ هذا الإشكال ببيان أن هناك حداً أدنى لكل صفة من تلك الصفات، يجب أن تتوفر لدى الإنسان، يطلق عليه "مؤمن"؛ حيث لا يمكن أن يسمى ما دونه إياناً، وبعد وجود هذا الحد الضروري، يمكن أن يتفاوت الناس مراتب الإِان، وهو ما يسمى كتب العقيدة: بزيادة الإِان ونقصانه، وهو عند الشيخ

¹ - البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر: الفرق، الفرق، قيق: محمد بن الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت - لبنان، د.ت، ص 351.

² - نفس سورة المؤمنون: ص 15.

³ - (م.س)، ص 6.

⁴ - (م.س)، ص 7.

بيوض: «باعتبار قوة الاجتهاد عبادة من العبادات، أو الزيادة من النوافل أو عددها، وتفـاوت درجات الإخلاص»¹.

ولكي يوضح ا ع أكثر، ده يضرب مثالا على مسألة ا شوع الصلاة، وهو شرط لقبول الصلاة وتوفر الإ ان، فلا بد من قيق ا د الأد منه؛ وإلا فلا صلاة ولا إ ان، ذلك أن ا شوع تتفاوت درجاته ب الناس؛ فليس خشوعنا كخشوع الذ صلى ا عليه وسـلم أو خشـوع الصحابة وبعض الزهاد والعباد من السلف رضي ا عنهم؛ هؤلاء الذين ب على ا ـؤمن أن يتشبه م ولو يصل إ درجتهم².

* الدليل الثا :

و ا استشهد به الشيخ على حقيقة الإ ان: ا زاوجة ال أقامها القرآن ب الإ ـان والعمـل، مزاوجة تدل على التلازم وعدم الفكاك بينهما، حيث ذكر الشيخ ا مسألة بعض الآيات؛ مصنف إياها صنف³:

أ- صنف يبدأ بذكر الإ ان يعطف عليه العمل، كقوله تعا : (إِلا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا ا كَثُرًا) وانتصروا مِنم بعد ما ظَلَمُوا (الشعراء:227).

ب- وصنف يبدأ بالعمل الصا ويث عليه بالإ ان، كقوله تعا : (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) (طه:112)، (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَهَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ قَلْبًا حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل:97). من النظر تلك الآيات، ب الشيخ أننا لا د أي جزاء على إ ان بدون عمل، أو على عمل بدون إ ان، فلا يتحقق الإ ان إلا إذا كانت له رة، وكل من يدعي الإ ان بقلبه وهو لا يعمـل العمل الصا ، فهو كذاب عند ا وعند الناس، لأن العمل هو الذي يثبت حقيقة الإ ان⁴.

3/ تصحيح التصورات حول حقيقة الإ ان:

¹ - نفس سورة اؤمن : ص 15.

² - (م.ن).

³ - نفس سورة الأنبياء: 218-219. ⁴ - (م.ن).

كان الشيخ كثر من اوضاع نفسه يصح التصور ااطئ لبعض الناس موضوع الإإن؛ وهو الأمر الذي لاحظته ايط الذي عاش فيه؛ وتأثر بالغزو الفكري على المسلم المعاصر - بعد الغزو الاستعماري - حيث اذكث من شباب الإسلام؛ حضارة أوربا وجهة م، تلك الحضارة ااحصرت الدين العقيدة وحدها نبذته، وتناولت أمور العلم والسياسة والاقتصاد بروح علمانية تبعتها إبعادا كاملا عن إطار الدين¹.

إضافة إ ذلك الواقع؛ التخلف الذي أصاب الأمة عقيداً، أفرغتها من مضامينها اقيقي، وصارت رد كلمة تنطق باللسان، أو على الأكثر شعائر تعبدية اعتها أفضى ما تحقق به كلمة التوحيد واقع اياة².

فبمناسبة نفسه الشيخ لقوله تعا : (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) (مـ ر : 78) رد على الذين يزعمون أن م عندا الدرجة الرفيعة دون عمل -موضحاً حقيقة العهد بـ اـ رء ورهـ : «وليس العهد الذي تتخذه عند الرحمن، هو انتسابك إ ن أو و ، وإما العهد هـ و الإإن الصحيح الراسخ القلب، الذي يثمر القول الصادق اللسان، والعمل الصال الأركان»³.

وتصحيحاً للتصورات حول حقيقة الإإن أيضاً، كان الشيخ يلفت النظر كذا إ ما يذاقض هذه اقيقة؛ وهي: ظاهرة النفاق العملي، كلما أشارت إليها أو نطقت اآية من الآيات الـ يتعرض لنفسها.

ففي نفسه ه قوله تعا - شأن انافة - : (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِالرَّسُولِ وَأُطْعِمْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) (النور: 47)، بـ الشيخ أن الآية تتحدث عـ ن طائفة من الناس يزعمون الإإن، لكن أعما م الف أقوام، ومن صفام أم لا يرتضون حكم ا ورسوله، و تكمنون إ الشيطان وإ أهوائهم وغرائزهم، وأراد بتوليهم الآية -كما بـ الشيخ- ليس هو إنكارهم الإإن بالسنتهم، وإما توليهم بأعما م اخالفة كم ا ورسوله⁴.

¹ - مد قطب: لا إله إلا ا (عقيدة وشريعة ومنهاج حياة)، دار الشروق، بـ وت-لبنان، ط2: 1414هـ-1993م، ص10.

² - (م.ن).

³ - نفسه سورة مر : ص 175-176.

⁴ - نفسه سورة النور: ص 372 وما بعدها.

وبأ الشيخ إ ذيل الآية (وما أولئك بالمؤمنين) فيصفه أنه حكم واضح، صرح القرآن به - لا يضل أحد التأويل، فيحصر كلمة النفاق من أضرار الشرك فحسب - وهو ان - افق نفاق شرك - دون الذين خالفت أعمالهم أقوالهم، - وهم أصحاب نفاق العمل - «فك - ل م - ن خالفت أعماله أقواله، فهو منافق كما دلت على هذا؛ الآيات والأحاديث»¹.

ثانيا/ الاهتمام بالآثار العملية للإيمان

انطلاقاً من مذهب الشيخ بيوض ا قيقة ازدوجة للإ ان - أي باعتباره تصديقا وعم - لا - يهتم نفسه ه اهتماما بالغاً بالآثار وا قاصد العملية لأركان الإ ان؛ وبا انب العملي والمق - ي لشريعة الإسلام عموماً، فعند تطرقه إ مسألة من مسائل الإ ان با أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر، يربط حديثه عنها - كل مرة - بثمارها ا لمقية الواقع الذي يعيشه - ه الف - رد وا تمتع، و اياة اليومية ال يتبادلان فيها التأثير والتأثر ، وفيما يلي بعض النماذج ع - ن اهتم - ام الشيخ بآثار الإ ان العملية.

1/ أثر حسن الظن با تعا :

ناسبة قوله تعا : (ومن الناس من يعبد ا - على ا حرفي قان أصابه، خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المم -) (ا ج: 11) تطرق الشيخ

¹ - (م.ن). وانظر أيضا ليل الشيخ مسألة النفاق العملي: نفسه ه للآية : 57-58 من سورة الأحزاب، ص 598-605، وتفس ه للآية: 11 من سورة ا ج، ص 352-366.

هذا ونش إ أن مصطلح ا نفاق قد تضاربت حوله الآراء، ب من صره ا شرک اظهر للتوحيد - وهو رأي المعتزلة وإباضية ا شرق - وب من صره ا وحد ارتكب للكبائر - وهو رأي إباضية ا غرب - ؛ وب من عله شاملا للمعني ؛ فيحصل عنده قسمان للنفاق: نفاق اعتقاد ونفاق عمل، والرأي الأخر هو للشيخ ا مد بن يوسف ا طفيش، حيث يقول ا مسألة - بعد عرض الآراء اختلفة - :

«والتحقيق أن النفاق يطلق أيضا على إسرار الشرك وإظهار التوحيد وعلى عمل ا وحد الكبر؛ خلافا للمعتزلة ذا، ويرد عليهم قوله p: «النفاق أن تقر بالإسلام ولا تعمل به»... وقوله تعا : (يحدّر المنافقون أن تنزل عليهم سورة) (التوبة: 64)، ولو يعرفوا الوحي ويشتهوا ما حذروه، وإرادة الذ p الصلاة على عبد ا بن أ ، وقد علمه منافقا، فلو كان نفاقه شركا ما أراد الصلاة عليه...». ا طفيش، ا مد بن يوسف: **الذهب ا الص ائوه بالعلم الفالص**، قيق: أبو إسحاق إبراهيم ا طفيش، دار البعث، فسنطينة - ا زائر، ط2: 1400هـ - 1980م، ص 26-27.

وانظر ا مسألة أيضا: ا طفيش: **شرح عقيدة التوحيد**، ص 467، و ا يطا ، أبو طاهر إ ا عيل بن موسى: **كتاب فواعد الإسلام**، تصحيح وتعليق: عبد الر ن بن عمر بكلي، ا مطبعة العربية، غرداية - ا زائر، ط1: 1977م، ج 1/ص 36-39.

تفسد ها سألة: سوء الظن با تعا ؛ من قبل ضعيف الإان، أشار با قابل إ حسن ظ-ن اؤمن بربه، وأثر ذلك سلوكه، فقال هذا الشأن: «واؤمن ا قيقى لا يتزلزل إانه، ولا يسيء الظن بربه مهما اشتد به بلاء الفقر، أو وصل به بلاء الغ»¹، فإن يسرا له ال-رزق أكثر من غه، يتغ إانه، و يبطره الغ فيظلم أو ور، بل يثبت على امتثال الأوامر واجتناب النواهي، يصلي كما يصلي الفقراء، و ضر الس الذكر وا كما يفعل البسطاء².

12/ أثر الإان بعلم ا تعا :

و مناسبة قوله تعا : (قُلْ لو كانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِدْنَا مِثْلَهُ مِدَادًا) (الكهف: 109)، ب الشيخ سعة علم ا تعا ، وذكر أن ا كمة من هذا الوصف لعلم ا ، هو أن تتصاغر نفوس البشر و تقرر علمها بالنسبة لعلم ا تعا ، فلا تطغى ولا تغتر إذا تعلمت شيئاً، «على أن هنالك علماء حقيقي ، أوصلهم علمهم إ التواضع، وأصبحوا يعتقدون نفوسهم أ م أقل ا يتصورهم الناس، وكلما ازدادوا درجة العلم كلم-ا تب م جهلهم...»³.

13/ أثر الإان بالبعث:

بعد تفسد الآيات ا مسة الأو من سورة ا ج؛ وهي قوله تعا : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب ا شديد ومن الناس من يجادل ا -غير علم ويتبع كل شيطان مريد كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَاهُ فَأَنَّهُ يَضِلُّ، ويهديه إ عذاب السع- يآ أي-ها الناس إن كنتم - ربي من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر - الأرحام ما نشاء إ آ أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إ آ أرذل العمر لكيلا يعلم منم بع-د علم شيئاً وترى الارض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) (ا ج: 1-5) -وهي موضوع البعث بعد اوت- تعرض الشيخ إ الوظيفة الاجتماعية -ذه

¹ - نفس سورة ا ج، ص 359.

² - (م.ن).

³ - نفس سورة الكهف، ص 438 وما بعدها.

الآيات، فقال: «فلو آمن أهل الأرض بهم، حكما و كـ وم بالبعث، واعتقـدوا أـم سيحاسبون وسيجازون عن كل مال حرام أكلوه، وكل قطرة دم سـفكوها، وكل جرمة ارتكبوها؛ لقلت الشرور العا ، وما كانت با ملة، كما جوم على الشعوب الآمنة، وقتلـهم بالآلاف والملاي»¹.

نلاحظ الشيخ ليله هذا، يعرض ا تمتع على القرآن، وذلك بإسقاط آيات - عقيدة البعث - على واقع الإدارة والسياسة العاية، ا وبوءة بـ الظلم والاسـتبداد، وانتـهاك ا قـوق واريات، ووجه الربط بـ ذلك الواقع وتلك الآيات يكمن الإشارة إ أثر الابتعاد عن عقيدة البعث ا راف السلوك، والعكس بالعكس. و هذا يقول الشيخ: «هذه قيمة عقيدة البعث، وهي مهمة جدا تقو سلوك الفرد، وعلى قدر كنها من القلب واستشعارها كـل حـ يزداد ا رء صلاحا وتقوى، وعلى قدر ضعفها واستبعادها يزداد ا رء فسادا و شقاء»².

4/ الآثار الإانية لفصص القرآن:

وا نأنب ا هم الآخر الذي أولاه الشيخ بيوض حظه الوافر من التفسـ والتركيز، هو قصـص القرآن³؛ حيث كان مواضع كثرة تفسـه يذكر با قصد منها، وهو أن ا تعا لايةـص أخبار الرسل والأمم ا ماضية للتسلية والتفكه أو لسد الفراغ، وأن القرآن ليس كتاب تاريخ، بل هو كتاب هداية وإرشاد، وعلاج لأمراض النفوس، يأخذ من تواريخ السابقة ما فيه عة وموعظة، داعيا الناس إ النظر فيما خلا من القرون، وكيف أهلك ا الظا ، وى اؤمذ ، لأن حكمه واحد لا يتبدل، والعزة والعاقبة للمتق⁴. فكان الشيخ كلما تطرق إ قصة نـ من أنبياء ا تعا أو و من أوليائه، إلا وأردفها ببيان رسوخ إ ا م وشدة صلتهم بر م، وحسن توكلهم عليه؛ ا أ ر فيهم سلوكا قوا، وفيما يلي أمثلة على ذلك.

أ/ مثال قصة سليمان:

¹ - نفس سورة ا ج: ص 326، وانظر ا مسألة أيضا: نفس سورة ا ومنون: ص 242، ونفس سورة الفرقان: ص 58-60.

² - نفس سورة ا ج: ص 326.

³ - سيأ ا ديث عن منهج الشيخ ث قصص القرآن - بالتفصيل - ا بحث الثا من هذا الفصل، مسألة: التعامل مع روايات الأخبار، ص 20 وما بعدها.

⁴ - نفس سورة طه: ص 372، نفس سورة الكهف: ص 78.

ناسبة قوله تعا -على لسان سليمان ١-: (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ...) (النمل: 19)، عدد الشيخ نعم ا تعا على الذ الملك س-ليمان، م-ن تسخ ا ن والإنس والط له، وتعليمه منطلق النمل والط ، ذكر الوقف الذي يصدر ن أو شيئاً من هذا الملك -من الملوك الطغاة- وهو الاغترار والتج ، وبا قابل ب-ين الوقف الإ-ا لسليمان -الذي ظهرت عصمته رسالته وملكه- وهو موقف التواضع وا ض-وع تعا-ا والاعتراف بفضله؛ فلم يعجب سليمان بعلمه ولا ملكه، بل تضرع إ ربه أن يلهمه الشكر لنعمه كل > ¹.

ب/ مثال قصة سحرة فرعون:

و ناسبة حديث الشيخ عن قصة سحرة فرعون مع موسى ١؛ مظة استعراض سحرهم أم-ام الاء، وإلقاء موسى عصاه اعجزة، ال تلقفت ما صنعوا، ب الشيخ كيف أثرت اعجزة قلوب السحرة استعدادة للإان، و تؤثر قلب فرعون اطموس بطغيانه، مش ا إ أن هذا هو الفرق ب قلب المؤمن وقلب الكافر كل زمان ومكان، ومشيديا ب ان السحرة الذين «آمن-وا -ذه السرعة؛ > إنه يلتفت أحد إ الآخر، فيقول له: ماذا ترى، أنؤمن؟ أتتبع موسى؟ وإا انكبوا بصفة اعية، بل ما شعروا > وجدوا رؤوسهم مغفرة التراب، ساجدين ، وألستهم تنطق: آمنا برب العا رب موسى وهارون»².

ج/ مثال يسير الصحابة ٢:

يندرج ضمن اهتمام الشيخ بقصص القرآن واستنطاق الع منها، اهتمامه بيسير الص-حابة ٢ ومناقبتهم، كلما أتى على آية تتحدث عن شخصية صا أو طائفة من الصحابة، أو كان هؤلاء سبباً لول قرآن يتلى، فبط تلك الأحداث وصال بتغلغل الإان قلوبهم، وقوة إخلاص-هم و يقينهم، وشدة حبهم ورسوله ولدينه³.

¹ - نفس سورة النمل، ص 51.

² - نفس سورة طه، ص 317-318، وانظر كنموذج لتوجه الشيخ إ الاعتبار بالقصص أيضاً: نفس سورة الشعراء، ص 384-385.

³ - انظر: شرح حديث أم جن؛ مثالا ذه الفكرة من نفس الشيخ لسورة الروم، ص 322-326.

ففي سورة الأحزاب - مثلاً - يسرد الشيخ مناقب موعية من الرعيل الأول، مناسبة تفسد هـ
لآيات غزوة اندق، و ليله اذثة إبطال التبه ، وإباحة الزواج بزوجة اُتبنى، الـ نزلت آيا ا
شخص الـ د ومتبناه زيد بن حارثة وزوجه زينب بنت جحش¹. لأن هؤلاء وأمثا م هـ-م
الذين فسروا لنا القرآن، وتروا لنا السنة بأعما م، وذلك هو التفسد ا قيق-ي -كم-ا ي-رى
الشيخ-، «> لكأنا إذا اطلعنا على سيرهم نرى بوضوح اعا الـ أرادها ا تعا كتاب-ه
الكر ، ويكونون لنا بأعما م قدوة، فتأسى م، ونرى كيف كانوا يتسارعون إ القيام ا أم-ر
به ا ورسوله»².

هذه هي مكانة العقيدة من تفسد الشيخ بيوض ر هـ ا ، هي حاضرة جل دروس تفسد هـ
الـ كان يلقيها لكافة الناس بيت ا تعا ، فمهما كان موضوع الآيات الـ يغوص ليلها،
تشريعاً أو تربية أو تار ا ... لا ضي معه دون أن كم صلته ومرجعيته الإانية، وإذا ك-ان
ا موضوع عقيدة اعتصر منه آثاره العملية، فالقضية الإانية عند الشيخ بيوض هي ا ور الذي مذ-ه
ينطلق الإنسان اؤمن وإليه ينتهي، > فق خلافة ا له الأرض، ويفوز با نة والرضوان
الآخرة.

¹ - انظر ليل الشيخ ذه ا واضيع لها من تفسد سورة الأحزاب.

² - تفسد سورة الأحزاب، ص 361.

المبحث الثاني: منهج الشيخ بيوض في بحث العقيدة

أولاً/ تفسير القرآن بالقرآن

سلك الشيخ بيوض منهجاً للعقيدة من خلال تفسير القرآن؛ لمة من الضوابط، رأينا التزامه. المتكرر، وهي تشكل مجموعة القواعد الكلى لفهم القرآن الكريم -عموماً- فهما سليما. وكن اعتبار تفسير القرآن بالقرآن؛ أول هذه الضوابط وأنها عند الشيخ تفسير القرآن بكامله -والعقيدة هي ركيزته- فطالما كرر هذه القاعدة: «ما فسر القرآن مثل القرآن» أو -أشياءها من العبارات¹، عندما يأتي موضع أو آية تحتاج فهمها وليست مقاصدها استحضار نظائرها من القرآن الكريم.

وقد سلك الشيخ مد الغزالي، هذا الضابط بالنظرة الشاملة والوضعية للقرآن، عندما بين أن الرؤية القرآنية لا يمكن إلا أن تكون حضارة كاملة، فمن سوء الفهم أخذ جانب من القرآن وإمالا جانب الأخرى، كأن يؤخذ مثلاً على أنه مجموعة من القصص فقط².

فالأحكام الفقهية، والآيات الكونية، وآيات العقائد، وما إلى ذلك من التعليل الإسلامية «متناسكة» عبارة واحدة، معها من أواخرها، ومن استحيل أن أنظر إلى القرآن النظرة الزئية إلا على أعيش جانب منه وأنسى الجانب الآخر»³ - كما يقول الشيخ الغزالي -.

ومن الغريب أن يد الشيخ إبراهيم بيوض ومد الغزالي يتفقان تأصيل هذا الضابط وتطبيقه، وإن اختلفت عباراتهما؛ فبينما يسميه الأول تفسير القرآن بالقرآن، يسميه الآخر التفسير الموضوعي، بل ويتفقان تقسيمه إلى شقين:

***الأول:** تفسير الموضوع الواحد مع متفرقاته القرآن، أي كل الآيات التي تتحدث عنه.

***الثاني:** تفسير السور بالوحدة الموضوعية، أي باعتبار كل سورة موضوعاً مستقلاً.

¹ - كقول الشيخ: «القرآن يفسر بعضه بعضاً»، تفسير سورة الإسراء: ص 59، وقوله: «فأما ما يفسر القرآن بالقرآن»، تفسير سورة القصص: ص 351، وقوله: «وأحسن تأويلات القرآن وتفسيراته ما كان يؤخذ منه، بتقابل الآيات موضوع واحد، فتظهر المعاني، وتظهر الحكم والأسرار»، تفسير سورة لقمان: ص 182.

² - مد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، مدارس أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، د.ت، دار الرجاء، عناية -الزائر،

ص 71.

³ - (م.ن).

يقول الشيخ الغزا تأصيل هذا الضابط: «التفيس الموضوعي بشقيه، وهو مثلاً: النبوة القرآن، المال القرآن، العدالة القرآن، ما كان إنشاء تفيس موضوعي من هذا النوع يكـون فيه معاملة ذات الواقع، ومنطلق ثقا لرؤية قرآنية شاملة ومتوازنة ... يضاف إلى ذلك أن النظـرة الموضوعية للسورة كاملة ومعرفة الأغراض التي تدور حوا، لكن أن تساهم أيضاً بتكوين المنطلق الثقا للرؤية الشاملة»¹.

وقد أفرد الشيخ الغزا لكل شق من شقي التفيس الموضوعي كتاباً مستقلاً لأجل تطبيق ذلك الضابط، فخصص للأول كتابه: «أورامسة القرآن الكر²؛ وكتابه: نظرات القرآن³، وخصص للشق الثاني كتابه: «وتفيس موضوعي لسور القرآن الكر⁴». نعود إلى الشيخ بيوض؛ لتساءل عن كيفية سيده ذين الشقين للتفيس الموضوعي أو لتفيس القرآن بالقرآن؟

1/ الشق الأول: تفيس الموضوع الواحد مع متفرقاته القرآن

يقول الشيخ مؤصلاً ذا الشق: «والقرآن يفسر بعضه بعضاً، وأحسـن تـأويلات القرآن وتفسـرته، ما كان يؤخذ منه، بتقابل الآيات موضوع واحد، فتظهر أبعادها وتظهر أبعادها كـم والأسرار»⁵.

وسيدا ذا الشق أو الأسلوب، يد الشيخ يوظفه تعبيراً يراد من اصطلاح أو اللفظ القرآن التكرار، وطريقة القرآن استعماله.

• فعند بحث الشيخ عن / كلمة من وصف الشرك بأنه ظلم عظيم قوله تعالى - على لسان لقمان -: (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) (لقمان: 13)، رأى ضرورة العودة إلى القرآن لبحث طريقته استعمال كلمة الظلم؛ فوجد أنه بالرغم من استعمال اللفظ التعدي على حقوق الغير، دماهم أو أموا م أو أعراضهم، إلا أن استعماله ظلم الإنسان لنفسه - بارتكاب المعاصي - هو الأكثر والغالب، إذ يسمى المعاصي كلها ظلماً، سواء كانت شركاً أو ما

¹ - (م.ن)، ص 73.

² - مد الغزا ، أورامسة للقرآن الكر ، دار القلم، دمشق، ط3: 2000م.

³ - مد الغزا ، نظرات القرآن، دار الكتب الحديثة، ط3: 1962م.

⁴ - مد الغزا ، وتفيس موضوعي لسور القرآن الكر ، دار بغداد للطباعة والنشر، الروبية-الزائر، ط: 2000م.

⁵ - تفيس سورة لقمان: ص182.

دوا من السيئات، ومن ذلك استعماله لكلمة الظلم إهلاك الأمم إل كفرت برسائها¹، (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالم) (الزخرف: 76)، يعلل الشيخ تسمية العاصي بالظلم؛ بأن العاصي ظلم نفسه ودساها، وأها وعرضها للبلاء؛ فالشرك بالتا هو أعظم أنواع الظلم².

• إضافة إ توظيف الشيخ ذا الأسلوب تعي إراد من اللفظ ا تكرر، كان يستع به حل الإشكالات العقدية / طروحة حول بعض الألفاظ، كلفظ الروح، الواردة قصة -ل- مر بعيسى (ص)، فما مدلول الروح انفوخة مر ؟ هذه القصة اذكورة ثلاث مواضع؛ معها الشيخ وأخذ لل ويقارن بينها، فوجد أن سورة مر تذكر س-وى ا م-ل والانتب-اذ والولادة (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلها جذع النخلة...) (م-ر : 22-23).

أما سورتا التحر والأنبياء فقد ورد فيهما نفخ الروح مر³، ففي سورة التحر قال تعا : (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا...) (التحر : 12). و سورة الأنبياء قال تعا : (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا...) (الأنبياء: 91). والنافخ الروح هو ا تعا ، بقدرته وكما يليق لاله، من غ تشبيه لمقه. وقد ذكر الش-يخ هاهنا أن إراد من الروح سورة مر هو ج يل (ص)؛ الذي أرسله ا إ مر لبشارا بالسلام الزكي، (فأرسلنا إلها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) (مر : 17).

بعد ذلك استشكل الشيخ إراد من الروح آي التحر والأنبياء؟⁴. و ل الإلش-كال أخذ يستحضر بعض مواضع الروح الواردة القرآن؛ وبداية ذكر الآية ا كمة ا مسألة وهي قولا-ه تعا : (ويسألك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) (الإس-راء: 85)، وب أن إضافة الروح إ ا تعا دليل على أا من خصوصياته، ولا أحد يدرك حقيقتها.

¹ - نفس سورة لقمان: ص 182 وما بعدها.

² - (م.ن).

³ - نفس سورة مر : ص 61-63.

⁴ - (م.ن).

لكن الشيخ استدرك بأن استعمال القرآن لكلمة الروح مواطن أخرى يوضـح شـيئا مـا حقيقتها، وتلك هي الروح الـ نفخها ا آدم، بعد أن سواه، وقد قال تعا اطبا ملائكتـه: (فَإِذَا سُوِيَتْهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رَوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (ص: 72) فـبـ الشيخ أن التسوية هي إكمال بنية ا سم، والروح هي الـ تثبت ا ركة وا ياة والنمو فيه، وهي من نفخ ا تعا ، قاس الشيخ على هذه الروح الـ جعلت من آدم ا خلوق من طـ ؛ بشرا سويا حيا- الروح انفوخة مـ فولد منها عيسى (ص)، فوجدها الشيخ سواء، مـ دعما رأيه بقوله تعا : (إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ ا كَمِثْلَ آدَمَ خَلَقَهُ، مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ) (آل عمران: 59).

وقبل أن يلخص الشيخ النتيجة الـ توصل إليها، حذر من مغبة البحث عن كيفية الـ نفخ الروح؛ لأنه يؤدي إـ تشبيه ا تعا ، ووصفه ا لا وز؛ انتهى من ته بقولـه: «فـاـراد بالروح آية التحر والأنبياء هي انفوخة مـ ، وليس جـ يل، كما أغرق ذلك كـ من اُوُلُوعٍ ؛ ا لا يقبله العقل والدين، ولا يليق لال ا تعا وقدرته، وصفاته، وتهيه»¹.

• ويوظف الشيخ أيضا أسلوب تفسـ ا وضوع مع متفرقاته؛ توضيح مشاهد اـ دث الواحد > تـكتمل صورته ولا تتناقض الذهن.

فبمناسبة تفسـ ه لقوله تعا : (وَيَوْمَ يَقُولُ نادوا شركائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ قَدْ دَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) (الكهف/52)، بـ أن ا تعا أمـ ر نبيـه (ρ) أن يـذكر ا شركـ باليوم الذي ستنقطع فيه الصلة بينهم وبـ معبودا مـ، فلا ينقذوهم ولا يستجيبون مـ²، ذكر الشيخ إشكالا عقديا الآية، وهو أن ا تعا قال: (قَدْ دَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) فالكفار دعوا شركاءهم وآتهم، فلم يكن منهم جواب؛ لكن آيات آخر تدل على وقوع اداـة بـ هؤلاء وهؤلاء؛ فما ا كمة من ذلك التعب³؟

¹ - نفس سورة مر ، ص 63.

² - نفس سورة الكهف، ص 230.

³ - (م.س)، ص 232.

أجاب الشيخ أولاً ببيان منهجه رفع الإشكال؛ والتعارض الظاهري بـ الآيات؛ و فهم القصة مكتملة ا شاهد فقال: ¹ «... ا تعا يوردا ع الواحد، أو القصة الواحدة مـ واطن متعددة من القرآن بألفاظ تلفة، وبصور تلفة، إذا جمع بعضها إ بعض تكتمـ ل الصـورة أو القصة. وعلى الإنسان أن يستحضر ا آلة من أو ا إ آخرها، من أول طور القصة إ آخر طور؛ ومن أول ا وار إ آخره. وللقصص ا وار أطوار م عليه وأدوار، تبتدئ بكيفية وتنتهي بكيفية أخرى، و كل آية ذكر ا تعا فيه هذا ع يفرغه قالب غ الذي أفرغه آية أخرى»².

بعد بيان الشيخ للمنهج، جسده حل الإشكال الوارد -سالفاً- بنظم طائفة مـ ن الآيات الواردة ا موضوع، بعضها نداء ا للمشارك يوم القيامة بدعوة شركائهم الـذين كـانوا ينازعون فيه تعا ؛ و بعضها إثبات اخاصمة بـ الفريق ، و البعض الآخر إجابة اعبودات للذين عبدوهم بأجوبة تلفة ت أ فيها البعض من البعض³؛ «لص الشيخ إ النتيجة التالية: «فلا تعارض إذن بـ هذه الآيات، إ ا ا اراد بعدم الاستجابة، أ م يستجيبوا للإعانة والنجدة، أما ا مع بينهم صعيد واحد، ح يقيم ا ا جة عليهم بعضهم على بعض، فهـذا أمـر ثابت»⁴.

2/ الشق الثاني : نفس السور بالوحدة اوضوعية

كما وجدنا الشيخ بيوض يرى إ القرآن على أن بعضه يفسر البعض الآخر، لأنه يشـكل وحدة متكاملة⁵؛ وجدناه -إضافة لذلك- يرى أن كل سورة قرآنية تشكل وحدة متماسكة وموضوعاً واحداً⁶، وإن تعددت الأغراض الـدم اوضوع، فلا يكن لأحد أن يفهم آيات ا

¹ - وانظر أيضاً هذه ا سألة ا نهجية: نفس سورة القصص، ص 336.

² - نفس سورة الكهف، ص 232-233.

³ - (م.س)، ص 233-234.

⁴ - (م.س)، ص 235.

⁵ - نفس سورة المؤمنين، ص 152.

⁶ - نفس سورة الأنبياء، ص 227.

فهما حقيقيا، إلا موقعها وسياقها من السورة، بالنظر إلى ما سبقها وما تلاها، لأن كل آية شديدة المناسبة قبلها¹، وما بعدها، ووضوح السورة ككل.

و سيد الشق الثاني من تفسير القرآن بالقرآن، يد الشيخ يلتزم منهاجا واحدا يعبر السور، ففي سورة القصص وسورة النور وسورة الأحزاب؛ استهل تفسير كل منها ببيان الدور العام أو الدور الكلي الذي تدور حوله السورة.

فقد افتتح الشيخ بيوض تفسيره لسورة القصص -على سبيل المثال- مقدمة مستفيضة، فيها الموضوع الرئيس للسورة، والغرض منه فقال: «فسورة القصص الموضوع دور هـ -م -ت- دور عليه، شأن شأن كل سور القرآن، فهي أغلبها تبينا شافيا بالدليل القاطع والهان الساطع... أنه ليس الكون قوة تتصرف إلا قوة إلهية، وكل قوى البشر وكل قوى الخلق -ات الأخرى، لا تعد شيئا بالنسبة لقدرة إلهية، وكل جبار طغي و، فإن ناصيته بيد إلهية وعاقبته إلهية الدمار، سواء من طغي بالعزة أو السلطان أو الأعوان والنود، أو من طغي بالعلم والمال، وهـ -ذان متمثلان فرعون وقارون»².

وجه الشيخ هذه المقدمة، العقول تدبر الدور الذي تدور حوله السورة؛ مستنتجا إياه، جاء فيها من آيات؛ خاصة قصص فرعون وقارون -التي استغرقتا حيزا لا بأس به من السورة- هذا الدور هو موضع الاعتبار والادكار، إنه ترسيخ الإيمان بالقدر الإلهية ونفوذها المطلقة الكون، والتذكير هذه الوحدة الموضوعية للسورة؛ له أثر بالغ إجلال وتثبيت قضايا العقيدة، وقضايا الإسلام -بصفة عامة-.

وعند تفسير الشيخ لسورة النور؛ بدأ بذكر موضوعها الأساس وهو: «الأصول الكلي للسلوك الإلهي لفظ نفس الزوج: الذكر والأنثى، والذين يكونان أمة الأولى للأمة»³، أتبعه بالدور الفرعية للسورة الذي قدم الموضوع الأساس⁴، وذات المنهج اتبعه مقدمة تفسيره لسورة الأحزاب⁵.

¹ - تفسير سورة المؤمنون، ص 152.

² - تفسير سورة القصص، ص 225.

³ - تفسير سورة النور، ص 8.

⁴ - (م.س)، ص 10-17.

⁵ - انظر تفسير سورة الأحزاب، ص 133-137.

أما سائر السور -ال- ثنا تفسد الشيخ -أ- فلم يلتزم فيها بذلك انهج، أي بيان موضوعها، واور الكي -أ- اقدمة، بل كان يذكر ذلك ثنا تفسد ها؛ إما ببيان التناسب ب- أجزاء السورة وموضوعها الأساس، وإما ببيان التناسب ب- أوائل السورة وأواخرها.

أ/ بيان التناسب ب- أجزاء السورة وموضوعها الأساس:

هذا البيان يأ على شكل تلخيص للخطوط العريضة للسورة؛ وال تقدم تفسد ها؛ وغ-رض الشيخ من ذلك -كما نرى- هو بيان العلاقة ب- أجزاء السورة، وإبقاء ذهن المستمع للتفسد-؛ حاضرا جو السورة وهدايتها.

فقبل تفسد الشيخ -مثلا- لقوله تعا: (ألم تر أربك كيف مد الظل ولو شاء لجعلها ساكنة) (الفرقان/45)، قال ملخصا ما سبق من تفسد السورة، وموضحا موقع هذه الآية من-ها: «وبعدما تقدم من أول السورة ذكرها تعا، من كفر الكفرة به، وا اذهب ش-ريكا ل-ه، وسخرتهم بالقرآن ال والذ ارسل، صرف الكلام إ سياق جديد للتنويع، يش- فيه إ بعض آياته الكون، ما لو تدبره أولئك الكفرة لآمنوا»¹.

ب/ بيان التناسب ب- أوائل السورة وأواخرها:

هذا البيان يأ على شكل ربط ب- أواخر السورة وخواها وب- أوائلها؛ تأكيد-دا لوحدة موضوعها. فبمناسبة تفسد الشيخ للآية الأخرة من سورة الشعراء (... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (الشعراء/227)، قال عن موقع الآية من السورة وصلتها بأو: «إا خلاصة السورة كلها؛ ال تذكر الظا واطلوم، وهي تتضمن الغرضين اللذين نزلت م-ن أجل-هما السورة: تبش ال للظا وتسليه وتصب ال له ولأمته، وإنذارا للكفرة والكذب. فهو يقول للظلمة: لا يغرنكم سلطانكم ولا استقامة أحوالكم، إن هي إلا أيام قليلة إذا بالأمر ينقلب عليكم وتكونون شر منقلب، ويقول للمسلم: لا تقلقوا، فالذين ظلموكم واضطهدوكم، وكفروا بربكم... إن هي إلا أيام قلائل إذ م- وعيد ال. أو ليس هذا عود على بدء، و أول الس-ورة يق-ول: (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) (الشعراء: 3)»².

¹ - تفسد سورة الفرقان، ص 152. وانظر هذه أسألة أيضا: تفسد سورة العنكبوت، ص 184-185.

² - تفسد سورة الشعراء، ص 489-490. وانظر هذه أسألة أيضا: تفسد سورة العنكبوت، ص 270.

إن هذه النظرة الموضوعية متكاملة للقرآن؛ من قبل الشيخ، - وإن تعددت تعابره عنها - نرى أنها تدفع إلى إحداث مثل هذا التكامل والانسجام شخصية الفرد المسلم وامتدادها إلى المجتمع المسلم؛ بل من قبله من قيم ومبادئ وما يصدر عنه من سلوك ملتزم واقع حياته، فلا يقع شك في أن النفاق والانفصام بين العقيدة والسلوك.

كما أن دفع إلى حسن الفهم والتصور لقضايا العقيدة، فهما منسجمان مع روح الدين وقواعده، وإلا فإفراط على وحدة النصوص من التناقض والتضارب الفهم والاعتقاد.

ثانياً/ التعامل مع الروايات

1/ تأسيس العقيدة على اليقين :

الإنسان هو التصديق بالقلب. ضمون العقائد؛ الثابتة بالشرعي. وإن كانت العقيدة هي أساس الدين، فإن التصديق والتصديق جازماً لا بد أن ينبثق على اليقين، وصفة اليقين تكتسب من قوة الدليل من حيث ثبوته ودلالته.

وقد اتفق العلماء على الاحتجاج بالقرآن الاستدلال على العقائد؛ لثبوت نصه بالتواتر، وكذا اتفقوا على الاحتجاج بالنسبة التواترة، بعد قطعية دلالتهم، بينما اختلفوا في حديث الآحاد، «إذ قال البعض بصحة الاحتجاج به، إذا كان صحيحاً دون النظر إلى تواتره، وقال البعض الآخر بعدم الاحتجاج به. وجاء موقف الإباضية موافقاً لاعتقاد الآحاد العقيدة ط- الدلالة لا يفيد يقيناً، ولا يثبت به الاعتقاد»¹.

وقد تبين للشيخ بيوض موقف مذهبه؛ فقال عن أساس العقيدة ومستندها: «... لا يتبين إلا على حجة حقيقي يقين، من القرآن الكريم، أو من المعصومين، ولا شيء وراء هذا»².

ففي صدد حديثه عن عدد الأنبياء، رد علمه إلى أن تعال، ذكر ورود أحاديث في عدددهم، وهو مائة وأربعة وعشرون ألفاً، أما عدد الرسل فهو ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً، لكن الشيخ عقب بأن «الإنسان إذا العدد لا يوزن، ما يمكن هناك نص قطعي من قرآن أو سنة صحيحة متواترة، إذ يمكن أن يكون العدد أقل أو أكثر، ولا يوزن أن يثبت الاعتقاد على

¹ - مصطفى ويند : مرجع سابق، ص 86.

² - تفسير سورة الكهف: ص 226. وانظر ذات الوقف عند: البوطي، محمد سعيد رمضان: كليات البعثات الكونية، تصوير عن ط 8: 1423 هـ - 2002 م. دار الفكر، سوريا، ودار الفكر، لبنان، ص 35-36.

الظنيات ...»¹، وبرر الشيخ حكمه هذا بناء على صفة الظنية خ الأحاد؛ فإذا اعتقد أحد ذا العدد؛ وكان عدد الأنبياء الواقع أكثر؛ يكون كافراً إذ يؤمن برسول، أو كان عـددهم الواقع أقل؛ فيكون قد آمن ن ليس نبيا أو رسولا².

12 وجه الاعتبار من أخبار القرآن:

يعت قصص القرآن الكر وأخباره من ا اور ال يرتكز عليها الشيخ بيوض تقرير قصـايا العقيدة، كما ذكرنا سالفاً¹؛ وهو شرحه للقصص يعتمد منهج القرآن العرض؛ أي التركيز على روح القصة ومواطن العلة والاقتداء جوانبها، سواء كانت إمانية أو أخلاقية أو تشريعية. فكان الشيخ غالب نفسه ه لآيات القصص، يذكر الناس ذا النهج، فيـيـز أسـلوب القرآن، ومغايرته لأسلوب اؤرخ والقصاص، حيث يبدأون القصة من أول حـادث فيهاـا، يتبعون تفاصيلها بالتسجيل والتدوين، حسب تسلسل أحداثها حـ يأتوا إ آخرها. لكن القرآن الكر ا كان غرضه الذكرى، فإنه ينتقي فترات ومراحل معينة من تواريخ الأنبياء والأمم، ولأجل ذلك لا يلتزم بسرد الأحداث سردا متسلسلا، بل قد يبدأ من وسط القصة، أو من آخرها، وقد يذكر جزءا من القصة سورة، و جزء الآخر سورة أخرى، حسـ بما تقتضـيه اكمة².

ويبدو أن الشيخ يذكر نهج القصص القرآ كل مرة، حـ ينفي من ذهن اسـتمعـأو القارئ للتفسـ انتظار معرفة كل جزئيات الأحداث وتوارها وشخصيا اـال اعتاد ذكرهاـا قصص البشرـ ويضعه ا و الروحا والإا للقصـة. وقد أفلح الشيخ تطبيق هذا النهج القرآ ؛ نفسه ه و لميله القصص، كـث من ا واضع؛ فبعد شرحه ـمثلاـ لقصة السيدة مر وولاد ا لابنها عيسى ص، وما فيها من ع ، قال معقبـا: «... قد رأينا مطاويها حكما وأسرارا عظيمة، ومن تتبعها باهتمام، يستفيد علما، ويزداد إانا وتقوى، وليست اكمة أن نعلم شيئا هله فقط، وإا ا اكمة حـرة هذا العلم»³. ومن

¹ - نفس سورة المؤمنون، ص 136.

² - (م.ن)، وانظر هذه اسألة أيضا: نفس سورة الإسراء: ص 48 ؛ عند تطرق الشيخ إ الاختلاف الوارد حول تفضيل الملائكة على بـ آدم أو العكس.

العلم الذي يستفيده المؤمن منها؛ تقرير قواعد الدين وأسسها، كوحداية التعاليم، وإحاطة علمه بكل شيء⁴.

3/ الروايات الخالفة للشرع:

دفاعاً عن منهج القرآن عرض الأخبار، كان الشيخ بيوض يرد كثيراً على الرواة والفاسدين الذين ضمنوا تفاسيرهم روايات أخبار الأمم والرسول لا أساس لها من انقول وعقول. إما أضافوا إقصص القرآن، كما يقول الشيخ مد عبده: «ما شاءوا من كتب التواريخ والإسرائيليات، ويعتمدوا على التوراة والإنجيل والكتب المعتمدة عند أهل الكتاب وغيرهم، بل أخذوا ببعض ما عوه عنهم من غير تفريق بين غث و ن ، ولا تنقيح ألف الشرع ولا يطابق العقل»⁵.

وكان الشيخ يذكر تلك الروايات الباطلة تفسيه؛ لأجل أن يرد عليها ويهتفاس عنها؛ ويبتطلا للناس⁶، لا يغتروا بها، ووافظوا على سلامة اعتقادهم. وكن تصنيف تلك الروايات - سب نوع بطلا - إ ثلاث أنواع:

*** النوع الأول:** روايات كي تفاصيل القصص المذكرها القرآن؛ وهي شـكليات وظواهر لا علاقة لها بروح القصة، كذكرهم لتواريخ الأحداث وأراء الأشـخاص، والأمـاكن، وأعداد الأشياء وأحجامها ومقاديرها ... لا أساس له من خـصحيح. وغالب تلك الشكليات المذكرها هؤلاء المفسرون إما ليكملوا - إ حلقات القصـة، ويكشفوا عما سكـت عنه القرآن منها - بلسان حـام - و يبينه. وفيها مبالغات وغرائب كثيرة، وتعلق وارق الأمور والعادات. لكن الشيخ بيوض يرد عليهم، بأن تلك الزيات، لو كان

¹ - راجع: البحث الأول، ص 5.

² - انظر: تفسير سورة الكهف، ص 78، تفسير سورة الأنبياء، ص 44.

³ - تفسير سورة مر ، ص 99. وانظر هذه المسألة أيضاً: تعقيبه على قصة موسى والخضر، تفسير سورة الكهف، ص 416.

⁴ - (م.ن).

⁵ - مد رشيد رضا: تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط 2: د.ت. ، ج 1/ص 18.

⁶ - انظر مثلاً: تفسير سورة الحج، ص 513-515، وتفسير سورة الأحزاب، ص 661.

ذكرها حكمة وعاء وفائدة للمؤمن؛ ما سكت عنها القرآن؛ ولو ذكرها لوجب الوفاء. وقد عُدَّ حدود ما ذكر¹.

فبمناسبة تفسر الشيخ -مثلاً- لقوله تعالى عن أصحاب الكهف²: (ونقل بهم ذات اليمين. وذات الشمال) (سورة الكهف/18)، ذكر ما ورد من روايات غريبة هذا التقليد. بـ خـ لال نومهم، فقال: «ذهب بعض المتنوع التكلف إلى الكلام عن عدد الدورات التي قُلبوا فيها، والـ دة بـ تقليدية وأخرى، فقال بعضهم: يقبلون مرة كل سنة، وقال آخرون: بل تقليبتان العام...»³.

برر الشيخ ذكره هذه الأقوال؛ بتبني غرابتها وبطلانها، لأن ما من أحاديث القصص الذين لا سلطان لهم عليها ولا حجة ولا دليل⁴. وبعد ذلك ذكر بالقدر الذي اكتفى به القـ رآن -وهـ و- تقليبتهم ذات اليمين وذات الشمال - ووجوب الالتزام به، معتدًا بالبحث عن عدد التقليدات أو مد ما تكلفا، لا مع له ولا فائدة فيه. وختم المسألة بالإشارة إلى موطن العلة من الآية وما سبقها قائلاً: «إن الذي يفهم من موقع هذه الآيات، إنها هو تعبد عن كمال عناية الله بأوليائه وأحبائه وأصفيائه»⁵.

و مناسبة ليلته لقصة رحلة موسى عليه السلام مع أصحابه وما صاحبها من حوادث، أشار الشيخ إلى ما أُضيف إليها من غرائب فقال: «وقد أضاف القصص خرافات كثيرة، إلى هذه الوقائع، سواء السفينة، أو الغلام، أو الدار. ومن أغرب ما قيل في الدار، أن طولها سمائة ذراع، وعرضها سون ذراعاً، وعلوه عشرون ذراعاً، ولكن إذا كل هذا؟ القصص مولوعون بالغرائب ولا بد أن يقولوا، وقوم هذا باطل»⁶.

*** النوع الثالث:** من الروايات الباطلة التي يذكرها الشيخ تفسر لنقصها، هي روايات متطاوله على الغيب الذي أستاذرا تعاد بعلمه.

¹ - تفسر سورة لقمان، ص 98.

² - وانظر هذه المسألة أيضاً: تفسر سورة النمل، ص 45، تفسر سورة لقمان، ص 98.

³ - تفسر سورة الكهف، ص 108.

⁴ - (م.ن).

⁵ - (م.ن).

⁶ - (م.س)، ص 322.

• ومن ذلك رده للأقوال الواردة توقيت قيام الساعة، مناسبة تفسه ه لقوله تعا : (يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله...) (سورة الأحزاب/63)، فبعد ذكره لتلك الأقوال وبيان بطلانها وعدم جواز العمل بها - لعدم استنادها إلى الكتاب والسنة -؛ يوجه الشيخ خطابه إلى أولئك الرواة، صيغة سؤال استنكاري: «... فأتعا يقول كتابه: لا يعلم زمان إلا هو، وإليه منتهى علمها، فلماذا تتعبون أنفسكم وتضللون الناس؟»¹.

• ومن ذلك أيضا استغراب الشيخ من الروايات التي أثبتت الكيفية التي تشكل الجسم قبل خلقه، بعثته أتع إلى السيدة مر ليبشرها ملها عيسى، وذلك على أعقاب تفسه ه لقوله تعا : (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا) (سورة الأنعام: 17)، حيث ذكر الشيخ بعض الإشكالات التي طرحها الذين يريدون توضيح كل شيء؛ ومنها: «لما تشكل الجسم على شكل بشر سوي، ترى أين بقيت أجزاء جسمه العظيم؟. وقالوا: إذا كان أصله جسمانيًا، كيف يمكن له التشكل؟. وقال آخرون: أصله روحاني، وروحه تتشكل أي صورة شاءت. ودخلوا هذا الباب وبدأوا يقولوا وباب، والاعتراض والرد»².

يلحق الشيخ على هذه الباحث مبينا موقف الصحيح منها؛ والعلامة الإنيية استخلصة منها: «... كل هذا لا يعنيني، والذي نعتقد أن قدرة الله صالحة لكل شيء، وأنه أعطى مخلوقاته من الملائكة والجن، القدرة على التشكل أي صورة كانت، ونحن لا نعلم ما هي الصورة الحقيقية، وما هي الصورة المتمثلة...»³، دعا الشيخ إلى عدم تضيق الوقت بهذه الأبحاث الطائفة منها؛ وليس للعقل فيها حظ من النظر⁴.

*** النوع الثالث:** من الروايات الباطلة، هي روايات تصادم أصول الدين ونصوصه الشرعية؛ فإذا تطرق الشيخ إلى قصة ذكر المفسرون فيها روايات من هذا النوع يتوان نقضها - بعد ذكرها - وبيان فسادها، وافتها لقواعد الشرع ومبادئ العقل.

¹ - نفس سورة الأحزاب، ص 661.

² - نفس سورة مر، ص 59.

³ - (م.ن).

⁴ - (م.ن).

• من ذلك مثلاً، رده الطويل على الرواية الـ تناقلها افسرون تفصيل نوع الأذى الذي آذى به بنو إسرائيل نبيهم موسى ٥، عند نفسه ه لقوله تعا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ قَبْرَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً) (سورة الأحزاب: 69). فتساءل الشيخ أولاً عن هذا الأذى الذي برأ ا منه نبيه؟ إذ يذكره القرآن، فأجاب بأن افسرين قد نقلوا عن بعضهم رواية باطلة نفسه ه، وتأسف لروايتهم ا بدون نقد، ح من قبل مشـ ا ه الذين عها منهم، كوا وكأ ا قضية مسلم¹.

وملخص الرواية أن موسى ٥ كان رجلاً حياً شديداً التستر، يتوارى بعيداً إذا أراد الاغتسال، حيث لا يراه أحد، و ا م بنو إسرائيل موسى بأنه أبرص أو آدر²، لأنه يكن يغتسل معهم، كما يغتسلون عراه يرى بعضهم بعضاً. وذهب مرة ليغتسل ووضع ثيابه على صخرة، و ا عاد إليها، فرت بثيابه فلحقها ح توقفت عند ملأ من ب إسرائيل؛ فرأوا موسى مكشوفاً سا مـ ن كـ ل آفة³.

¹ - نفس سورة الأحزاب، ص 668 وما بعدها.

² - الأدره: انتفاخ اـ صية. شركة الـ امج الإسلامية الدولية: موسوعة ا ديث الشريف، الإصدار الثا ، (1991-1997). معجم ا عا .

³ - نفس سورة الأحزاب: ص 670-671، وانظر نص الرواية عند: اطفيش، ا مد بن يوسف: نيس النفس ، فقيق: إبراهيم مد طلاي، المطبعة العربية، غرداية، ط 1: 1422هـ/ 2001م، ج 11/ص 356. والرواية أخرجها البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث اـ صير مع موسى، رقم 3152، «...عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موسى كان رجلاً حياً يست ا ا يرى من جلده شيء استحياء منه فأداه من آداه من بني إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب يجلده إما برص وإما أدره وإما آفة وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلأ يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما قرع أقبـ إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا يتويه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول توبي حجر توبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل قرأوه عرباناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ توبه فليسـ وطفق بالحجر ضرباً بعصاه قال الله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمسا فذلك قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آدوا موسى قـره الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً»، ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى، رقم 4373، ورواه الترمذي، كتاب نفس القرآن عن رسول ا ، باب ومن سورة الأحزاب، رقم 3154. موسوعة ا ديث الشريف.

أخذ الشيخ نقد تلك الرواية؛ إل يشفع فيها -عند الشيخ بيوض- اتفاق الشـيـخ : البخاري ومسلم على روايتها صحيحهما، أو تصحيح الإمام الترمذي¹، كما أن متـها الف أصول العقيدة ومبادئ الدين، إما من جهة الذ موسى^٢، أو من جهة قومه، فمن جهة قومه، بين الشيخ أنه قد يكون منهم فجار يغتسلون بتلك الطريقة الكـشـوفـة، أمـا أن تكـون طريقتهم المشروعة هي كشف العورات إلا موسى^٣، فلا توجد شريعة تبيح ذلك. ومن جهة موسى^٤، تساءل الشيخ: أفمن أجل مـة مرض بد، يـهـا تعا نبيه الوجه عـذـه، فيـمـر مكشوفاً أمام الألى يرى سائاً؟ وما علم من الدين بالضرورة، عصمة الأنبياء والرسـل^٥. كـم الشيخ على الرواية صراحة: «إن هذا لعمرى من أكاذيب الإسرائيليات، ولا وز أن يـروى إلا للرد عليه وبيان بطلانه، وأنه كذب واقتراء»^٦.

ووجدنا الشيخ موضع من نفس ه، عند تطرقه لرواية إسرائيلية مناقضة للعقيدة، يحذر الناس وينبههم إـ غرضها الدفـ وهو إفساد الإسلام والكيد له؛ من قبل بعض الرواة اـدسوس الذين أرادوا إدخال تلك اـرافات الدين؛ فوجدوا بعض الشخصيات من الصحابة أو التابعـمـا يسندون إليها تلك الأخبار؛ كذبا وزورا^٧. وقد تكرر من الشيخ ما يشبه هذا التحذير من خرافات الإسرائيليات، ومن الروايات اـوضوعة من قبل الزنادقة والطاعنـ الإسلام ورسالته^٨.

١٤ الروايات غـ اـخالفة للشرع:

رأينا سالفاً أن الشيخ يتعامل مع الروايات اـخالفة للدين بالرد والنقض والتحذير منها، أمـا إذا ثنا تعامله مع الروايات غـ اـخالفة، فإن الأمر تلف، وقد صرح نهجه التعامل مع النوء من الروايات قوله: «أما كتب تاريخ البشر، ففيها الغث والسم، وفيها الصدق والكذب، فما

^١ - قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم». (م.ن).

^٢ - نفس سورة الأحزاب، ص 668 وما بعدها.

^٣ - (م.س)، ص 672.

^٤ - نفس سورة الكهف، ص 390-391.

^٥ - انظر مثلاً: نفس سورة اـج، ص 513.

وجد فيها ألفا لكتاب أ فهو باطل قطعاً وبقينا، وما كان موافقاً له، أو كان غ مناقض لـه، فهو حق، إذا قال الن p: «إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم»¹.
 بـ الشيخ أولاً موقفه من الروايات التاريخية تفسد القصص القرآ ، وهو: عـ دم القبول
 ا طلق، ولا الرفض ا طلق، بل هو موقف التمهيص والنقد والعرض على كتاب ا تعا ، فـمـا
 كان منها ألفا له؛ فحكمه البطلان يقينا - وهو ما تطرقنا إليه النوع الأول من الروايات - . أما
 ما كان موافقاً ا ذكر القرآن أو كان غ مناقض له؛ حكم عليه الشيخ بأنه حق، اسـ تناداً إ
 ا ديث السابق.

لكن الشيخ يذكر حكم ما كان من الروايات مسكوتاً عنه؛ وهو ما تطرق إليه ا - ديث؛
 الذي يفهم منه حكم التوقف عن التصديق والتكذيب لتلك الروايات، وجواز نقلها مع عدم ا زم
 ا²، وعندما أتى الشيخ إ التطبيق - أي خلال ليله للقصص والأخبار - سلك حكم ا ديث،
 فكان كـ ا ما يورد الروايات اختلفة ا دث الواحد - ا سكت عنه القرآن - استثناسـ ا، لا
 اعتماداً عليها أو اعتقاداً ا فيها؛ ويعقب عليها غالباً بعبارات تفيد الظن وعدم التحقق؛ كقولهـ ه:
 «... لا ندري مبلغها من الصحة»³. وقوله: «يرد خ صحيح نعتد عليه»⁴.

فعند تفسد الشيخ - مثلاً - لقوله تعا : (...وأصحاب الرس وُقروناً بين ذَلك كَ ا) (الفرقان:
 38) تساءل عن أصل أصحاب الرس؛ ذكر اختلاف ا فسرين فيهم، ا لا يوصل إ اليق
 حقيقتهم فقال: «قيل أصحاب الرس هم قوم م ماء، فجاءهم رسول فوقع ما وقع، ولكن هـ - ذا
 م لا دليل عليه، فلا نعلم بالتحديد من هم أصحاب الرس، وليس هناك شيء نتوقف فيـ هـ أو
 نشبه فيه، وكل ما الأمر أن أصحاب الرس هم قوم من الناس، كبقية الأمم، أرسل ا إـ إليهم

⁴ - نفس سورة طه، ص 375-376. واديث أخرجه أبو اسن ا يثمي بلفظ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمناً با وملائكته وكتبه ورسله، فإن كان حقاً تكذبوهم وإن كان باطلا تصدقوهم»، موارد
 الظمآن، باب ما جاء ا ديث عن بـ إسرائيل، ج 1/ص 58، مركز التراث لأ ا ا سب الآ ، ا كتبة الألفية للسنه
 النبوية، الإصدار 1.5، 1419هـ - 1999م، الأردن.

² - انظر ما قاله ابن تيمية ا سألة: مد رشيد رضا، مرجع سابق، ج 1/ص 8.

³ - نفس سورة القصص، ص 321.

⁴ - نفس سورة الفرقان، ص 133.

رسولا، فكفروا به، فأهلكهم ا كما أهلك غ هم. وقيل: إن أصحاب الرس هم طائفة من قوم شعيب... ولكن يرد خ صحيح نعتد عليه»¹.

هذا بالنسبة للروايات المختلفة؛ إلا أن الشيخ من القرائن الواجحة ما يرجح به إحداها على الأخرى، أما إذا توصل إلى ذلك فإنه يبدي رأيه بصراحة؛ ترجيح الرواية الأقوى من حيث الصحة؛ مع ذكر القرينة المناسبة وعدم القطع بالتوصل إليه لاحتمال غ ه. فقد تكوّن القرينة مراعاة أحكام الشريعة؛ كما رجح بذلك اختلاف المفسرين حول الكمة من اعتزال السيدة مر لأهلها واحتجاً عنهم؛ وإلا يذكرها القرآن قوله تعالى: (وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) (مر: 16).

فبينما يذكر الإمام فخر الدين الرازي وجوهاً ماسة لتلك الكمة أو الغرض، ويصفها بأنها كلها تملة، وليس اللفظ ما يدل على ترجيح واحد منها²، يد الشيخ بيوض يرجح الرواية التي تبين أن مر تعتزل أهلها ويرج من راء إلى مكان شرقي، إلا لتقصي فيه أيام حيضها، تعود إلى راء بعد طهرها³ وقرينة الشيخ ترجيحه، هي مراعاة أحكام الطهارة - كما وردت الشرع - فمر أرادت ألا تدنس راء.

وقد تكون قرينة الترجيح عند الشيخ مراعاة سياق النص؛ كما رأينا ذلك عند شت شخصية لقمان المذكور قوله تعالى: (وَلَقَدْ - اتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ...) (لقم: 12)؛ والذي اختلف الرواة كونه نبياً أم عبداً صاماً، أما الشيخ فقد صرح برأيه - من غ - قطع - قائلاً: «ويبدو سب ما أتلّمسه من الآية، أن أرجح كون لقمان غ ز»⁴، ذكر سبب الترجيح أو قرينته وهي مراعاة سياق النص؛ ذلك أن أ تعالى أراد أن يعلّمه الصنف الذي يقابل به الكفرة الذين يكفرون بنعمة الله، ولا يشكرونه عليها، وقد أشارت الآية السابقة للآية 12، (هَذَا خُلِقَ لِلَّهِ فَأَرْوِنِي مَادًّا خُلِقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بِلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (لقمان: 11)، قابلهم أ تعالى «بعبء من سائر العباد، ليس بعبء ولا رسول، ولكنه وُفِّقَ وهداه

¹ - (م.ن).

² - الرازي، فخر الدين - مد بن عمر: النفس الكبر، دار إحياء التراث العرب، بيروت - لبنان، ط3: د.ت، ج21/ص196.

³ - نفس سورة مر، ص 52-53.

⁴ - نفس سورة لقمان، ص 88.

وآتاه اكمة، فكان ينطق ا ويعمل ا، ويوصي ا، ولو كان نبيا ورسولا لـ ذكره 1- ا
الرسل، كما ذكر الذين أراد أن يقصهم علينا»¹. ويبدو أن الشيخ راعى ذات ا سـ ألة أيضا ا
عنصر الاقتداء؛ الذي يـ ز عبد من سائر العباد، أكثر ا يـ ز ن من الأنبياء.
هكذا هو منهج الشيخ بيوض تعامله مع الروايات الواردة عند افسرين تفسـ آيات
الأخبار والقصص، فما كان منها افا للشرع - إحدى أصوله أو فروعه- يذكره لبيان بطلانه
وتصحيح الأفكار والاعتقادات حوله، وما كان منها غـ افا للشرع، فإما أن يكون موافقا له
فيحقه، وإما أن يكون مسكوتا عنه فيذكره استئناسا؛ مع توقفه عن تصديقه أو تكذيبه، هـ، وقـ د
يرجح بالقرائن عند اختلاف الروايات؛ مع عدم ا زم ا توصل إليه؛ ومع ا انه العميق بأن قصص
القرآن أهم وسيلة لتقرير العقائد وتشبيها وإصلاح النفوس من خلا ا، ا جانب ذلك قناعتـ هـ
الراسخة بأن القرآن لا يتناول من الأخبار إلا ما فيه العـ هـ، فالأفضل لدى اؤمـ به عدم اوص
فيما سكت عنه.

ثالثا/ العقل والتأويل

بعد تطرقنا لألية النص، ودورها فهم العقيدة وعرضها عند الشيخ بيـ وض - وذاـ كـ مـ ا
وضحناه تفسـ هـ للقرآن بالقرآن، واستئناسه بروايات الأخبار غـ ا خالفة للشرع -، بقـ ي أن
نتساءل: ما هو موقف الشيخ من الآيات والقضايا العقدية اا ترد بيا ا نصوص أخرى؟ هل
يعمل العقل فيها أم يهمله؟ وإذا كان يرى للعقل فيها دورا، فما هي حدوده؟ ذلك ما سـ نتعرف
عليه من خلال ث موقفه من تأويل ا تشابه، ومن النظر ا مسائل اُغيبه عن العقل.

1/ موقف الشيخ بيوض من تأويل ا تشابه:

من ا علوم أن نصوص القرآن العقدية تنقسم من حيث وضوح دلالتها، ا قسم : نصـ وص
كمة ونصوص متشابهة، فالنص ا كم هو ما علق حكمه يظاها، أو ما كان تأويله تـ يله، فهو
يعرف عند اعه ولا تمل وجه ، ويدل على معناه بوضوح؛ لا خفاء فيه. والنص ا تشابه هو
النص الذي لو من الدلالة الراجعة على معناه².

¹ - (م.س)، ص 88-89.

1- صبحي الصا : مباحث علوم القرآن، دار العلم للملاي، بـ وت- لبنان، ط21: 1997م، ص 282، واطفيش: شامل
الأصل والفرع، د.م، د.ت، ج1/ص48.

فالنص | كم لا خلاف | موقف العلماء منه ولا فهمه، ومأتى | لاف م- وقفهم م- ن
| تشابه؛ حيث انقسموا فريقاً :

الفريق الأول: وهم السلف، الذين يرون أن الآيات التشابه لا تدل بنفسها على إرادتها،
و يفسر | تعا ما أراده منها؛ فهو أعلم براده؛ وبالتا فهم يؤمنون بالتشابه، ويفوضون علمه
إ | وحده.

الفريق الثاني: وهم | لف، يرون أن التشابه، يعلم تأويله الراسخون العلم¹، ومثال التشابه:
| روف | قطعة أوائل بعض السور، والآيات | يوهم ظاهرها تشبيه | القلق².
ومنشأ اختلافهم قوله تعا: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين - فلوهم زيغ فيتعون ما تشابه منه إيتغاء الفتن وإيتغاء تأويله وما يعلم تأويله، إلا | الراسخون - العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) (آل عمران: 7)، يكمن اختلاف العلماء فهم هذه الآية، أن «من جعل الوقف على لفظ | لالة، قال: لا يعلم تأويل التشابه إلا | ، فنؤمن به ونفوض علمه له ولا نبحث تأويله، ومن جعل الوقف على: (والراسخون - العلم)، قال: «لا يعلم تأويله إلا | والراسخون العلم» فهم يعلمون تأويله بإرادة معتملة اللفظ...»³.

* فما هو موقف الشيخ بيوض من تأويل التشابه، معترك هذا | لاف؟ لكن قبل ذلك ما هو مفهوم التشابه عند الشيخ بيوض؟ وما هو مفهوم التأويل عنده؟

أ/ اختلاف العلماء مفهوم التشابه:

بداية نود أن نشير إلى أن العلماء اختلفوا مع التشابه إ أقوال: فمنهم من يرى أنه م- | يصرف عن ظاهره كآيات الوية للتشبيه، ومنهم من يرى أن التشابه ما استأثر بعلمه، كقيام الساعة و | روف | قطعة أوائل بعض السور، ومنهم من يرى أن التشابه ما يتضح معناه، ومنهم من يرى أنه ما تمل وجه فما فوق، ومنهم من يرى أنه ما يعقل معناه كآء- داد

¹ - عبد الوهاب خلاف: أصول الفقه، ص 176.

² - (م.س)، ص 175-176.

³ - (م.س)، ص 176.

الصلوات واختصاص الصوم بـرمضان، ومنهم من يرى أن التشابه ما لا يستقل عنه بل يـرد إـ
غـه، أي إـا كم... وغـها من الأقوال¹، إلـ تدل إـية الأمر على خفاء دلالة التشـابه؛
وبالتـا صعوبة إدراكه أو استحالة.

ب/ مفهوم التشابه عند الشيخ بيوض:

ما اطلعنا عليه من تفـسـ الشيخ بيوض؛ نقف على تعريف اصطلاحي ـدد للمتـشـابه،
ومن خلال استقراءنا لبعض الواضع إلـ تعامل فيها الشيخ مع آيات متشـابـات ـبـا عـ العقديـ
وجدناه يرى أن التشابه يشمل أغلب إـعا ـالسـالفة الذكرـ إلـ ذهب إليها العلماء، ومؤداهـ إـا
خفاء حقيقة اللفظ أو النص التشابه.

وكن أن دد مواصفات التشابه عند الشيخ ـكما استنتجناهاـ النقاط الآتية²:

(أ) هو ما يتعلق بشأن من شؤون إـا تعا .

(ب) ما استأثر إـا تعا بعلمه.

(ج) ماله وجوه متعددة، تملها اللفظ.

(د) ما لا يتعلق به تكليف العقيدة ولا العبادة ولا السلوك.

(هــ) ما يـيد الشارع إـراد منه، و يرد دليل صحيح عن الذـمـ تفـسـه.

(و) ويشمل التشابه عند الشيخ ـأيضاـ ما يقتضي ظاهره إشكالا وتعارضاً مع نصوص أخرى.

ج/ مفهوم التأويل عند الشيخ بيوض:

التأويل عند الأصوليـ والتكلمـ هو: «صرف اللفظ عن حقيقته إـ إـازة لقربة³ اقتضـت
ذلك الصرف».

والقرآن الكر يستعمل التأويل ـكما ذكر الراغب الأصفها ـ عـ رد الشـيـء إـ الغايـة
إـرادة منه، علما كان أو فعلا، وبستعمله عـ البيان كما قوله تعا : (هل ينظرون إـلا تأويلـه

¹ - اطفيش: شامل الأصل والفرع، ج1/ص49.

² - انظر: تفـسـ سورة السجدة: ص 36-37، تفـسـ سورة طه: ص 215-216، تفـسـ سورة لقمان: ص 17-19.

³ - الساي، أبو مد عبد إـ بن حميد: كتاب شرح طلعة الشمس علمي الألفية، وزارة التراث القومي، عمان، ط3:

1413هـ- 1993م، ص169.

يوم يأتي تأويله) (الأعراف: 53)، أي: بيانه، وكما قوله تعالى: (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: 59)، قيل معناها: أحسن مع وتر¹.

وما عدنا إلا ما أيدنا من نفس الشيخ بيوض، نقف فيه على تعريف دد للتأويل - كما ا تشابه -، إما وجدناه يرى أن الأصل كل ما استعمله القرآن وا ديث من ألفاظ أن تحمل على معناها ا قيقى الظاهر، إلا إذا تعذر لها على ذلك، فإنه يلتمس ا تأويل، وضرب مثالا ا ذهب إليه؛ الآيات ا وة لتشبيه ا الق - تبارك وتعالى - با خلوق².

فمفهوم التأويل عند الشيخ مطابق لتعريف الأصولي وا تكمل له.

د/ موقف الشيخ بيوض من تأويل / تشابه:

نقرر بداية أن الشيخ يصنف ا تشابه ضمن أصعب مواضيع القرآن ثا ومعاة فيقول: «إنه ن أخطر ا واضع ال يصعب ا ديث فيها: ال تتعلق بشأن من شؤون ا تعالى ا اصة به، والصعوبة تأ من حيث إن ا ووض فيها، أو الآيات ا تشابه مزلة أفدام، لأنه س-ير أوء-ر الطرق، إذ الإنسان لا ملك ا رية التامة ا مطلقة التأويل والنفس، فيذهب بنا و-الا كم-ا يصنع بكلام البشر، فيقول الشاعر ما يقل، والكاتب ما يكتب - وإن ك-ان يقص-ده-، ولكن ليس الأمر كذلك بالنسبة للمواضيع ال تتعلق بشؤون ا ا اصة ال لا مكن الوقوف على حقيقتها»³.

فالشيخ يغلق باب التأويل، لكنه دعا إ ا ذر والتورع عند ولوجه، مبينا وجه ا طورة فيه، وهو كون الإنسان - تلك ا واضع اعلقة بالغيب - مقيدا ا أخ به الشارع؛ وليست له حرية نفس ها، كما كلام البشر.

¹ - الراغب الأصفاها ، أبو القاسم اُس بن مد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، ب وت - لبنان، ط1: 1418هـ - 1997م، ص299.

² - نفس سورة الكهف، ص 226-227.

³ - نفس سورة السجدة: ص 36.

وقد جاء موقف الشيخ من التشابه موقفاً وسطاً بين الفريق الذي يفوض علم التشابه إلى أستاذه وتفويضاً مطلقاً، وبالفريق الذي يميز للراسخ العلم تأويله، وكن تلخيص موقف الشيخ الآتي¹:

(أ) أول ما يجب على المرء أن يفوض العلم حقيقة التشابه إلى أستاذه، لأنه أعلم برأيه منه؛ وذلك كمنطلق عام.

(ب) لا حرج على العلماء بعد ذلك أن يبحثوا عن العلل والكم والعلل التي تملها اللفظ التشابه، اعتماداً على القرائن، وأن أولوا إصابة كلمة أستاذهم جهداً استطاع، وما يصح لموايد إدراكه فوضوا علمه إلى أستاذه.

وقد قيد الشيخ موقفه من التأويل بضابط أو شرط:

الشرط الأول: ألا يؤدي التأويل إلى سيم أستاذه - كما فعلت اليهود - أو إلى وصفه بأشياء ينقصها عليه زمان أو يطم به مكان²، وفهوم مخالفة؛ أن يؤدي إلى تزيين أستاذه عن كل صفات النقص، ووصفه بكل صفات الكمال.

الشرط الثاني: يقول فيه الشيخ: «ألا يعتمد قول من الأقوال، ويعتقد فيه اعتقاداً راسخاً أن هذا هو الحق، وغواه هو الباطل، فلنا أن نتأول الكرسي أو الاستواء أو غواه تتأوله، ولكن ليس لنا أن نقول: إن هذا هو الحق وغواه الباطل، إذ يمكن أن يكون المعام أدركناه واختبرناه، واطمأنت إليه نفوسنا، وقد يكون غواه»³.

بعد هذا التقييد لاستعمال التأويل، حكم الشيخ على موقفه - من غواه جزم - فيقول: «فإن إذا سلّمنا من هذين الأمرين - أي ما ذكره سابقاً - فلا بأس من التأويل، وإننا نظن أننا على الصراط المستقيم»⁴.

ولعل هدف الشيخ من هذا التقييد يكمن أمرين أساسيين:

¹ - انظر: (م.س): ص 36-37، نفس سورة الشعراء: ص 284، نفس سورة لقمان: ص 17-19، نفس سورة الأحزاب: ص 693.

² - نفس سورة السجدة، ص 37.

³ - (م.ن).

⁴ - (م.ن).

- (1) إمساك العقل - أثناء التأويل - عن الابتعاد عن كمات النصوص وظواهر الألفاظ، وعدم مصادمة أصول الدين ومقاصده.
 - (2) تأكيد مبدأ: طنية النص التشابه دلالة، لا يقطع بوجه من وجوه التأويل، ويرد على -م حقيقته إا ، اية الأمر.
- وفيما يلي اذج من رأي الشيخ بعض اسائل اتشاة.

هـ- / موقف الشيخ من / روف / قطعة / أوائل السور:

من لمة متشابات القرآن: أوائل السور ابدوءة روف هجائية مقطعة، مثل: أ-م، طيس-م طيس، ص، ق...¹.

فهل كان موقف الشيخ بيوض منها؛ موافقا وقفه من تأويل التشابه عموما؟ من خلال استقراءنا تفسد الشيخ لتسعة سور²؛ -متضمنة الأجزاء ابطوعة- مبدوءة بتلا-ك ا روف، لاحظنا أن موقفه منها مضطرب، ومتناقض مع موقفه العام من التشابه، فهو من جهة يرى أن «أول ما بب على اراء اه هذه ا روف أن يفوض فيها الأمر إا ا تعا، فهو أعلم راده منها، وليس بعد ذلك حجر على العلماء، أن يبحثوا ا كمة واراد من هذه ا -روف، ولكل عا رأي وقول، لكن لا وز القطع أن هذا هو اراد لا غ، فلو صح عن الذ p ش-يء لقبلائه»³، وهذا ا وقف هو ما صرح به الشيخ مواضع من تفسد ه ذه ا روف⁴، وهو موقفه من تأويل التشابه عموما، وهو موقف صحيح؛ باعتبار أنه ينب على مذهب كثر م-ن العلم-اء الذين «ذهبوا إا أن الراسخ العلم كن أن يؤولوه تأويلا تمله اللفظ ... وهو لا يع-دو حدود الظن»⁵.

وبعد تصريح الشيخ وقفه هذا، يأخذ بيان أهم الأوجه ا تملّة، ال ذهب إليها العلم-اء تأويلها، وغالبا ما يرجح قول هور ا فسرين، الذين ذهبوا «تفسد مع هذه ا روف إا أن ا تعا أراد أن يقيم ا جة على كفار قريش أن هذا القرآن كلام ا ا ل، مركب من نف-س ا روف ال ينطقون ا، ... ونفس الكلمات، ولكنهم عجزوا عن أن يأتوا ثله، وهذا من أقطع الأدلة على أن القرآن من نسج ا تعا، وأكثر السور ابدوءة ذه ا روف؛ ذكر بعدها لفظ الكتاب أو القرآن، أو آيات الكتاب»⁶.

¹ - نفس سورة لقمان: ص 18.

² - وهي: مر، طه، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان والسجدة.

³ - نفس سورة الشعراء: ص 284.

⁴ - انظر: نفس سورة لقمان: ص 17-19، نفس سورة العنكبوت: ص 6-8، نفس سورة السجدة: 5-6.

⁵ - مد فتحي الدري: اناهج الأصولية الاجتهاد بالرأي التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ب وت، ط3:

1418هـ/1997م، ص 138.

⁶ - نفس سورة النمل: ص 5-6.

هذا من جهة، لكن من جهة أخرى وجدنا الشيخ - موضع اثني - يدل إلى مذهب السلف؛ القائل بالتفويض أطلق تعاً تأويل التشابه، دون البحث في العلل والكـم، إلى تكمن هذه الروف وأمثا.

فبعد أن ذكر طائفة من الأقوال مع تلك الروف، مناسبة تفسر للحر ف: طه، من سورة طه؛ قال: «والذي تطمئن إليه نفوسنا أن نقول: أ تعاً أعلم براده من هذه الروف، وذلك لأنه لا يتعلق ما شيء من العقيدة أو العبادة أو المعاملة...»¹، فقد علل الشيخ اختياره هذا، بأن هذه الروف لا يتعلق ما شيء من التكليف، وكأننا ما هي أقرب إلى الترف الفكـري، - الشيخ قدوته هذا الاختيار فقال: «وقد سلم هذا الأمر من هم أفضل منا ومن هم أقرب من منع الوحي: الصحابة رضوان أ تعاً عليهم، فلم يسألوا الله عما تعنيه هذه الروف، لأن أ تعاً ملأ قلوب إنا، فأمر هذا إلا أن التفويض والاستسلام»²، تعجب الشيخ منهم؛ كيف يسألوا عن هذه الروف؟ ولعل إنساناً يفهم من تفويضهم هذا، ما كان بكلام أو زهداً في العلم. فيفسر الشيخ موقفهم من هذه الروف قائلاً: «ولا يدل هذا أبداً على التهاون بالأمر أو التهاون بكلام أ تعاً، ولا على قلة الرغبة في العلم من العلم... وإما الذي نراه: أن هذا نتيجة لرسوخ إلا أن قلوبهم»³.

دعا الشيخ بعد ذلك -بصراحة وجدية- إلى تبني موقف الصحابة في تفويض علم هذه الروف إلى أ تعاً، ما كان هذا الموقف هو مرة إلا أن الراسخ، فقال: «وإذا كان هذا موقف الصحابة... فهلا وسعنا ما وسعهم، وكفينا ما كفاهم، ومن لن يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه»⁴، و موضع آخر يدعو إلى تبني هذا الموقف عموماً مثل تلك الروف، وغـها من الآيات المتشابهة: «فما كان إذن من هذا النوع من الآيات التي يتضح معناها، علينا أن نفوض فيها الأمر أ تعاً»⁵.

¹ - نفس سورة طه: ص 215-216.

² - (م.ن).

³ - (م.ن).

⁴ - (م.ن).

⁵ - نفس سورة لقمان: ص 17-18.

و ن بعد هذا تتساءل؛ اذا اضطرب الشيخ ب موقف مسألة واحدة - ا روف اقطعة أوائل السور-؛ و ينسجم مع موقفه العام من التشابه؟ إذا كان الشيخ قد مال إ م-ذهب التفويض، اقتداء ما ذهب إليه الصحابة ١٢، واقتناعاً منه وقفهم -وهم الذين يعت- هم الشيخ؛ ارجع الأساس فهم القرآن وتنفيذ أحكامه¹ - فلماذا يتمسك الشيخ ذا اوقف م-ن أول الأمر؟! ويلتزم به سائر نفسه لأوائل السور ابدوءة بتلك ا روف، فيوفر على نفسه وعلى مستمعي دروسه جهد تتبع الأقوال، ويستفيد الاقتداء العملي وقف الصحابة ١٢.

ز/ رأي الشيخ الألفاظ / مشكلة عقدياً:

من النصوص المتشابهة تلك ال تتضمن ألفاظاً مشكلة، لا تدل بصيغتها على معناها، ويستشكل العقل اراد منها، هل هو اقيقة أم ااز؟ يرى الشيخ بيوض مثل هذه الألفاظ، الرجوع إ التمثيل والتصوير أي سلوك مسلك القرآن الكر تصويراً اردة صور مسوسة²، وهو تعب بوجه آخر عن التأويل، وهو: صرف اللفظ عن اقيقة إ ااز لقربة.

وقد استدلل الشيخ لرأيه هذا، ما ذهب إليه طائفة من العلماء، وذكر منهم الشيخ مد رشيد رضا³، الذي أشار إ هذا الرأي نفسه قوله تعا: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ طُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) (الأعراف: 172)، حيث قال الشيخ مد رشيد رضا نفسه هذا الإشهاد الربا: «أي أشهد كل واحد من هذه الذرية ا تسلسلة على نفسه؛ ما أودعه غريزته واستعداد عقله؛ فائلاً: -قول إرادة وتكوين، لا قول وحي وتلق- ألسنت بربكم؟ فقالوا كذلك بلغة الاستعداد ولسان اال، لا بلسان اقال: بل- أنت ربنا واستحق وحده لعبادتنا... وهذا النوع من التعب والبيان يسمى ع-رف علماء البلاغة بالتمثيل، وهو أعلى أساليب البلاغة، وشواهد القرآن وكلام البلغاء كثة»⁴.

¹ - نفس سورة الأحزاب: ص 369.

² - نفس سورة الأحزاب: ص 695.

³ - (م.ن).

⁴ - مد رشيد رضا: مصدر سابق، ج 9/ص 387.

فالشَّيْخُ مَدَّ رَشِيدَ رِضَا يَرْجَحُ التَّمَثِيلَ تَفْسِدَ إِشْهَادِ تَعَا لِعِبَادِهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَالَّذِي اعْتَدَاهُ كُنَايَةً عَنْ فِطْرَةِ التَّوْحِيدِ الْفِطْرَةِ الْعِبَادَةِ، وَهِيَ عَقُومُ الْإِسْتِعْدَادِ، وَاعْتَدَى الشَّيْخُ رِضَا هَذَا عَـهُ هُوَ مَا يَتَبَادَرُ فِي الْفَهْمِ مِنَ الْآيَاتِ لِذَا¹، وَقَدْ سَلَكَ الشَّيْخُ بَيُوضَ ذَاتَ الْمَسْلكِ - تَقْرِيْبًا - تَأْوِيلَ الْأَلْفَاظِ الْمَشْكَلَةِ.

و/ مثال لتأويل الشكل عند الشيخ (لفظ العرض):

نَاسِبَةٌ قَوْلُهُ تَعَا : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (الأحزاب: 72)، فَسَّرَ الشَّيْخُ بَيُوضَ أَوَّلًا مَعَ الْأَمَانَةِ الْآيَةِ، بِأَنَّ مَوْعِدَ الْقُرْآنِ مِنَ التَّكْلِيفِ وَالتَّوْجِيهَاتِ، أَلَّا لَوْ أَنْزَلْنَا عَلَى جَبَلٍ لَتَصَدَّعَ بَعْدَ مَا كَانَ مَتَمَاسِكًا، مِنْ ثِقَلِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ، وَقَدْ اسْتَنَدَ الشَّيْخُ فَهْمَهُ هَذَا عَلَى قَوْلِهِ تَعَا²: (لَوْ أَنْزَلْنَاهَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) (الشورى: 21).

رَأَى الشَّيْخُ -بَعْدَ ذَلِكَ- إِشْكَالًا لَفْظِيًّا: الْعَرَضُ وَالْقَصْدُ مِنْهُ، فَتَسَاءَلُ: «م-أ-مَعَ الْعَرَضِ؟ هَلْ اسْتَشَارَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ مَلِ الْأَمَانَةَ فَقَالَتْ: لَا نَسْتَطِيعُ، جَاءَ الْإِنْسَانُ فَقَالَ: أَنَا مُسْتَعِدٌّ لِحَمْلِهَا؟ هَلِ الْعَرَضُ حَقِيقَةٌ؟ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا كَانَ ذَلِكَ؟»³، يَكْمُنُ اسْتِشْكَالُ الشَّيْخِ لِلآيَةِ صَعُوبَةُ الْفَهْمِ لِعَرَضِ أَمَانَةِ التَّكْلِيفِ عَلَى مَا لَا يَعْقِلُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ: السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ.

ذَكَرَ الشَّيْخُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ عَرَضَ الْأَمَانَةِ عَلَى السَّمَاوَاتِ تَمَعًا عَلَى حَقِيقَتِهِ وَظَاهِرِهِ، مُعْتَمِدِينَ ذَلِكَ عَلَى رَوَايَاتٍ تَلَفَتْ، سَاقَ الشَّيْخُ بَعْضًا مِنْهَا، وَعَلَّقَ عَلَيْهَا بِعَدَمِ الصَّحَّةِ وَالثَّبُوتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «وَالْأُمُورُ الْغَيْبِيَّةُ لَا يَقَالُ فِيهَا بِالرَّأْيِ، فَلَوْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ صَحِيحٌ لَقَبَلْنَاهُ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، وَنَفُوضَ الْأَمْرِ فِيهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَفْسِيرٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ

¹ - (م.س)، ج 9/ص 388.

² - نفس سورة الأحزاب: ص 692-693.

³ - (م.س)، ص 693.

عن هذا العرض، ولا عن زمانه، ولا عن كيفيته»¹، واعتد الشيخ كل ما قاله افسرون -اعتمادا على تلك الروايات- رد م، قرر موقفه من هذا الشكل، بأن «الراجح هو الرجوع إلى التمثيل»².

في الشيخ أن قوله تعا: (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال) هو نوع من التمثيل، اقصد منه بيان ثقل كلام تعا وعظم شأنه، باعتبار نسبته إلى أو Y وباعتبار ما يتضمنه من حكم وأسرار، وشريعة هادية إلى ما فيه السعادة، وأن هذا التصوير يظهر منه للمتأمل حقيقة ما أعطى الإنسان من إرادة واختيار يعطى له، وما كلفه من أمانة يكلفه -أ- غ ه، فقدم له تلك الصورة؛ «ح» لكأن هذا التكليف عرض على السماوات والأرض وأ-ال فجرت عن له، وحقيقة إ-ال لا تستطيع له ما يكن أ-ي»³.

ي/ خصائص منهج الشيخ بيوض تأويل / تشابه:

كن أن نستخلص خصائص منهج الشيخ تأويل تشابه -من خلال الأمثلة السابقة- النقاط الآتية:

- (1) إلا أن بأن حقيقة تشابه علمها عند تعا وحده.
 - (2) ضرورة اجتهاد العلماء إصابة أ-ق مع تشابه، مع عدم القطع بنتيجة البحث، إذ تبقى دلالة تشابه إطار الظن.
 - (3) ردات تشابات إلى النصوص الحكمة، وتأويلها إطار أصول الدين وقواء-ده ومقاص-ده الكلية، ضمانا لسلامة الفهم والاعتقاد، وحفاظا على وحدة النصوص من التناقض.
- بعد أن رأينا موقف الشيخ بيوض من تأويل تشابه، الذي أعطى فيه دورا مهما للعقل الفهم والترجيح مع التقيد بالشرع؛ فما هو موقفه من أسئلة أغبية عن العقل أ- لا مطم-ع ل-ه إدراكها؟

2/ موقف الشيخ بيوض من أسئلة أغبية عن العقل:

¹ - (م.س)، ص 695.

² - (م.ن).

³ - (م.س)، ص 696، و مسألة تأويل الشكل عند الشيخ، انظر أيضا: تأويله لثقل موازين نفسه سورة المؤمنون: ص 267، وتأويله لآخ نفسه سورة المؤمنون: 265-266.

قبل أن نتعرف موقف الشيخ بيوض من أسئلة أغنية عن العقل، سن بنا أن نرى مفهوم الغيب استعمال القرآن الكر، وعند الشيخ بيوض.

أ/ مفهوم الغيب استعمال القرآن الكر :

قال الراغب الأصفها : «الغيب: مصدر غابت الشمس وغها: إذا استترت عن الع، يقال: غاب ع كذا، قال تعا : (أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) (النمل: 20)، واستعمل كل غائب عـن الامة، وعما يغيب عن علم الإنسان الغائب، قال: (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَدِينٍ) (النمل: 75) ... والغيب قوله: (يَوْمَنُونَ بِالْغَيْبِ) (البقرة: 3)، ما لا يقع تـ واس ولا تقتضيه بداءة العقول، وإنما يعلم الأنبياء عليهم السلام، ويدفعه يقع على الإنسان اسم الإد»¹.

ب/ مفهوم الغيب عند الشيخ بيوض:

يرى الشيخ أن الغيب هو كل شيء غ موجود عا أسوسات، أو هو كل موجود وراء ادة، سواء كان يتعلق بالعالا الدنيوي أم بالعالا الأخروي، ويرى أن علم البشر هذه الأمور إـا هو بإخبار تعا عن طريق الوحي، وإـا يطلع على غيبه من يشاء وإـا يشاء، كما أخـا تعا عن بعض أحوال القيامة القرآن الكر².

فالشيخ ذا التعريف فصل دائرة الغيب عن دائرة الشهادة، بالنسبة لنظر العقل، وحصر إدراك العقل لعا الغيب ما أخـا به الوحي.

ج/ موقف الشيخ بيوض من أسئلة أغنية عن العقل: يرى الشيخ أن اوقف الواجب على اسلم اه الغيب ومسائله، هو التصديق به وقبوله، والوقوف عند حدود ما أخـا تعا منه دون زيادة ولا إنقاص، أو ث فيما استأثر بعلمه، إذ لا يعلم الغيب إلا³.

- مثال قضية الروح:

فبمناسبة قوله تعا : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: 85)، عقد الشيخ فصلا طويلا مسألة الروح، لا ث حقيقتها، بل بيان

¹ - الراغب الأصفها : مرجع سابق، ص 616-617.

² - نفس سورة النمل: ص 144-145.

³ - (م.ن).

واقع الترف الفكري الذي جر بعض العلماء والفلاسفة إلى مسألة غيبية كهذه، فأخذ الشيخ يذكر الإشكالات التي طرحها هؤلاء الموضوع، والآراء الغربية التي ذهبوا إليها، ومن بين الإشكالات التي حكاها الشيخ عنهم: «أين كانت الروح قبل أن تلبس؟ هل وجدت قبل أن تلبس؟ أم وجدت معه؟ أم وجدت بعده؟ هل الأرواح موعدة كلها مكاناً إذا خلقت؟ أم جسماً أو صور خلقاً يبعث إليه بروحه؟ ... وعلى قدر اختلافهم في الروح قبل أن تلبس بأجسامها؛ اختلفوا في مصيرها بعد خروجها منها، ويتولد عن هذا مذهب التناسخ، مسندين إلى أشياء من بنات عقوم»¹، حيث يقولون بتناسخ الأرواح، أي أن روح كل شخص يرجع من جسمه و تلبس بآخر².

ويعلق الشيخ بعد ذلك على هذه الباحثة بقوله: «ولكن كل هذا خبط عشواء، إنهم إما رصون، وإنهم إما يظنون، لا أحد يقف على حقيقة مصائر الأرواح بعد خروجها من الأجسام»³، إلا أنها تعال.

بـ الشيخ سبب عدم تفصيل القرآن حقيقة الروح وغاها من المسائل الغيبية، مفترضا سائلاً يسأل: "إذا كشف الله القلوب والصدور من هذه الغاية؟ وهو الذي يقول: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) (الإسراء: 22)»⁴، فأجاب الشيخ بأن البشر هم الذين أمرضوا أنفسهم بهذه القضية، لأنها لا تتعلق أبداً بالله على أمره معرفته، وتقوى السلوك به، من أحكام العبادات وأعمال والأخلاق والعقائد، ولا تتعلق بأقرب أمر من ربه⁵.

يبـ الشيخ موقف الواجب إذاً مثل هذه القضايا فيقول: «ولعل الاعتراف بالعجز والقصور، وتفويض الأمر إلى الله هو الأنفع والأولى كثرة من الأشياء، لأن ذلك تعظيم الله»⁶.

¹ - نفس سورة الإسراء: ص 158.

² - (م.ن).

³ - (م.ن).

⁴ - (م.س): ص 163 - 164.

⁵ - (م.ن).

⁶ - (م.ن).

- مثال قضية ا لى وتعلقها بالإرادة الإلهية:

من القضايا الغيبية ال يدعو الشيخ إ التسليم فيها؛ قضية ا لى وتعلقها بالإرادة الإلهية كمـا قال تعا : (إنما أمره، إذاً أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون) (يس: 82).
فبمناسبة قوله تعا : (ما كانَ - أن يتخذَ من وليد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ - فيكون) (مر : 35)، بـ الشيخ ما ب اعتقاده وهو أن إرادة ا إذ تعلق بشيء كان ذاـلك الشيء، الوقوف عند هذا ما أخـا به دون التعمق البحث عن سر ا لى، لأنه من أسرار ا تعا ، واض فيه يؤدي إ الشرك، وذكر الشيخ بأن العجز عن إدراك هذه ا حقيقة يستوي فيه الناس يعا، عاهم كجاهلهم¹. ودعا إ الفهم الصحيح ذا القضية قائلاً: «ولنكتف بالفهم العامي العجائزي البسيط؛ الذي لا يعرف من الفلسفة شيئاً، ولا يدرك الفرق بـ خطاب ا عدوم وخطاب ا وجود، وإما فصاراه أن يقول: ما يردّه ا يكن، ولا شيء وراء هذا.
يعلق الشيخ على هذا الفهم وما يترتب عنه من إ ان: «وهذا حقاً هو الفهم الصحيح، وهو الإ ان النظيف النقي السليم، الذي ليس فيه شائبة شرك أبداً، فإيانا يعا من التفلسف مـل هذه ا واطن الكى»².

فالشيخ يعتـ التفلسف وإعمال العقل القضايا الغيبية ال يفصل فيها الوحي، يـ يؤدي إ الشرك، كما أن التكذيب ا شرك أيضاً، لا ا ا استأثر ا تعا بعلمه ولا يبلغ علم البشـر إ كنهه، ووقف السليم هو الإ ان ما أخـا به وتسليم حقيقته إليه وحده تعا . ويستشـهد الشيخ عددٍ من مواضع تطرقه ذه القضايا؛ بالقول ا أثور عن بعض العلمـاء - إدراك ذات ا صفاته - : «العجز عن إدراكه إدراك، واض إدراكه إشراك»³.

- مثال قضية ا داية والضلال:

و مناسبة قوله تعا : (ومن يهن ا فما له، من مكرم إن ا - يفعل ما يشاء) (ا ج: 18)، ذكر الشيخ اختلاف الناس بـ مؤمن وكافر، وبـ أصحاب ا نة وأصحاب النار، ي عن ا - واض سبب هذا الاختلاف بعد أن سد ا تعا كل باب بقوله: (إن ا - يفعل ما يشاء)، لأنه يـدـر

¹ - نفس سورة مر : ص 91.

² - (م.ن).

³ - نفس سورة الإسراء: ص 36. وانظر أيضاً: ص 164.

للخالق، و ال على ا خلوق أن يدرك سره، والبحث هذا السر هو سبب ضلال كـ ث مـ ن الناس، «إذ يقيسون ما عندهم ا عند ا ، وما الأخرى ا الدنيا، وكل ما تصل إليه عقوم ينكرونه»¹.

بـ الشيخ ا وقف السليم من هذه القضية، وهو وجوب الاعتقاد بأن ا تعا م هـ عـ ن أن يظلم الناس شيئاً - لكن الناس أنفسهم يظلمون-، وأن أفعاله كلها حق، كما ب تفويض سـ ر اختلاف الناس إليه، طلب ا داية والعزة منه وحده، أما أن يطمع أحد إدراك سـ ر التوفيقـ قـ وا ذلان، فهذا أمر ا².

د/ خصائص منهج الشيخ / سائل / غيبة عن العقل:

تتلخص خصائص منهج الشيخ ا سائل ا غيبة عن العقل - وهي القضايا العقدية الـ يرد بها ا النص - ما يلي:

(1) **إذا كانت تلك القضايا من اتشابات:** يرى الشيخ تفويض العلم قيققتها إ ا تعا أولاً، بذل ا هد تأويلها؛ بالبحث حـ كمها ومعانيها الـ تملها الألفاظ اتشابة، اعتماداً على القرائن.

(2) **إذا كانت تلك القضايا من ا سائل ا غيبة عن العقل:** الـ لا حظ له إدراكها، فـ ي الشيخ وجوب التصديق ا والوقوف عند حدود ما أخ ا تعا ، وتسليم الأمر فيها تعا ، حفاظاً على سلامة الاعتقاد.

¹ - نفس سورة ا ج: ص 379-380.

² - (م.س): ص 380-381. وانظر أيضاً هذه القضية: نفس سورة الكهف: ص 251.

نتائج الفصل الأول

* تتمثل خصائص منهج الشيخ بيوض بث العقيدة النقاط الآتية:

- (1) يعتد الشيخ القرآنَ الكر ، ا علم وا صدر الأساس فهم العقيدة، بتفسد بعضه ببعض:
- لضمان الفهم السليم للمصطلحات العقدية، وطريقة استعمال القرآن ا.
- و ل الإشكالات العقدية الواردة الأذهان.
- ولتوضيح مشاهد ا دث الواحد أو القصة الواحدة، ذلك مع أشتا ا كامل الس-ور القرآنية.

(2) كما أن لتفسد السورة على أساس وحدة موضوعها، والتناسب ب آيا ا، دور ك-ب.

الفهم الأمثل سائل العقيدة ا بثوثة فيها.

- (3) الروايات الواردة تفسد آيات الأخبار والقصص، يتعامل معها الشيخ بالنقد والتمحيص، فما كان منها الف للشرع، يذكره الشيخ لبيان بطلانه والتحذير من اعتقاده، وما كان منها غ الف للشرع، فإما أن يحقه إذا توافق مع الشرع، وإما أن يذكره استثناسا - مع التوف-ف ع-ن تصديقه- إذا سكت عنه الشرع، وقد يرجح بالقرائن عند اختلاف الروايات، مع عدم ا زم - ا يتوصل إليه.

- (4) يعتد الشيخ قصص القرآن أهم وسيلة لتقرير العقائد، وإصلاح النفوس، ف ي أن ا ن-ه هج الأمثل فهمها هو الاكتفاء واطن الع ة منها، وعدم ا وض فيما سكت عنه الق-رآن م-ن تفاصيلها، لأنه لا يأخذ من التاريخ إلا ما فيه الع ة.

- (5) يقف الشيخ من ا سائل اُغيبية عن العقل -ال- يرد بيا ا النص-، موقف التصديق ا وتفويض حقيقتها إ ا تعا ، مع التورع تأويل ا تشابه منها، وذلك ببحث معانيها ا تمل-ة النص، اعتمادا على القرائن، ودون القطع بنتيجة البحث.

الفصل الثاني

منهج الشيخ بيوض

في بيان وجود الله تعالى

المبحث الأول: معرفة الله تعالى عند الشيخ بيوض

- أولا/ انطلاق العقل من معرفة الله تعالى
- ثانيا/ طريق المعرفة بالله تعالى

المبحث الثاني: الاستدلال على وجود الله تعالى عند الشيخ بيوض

- أولا/ الاستدلال بأدلة الآفاق
- ثانيا/ الاستدلال بأدلة الأنفس

المبحث الأول: معرفة الله تعالى عند الشيخ بيوض

أولاً/ انطلاق العقل من معرفة الله تعالى

العقل هو أصل تكرر الله تعالى للإنسان، وتفضيله على كثير من المخلوقات، هذا العقل - لـ هـ - و قس من نور الله تعالى - كما يرى الشيخ بيوض - وهو مناط التكليف لابن آدم، الذي أسس - تخلفه الله الأرض لعمارها واستخراج ما أودع فيها من طاقات وخزائن لصالحها، وذلك بتوظيف عقله القابل للتعليم والترقي، عكس المخلوقات الأخرى - كالمخلوقات مثلها - التي تركها إلهامات دودة ثابتة منذ أن خلقها الله تعالى¹.

لأجل ذلك يؤكد الشيخ بيوض نفسه على ضرورة معرفة الله تعالى والإيمان به - أولاً، باعتباره شرطاً أساسياً لانطلاق العقل بالتعليم والبحث والاكتشاف - تلف ميادين المعرفة، - يكون علم الإنسان علماً نافعا يسعد به الدنيا والآخرة، إذ يرى الشيخ أن الحياة أنواعاً - من العلوم، فهناك علم نافع وعلم ضار، وهناك علم لا ينفع ولا يضر، لكن العلم الحقيقي الذي يبني على الإنسان أولاً أن يتعلمه هو ما يوصله إلى الله تعالى ورضاه².

كما يؤكد الشيخ على حقيقة التلازم بين العلم والإيمان التي أكدها القرآن الكريم، فلا يتحقق إلا بالإيمان بالله تعالى بدون علم يقيني بالله حقه، ولا ينفع علم الإنسان - مهما بلغ - من دون إيمان³، وقد ذكر الشيخ هذه الحقيقة معرضاً نفسه لقوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنْ كُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (الروم: 56)، ولما شاهد على ما قرره الشيخ، هو قوله تعالى: (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ)، فعرف الشيخ من هم هؤلاء قائلاً: «هم الذين أعطاهم الله العلم، ونور بصائرهم، وعرفوا الحق

¹ - نفس سورة الإسراء: ص 41.

² - نفس سورة الروم: ص 64.

³ - (م.س): ص 345-346.

فآمنوا به وعملوا مقتضاه»¹، ونفى من الأذهان توهم التنافر بين العلم والإيمان، «بـلـا ـ قـ أن الإيمان يأمر بالعلم، والعلم يدعو إلى الإيمان، والسعيد من ع بينهما»².

وقد جسّد الشيخ هذه الحقيقة جل مواضع نفسه للآيات الداعية إلى النظر والتأمل ـ مشاهد الكون والنفس، حيث كان يسوق حقائق علمية حديثة تلك المشاهد، مستدلاً على عظمة الله تعالى وكمال صفاته، ومعتقداً أن ما يرسخ الإيمان القلوب، وذلك ما سنتطرق إليه؛ من خلال أبحاثنا سنعدها هذا الفصل ـ إن شاء الله ـ.

وعندما أسقط الشيخ هذه الحقيقة على الواقع، وجد تفشي ظاهرة الإلحاد والشرك بالله تعالى واقع كثر من الناس الذين آمنوا بالعلم وحده³، خاصة بعدما شهدته العصور الأخيرة من التمدن والتطور السريع العلوم التجريبية والتقنية، وقد بين الشيخ أن هذا الواقع له جذوره عهد التلويح، مع الشرك الأوائل الذين أمر الله نبيه محمد أن يطهروا الناس ويعلموا بالقرآن الذي يقيم عليهم الحجج، وذلك بالنظر مشاهد الكون والحقائق التي يعيشونها، ومن تلك الحجج؛ الآيات المسماة من سورة النمل التي تتدلى كل منها باستفهام الله ـ تنكاري: (ألم ننزل لكم الكتاب من السماء والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنزلناه نارا ـ نارا ـ ذات بهجة ـ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أله مع الله بل هم قوم يعدلون... أم ينسبون بدء الخلق ثم يعيده، ومن ينزل لكم من السماء والارض أله مع الله قل هاتوا برهانكم، إن كنتم صادقين) (النمل: 64-60).

يقول الشيخ هؤلاء المشركون خاطئون بتلك الآيات: «ولو اتبع هؤلاء الطريق الله ـ تقيم، وسلوكوا طريق الفطرة لدلتهم على الإيمان بالله، لأن هذه حقائق لا يستطيعون إنكارها»⁴، فأعرضهم عن الفطرة والطريق المستقيم بسبب شركهم وجهلهم ـ وإن زعموا العلم ـ، كما يصفهم الشيخ موضع آخر بقوله: «أكثر هؤلاء الضالين لا يعلمون، وإن زعموا أنهم وصلوا من العلم درجة كبيرة، ولكن ما أبلدهم وما أجهلهم، وإن علمهم كله لا ينفع ما يؤمنوا بالله تعالى، ويعرفوا ما تقتضيه الفطرة من الإيمان أن هذا الكون مدبراً حكيماً، خالقاً رزاقاً، قديراً عليماً...»

¹ - (م.س): ص 346.

² - (م.ن).

³ - (م.ن).

⁴ - نفس سورة النمل: ص 124.

¹، علمهم هذا كفاهم وأغناهم الدنيا، لكنهم اغتروا وفرحوا به، وكفروا برم، فقد قال فيهم تعا²: (قَلَّمَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) (غافر: 83). يتأمل الشيخ واقعه بعد مرور ألف وأربعمائة سنة من نزول تلك الآية الأخيرة، فيجد الملاحظة والكفرة، وكث من الشباب اتعلم على أيديهم؛ يفرحون أيضا بما عندهم من العلم³، ولا بد من الإشارة إلى أن الشيخ لا يسته بالعلوم المادية، لكنه يكبر عليه أن يغتر أصـ حاب العلمـم بعلمهم، ويكفروا برم، > إذا ذكروا بالـ تعا وباليوم الآخر، سخروا من أهل الدين واحتقروا علومهم، وقالوا بلسان حـم: «ألا هناك من علم أو صناعة أو تقنية»، وطنوا أم أرباب الأرض، يفعلون ما يشاءون، > إم أنكروا سلطان الله عليهم، بل أنكروا الله ذاته، فصـار العلمـم والصناعة إهم ومعبودهم، وذلك ما نعا الله على الأول، وهو ينطبق اما على كث من أهلـل هذا الزمان⁴.

وقد ضرب الشيخ أمثلة واقعية بنفسه، للعقل حينما يسـ بغـ هدى من الله، يتعلم صاحبه ويبحث في شـ صنف العلم، وهو لا يعرف الله ولا يقدره حق قدره، كيف يكون علمه وبـالا عليه، وعلى البشرية عاء، مع أنه مقاييس البشر من العلماء الأفاضل، والأبطال العظام. ومن ذلك مثلا، إشارته إلى فلاسفة اليونان: كـأرسطو وسقراط وأفلاطون، فاعترف الشيخ بمـ أولا بتقدمهم على الفلسفة، لكنه استدرك أن فلسفتهم كلها مبنية على أساطير الآلة المتعددة؛ المتنازعة مع البشر؛ وفيما بينها، كما تأسف الشيخ لافتتان كث من المسلم هذه الفلسفة، وهي كلها إفك وشرك بالله تعا، على ما بعض أصحابنا من تسفل خلقي؛ كأفلاطون الذي يـيح الشذوذ الإنسي، ويدعو إلى إباحية المرأة بصورة عجيبة⁵.

فليس مقياس الاستقامة على الطريق عند الشيخ بيوض، هو التقدم العلمي المادي، إذ لا يصح عنده أن يتخذ العلم المادي دليلا على الاستقامة، إنما مقياس الصحيح هو معرفة الله تعا، > لو

¹ - (م.س): ص 127-128.

² - نفس سورة الروم: ص 68.

³ - (م.ن).

⁴ - (م.س): ص 69.

⁵ - نفس سورة لقمان: ص 458، للاستزادة من الأمثلة سافها الشيخ أسألة، انظر: (م.س): ص 459-464، نفس

سورة الروم: 69-71، نفس سورة المؤمنون: ص 216-219.

كان المرء لا علاقة له بالثبوت بعلوم المادة. وبما ثال يتضح أن الله تعالى، حيث بين الشيخ أنه قد يكون أحد أولياء الله تعالى، وأقرب الناس إليه، ما عرف الدنيا وما عرفته، لكنه يعرف الله تعالى، وأنه لا يسأله يوم القيامة عن عدم اطلاعه على علم من علوم الكفاية، بل يسأله عن علاقته به، فيجيب بأنه عرفه فأحبه واتبعه، فيفتح له ربه أبواب الفردوس الأعلى مع النبي والصديق، والعكس بالعكس - كما يرى الشيخ بيوض - فهناك أعلام بلغوا الذروة العلم الدنيوي، لكنهم من أخبت الشياطين، فهم الدرك الأسفل من النار، بسبب الطغيان بعلمهم، وإطلاق العنان لشهواتهم¹.

إن نظرة الشيخ هذه، لا تعني أبداً استهانت بالعلوم الكونية أو دعوته إلى الزهد فيها، بل يراها وسيلة هامة لصيل الإنسان وترسيخه، إذا طلبها صاحبها بفطرة سليمة، وورد من الشهوات والطغيان. إننا ننظر الشيخ إلى معرفة الله تعالى بفقهاء الأولويات، وفي أن معرفة الله ومعرفة ما به حقه من عبادة وخضوع وتقرب؛ بامتنال الأوامر واجتناب النواهي هي رأس العلم²، وأول ما يجب على المرء تعلمه، ليطلب بعد ذلك ما شاء من العلوم، مع الله تعالى، بشروط تقيده نهج الله تعالى.

وقد ساق الشيخ مثالا واقعيا على العالم الذي يدعوه علمه بالكون؛ إلى الإنسان لا إلى الكفر، وأشاد بعلمه، وهو صاحب النظرية النسبية: ألبرت أينشتاين³، حيث سجل الشيخ للناس ما أبداه هذا العالم من انطباعات إنسانية، بعد اطلاعه على حقائق واكتشافات كثرة الكون، وما نقله الشيخ عنه أنه قال: «إن ديدني هو إعجابي تواضع لتلك الروح السامية التي لا حد لها، تلك التي تتراءى التفاصيل الصغيرة القليلة التي لا تستطيع إدراكها عقولنا الضعيفة العاجزة، وهو إلا أن

¹ - نفس سورة لقمان: ص 457-458.

² - نفس سورة الإسراء: ص 168.

³ - أينشتاين، ألبرت: (1879-1955م)، عالم الفيزياء النظرية، ولد بألمانيا، ودرس في سويسرا، حصل على الدكتوراه من جامعة زيوريخ عام 1905م، سنة 1916م أخرج "النظرية النسبية العامة" وهي حددت العلاقة بين المادية وبين البناء الفراغ ذي البعد الزماني الرابع. أجرى بحثا على ظاهرة "الكهروضوئية" ونال جائزة نوبل للفيزياء سنة 1921م.

ارجع: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالية: **إسبوع العربية الجديدة**، دار النيل، بيروت-لبنان، ط2: 2001م، مج1/ص412.

العاطفي العميق؛ بوجود قدرة عاقلة مهيمنة، تتراءى حيثما نظرنا هذا الكون اعجز للأفهام، إن هذا إلا أن يؤلف مع الله¹.

واعتبار معرفة الله تعالى؛ أول الواجبات على الإنسان، هو مذهب الإباضية، حيث تتعرض هذه المسألة - غالباً - مصادر العقيدة عندهم²، فيقول الشيخ إيطا³ أول الواجبات: «اعلم أن الله سبحانه وتعالى قدم معرفته على العبد الدنيا على سائر الفروضات، كما قدم السؤال عن-ها الآخرة قبل سائر السؤالات»⁴، واستشهد الشيخ إيطا بقوله تعالى خصال الله: (ليس إليه ر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة)، إ قوله تعالى: (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) (البقرة: 177)، كما استشهد الشيخ إيطا حديث الله⁵، جاءه جيل يسأله عن الإيمان وعن الإسلام والإحسان، لا يعلم الناس أمر دينهم⁵.

¹ - نفس سورة لقمان: ص 480-485.

² - انظر مثلاً: اطفيش: شرح عقيدة التوحيد: ص 111.

³ - الشيخ إميل بن موسى إيطا (750هـ/1349م)، ولد بل نفوسة بليبيا، ونشأ بمدينة جيطال، وبعد اراحل الأوامر من التعلم، أخذ العلم عن الشيخ عيسى بن عيسى الطرميسي. اشتهر إيطا بافطته القوية، فكان شيخاً حافظاً، شديداً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. من مصنفاته: -قناطر إيطا، (3 أجزاء) وهي موسوعة فقهية أخلاقية. -شرح نونية نصر، (3 أجزاء مخ) أصول الدين. -فوائد الإسلام (جزءان) الفقه وأصول الدين. معجم أعلام الإباضية، ج2/ص57-58.

⁴ - إيطا: مصدر سابق: ص 5.

⁵ - رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جيل الله عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم 48، «...عن أبي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال متى الساعة قال ما المسئول عنها أعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأئمة ربها وإذا تطاول رعاها الليل ألهم في البتآن في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم إن الله عنده علم الساعة الآية ثم أدبر فقال رده قلم يروا شيئاً فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم قال أبو عبد الله جعل ذلك كله من الإيمان»، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم 9. موسوعة إيطا: حديث الشريف.

و ل الاستشهاد من الدليلين - كما يرى الشيخ ا يطا - هو أن الشارع بدأ بالإيمان بـ ا - عـ ز وجل، قبل وظائف الإسلام¹، وعلل الشيخ ذلك بقوله: «لأنه معرفة ا سبحانه تؤدي العبـادات رغبة مرضاته، وتجنب ا رومات افة سَطَوته والتعرض قته، فمن يعرف معبوده؛ كيف يرجوه لكشف مَلْمة أو تيسر مَهْمة، أو كيف افه إذا ارتكب موبقة أو أ ل فريضة؟»². هذه هي قيمة معرفة ا تعا ، و لها من سائر اعارف والعلوم، فما هو الطريقـ قـ الصـحيح لتحصيل هذه ا معرفة، عند الشيخ بيوض؟

ثانيا/ طريق المعرفة با تعالى

1/ النظر الاستدلا آيات ا طريق ا معرفة به:

يرى الشيخ بيوض أن الطريق الصحيح اؤدي إ معرفة ا والإيمان به هو التفكـر والتـدبر والنظر العقلي آياته، فيها يستدل على وجوده تعا ووحدانيته وقدرته وسائر صـفاته، على طريق الانتقال من الأثر إ اؤثر ومن الشاهد إ الغائب، وهذا الطريق هو ما أرشد ا إليه القرآن³، إذ يرى الشيخ أنه «لا منهج باب العقيدة إلا منهج ا تعا كتابه الكر»⁴. فما اقصود بآيات ا ؟ وما مقصد الشارع من توجيه العقول إ آياته - الكون خاصة- كما يرى الشيخ بيوض؟

2/ مفهوم آيات ا :

يعرف الشيخ الآية اللغة بأ ا «العلامة والأمرة، والدلالة على الشيء»⁵، ويرى أ ا «تطلق على الدليل القوي، والهان القاطع؛ الساطع كنور الشمس، يث لا في عن أحد»⁶، والذي استفاده الشيخ من استعمال ا تعا للآية كتابه؛ أ لا تستعمل إلا الأمر ا هم العظـيم، وإذا كانت العلامة عظيمة كان الأمر الذي دلت عليه عظيما كذلك، وخلص الشيخ ذا إ وجه

¹ - ا يطا : مصدر سابق، ص 6.

² - (م.ن)، وانظر: اطقيش: شرح عقيدة التوحيد، ص 111.

³ - نفس سورة الروم: ص 332، نفس سورة الفرقان: ص 215-216، نفس سورة العنكبوت: ص 103.

⁴ - نفس سورة العنكبوت: ص 105.

⁵ - نفس سورة الروم: ص 140-141.

⁶ - (م.ن): ص 349.

تسمية الله لكتابه المقدس بالآيات، وللمظاهر الكونية أيضاً بالآيات، لا تدل على وجوده تعالى وقدرته وعلمه¹، وهو أعظم شيء الوجود.

فالآيات الدعاء عبادة، التأمل فيها عرفته، تشمل نوعاً - كما يرى الشيخ بيوض - الآيات المتلوة القرآن الكر، والآيات الملوة الأكوان والأنفس، فلا ينبغي قصر الفهم على آيات القرآن فحسب، ويستدل الشيخ لذلك من القرآن، حيث أنه كثيراً ما يذكر مشاهد السماء والأرض، والشمس والقمر، والإنسان واليوان، ويعقب على كل ذلك بقوله (إِنَّ ذَلِكَ لآيَاتٍ)، وقوله تعالى: (إِنَّمَا يَوْمُنَّ نَبَأَاتِ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُوا سَجداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (السجدة: 15) شاهد آخر على أن الآيات تشمل النوع معاً - كما يرى الشيخ -، ولشاهد (إذا ذُكِرُوا)، ولو قال: إذا تليت عليهم، لكان نصاً على أن الآيات هي الآيات المقرؤة كتاباً فحسب².

3/ مقاصد الشارع من توجيه العفول إلى آياته الكونية:

- المقصد الأول: إقامة الحجة على العباد

المقصد الأساس من الآيات أنزلها الله تعالى كتبه، وبعث من أجلها رسله، وإقامة الحجة على العباد، تعريفهم برسم - كما يرى الشيخ - حيث تكفي كل آية لوحدها إقامة الحجة على من تلاها وتدبر معناها، وكذلك أقام الله الحجة لعباده، ما أرشدهم إليه من التفكير آيات الكون، يدركوا عظمتهم³، ويؤمنوا بوحديته وصفاته كماله.

ومن خلال تتبعنا واضع نفسه الشيخ للآيات الداعية إلى التأمل آفاق الكون ونفوس الإنسان، لاحظنا أنه يركز أكثر على النوع الثاني من الآيات (الآيات الكونية) باعتبارها أسهل الأوضح، والأظهر معرفة، بل ويسميتها كتاب الكون⁴، لأنها تزخر بآثار وأسرار عظيمة كما هو شأن كتاب القرآن. ويأخذ تركيز الشيخ على كتاب الكون أكثر؛ لأنه متاح ومفتوح لكل الناس على اختلاف مداركهم ولغاتهم - إذ ربما لا يفهم القرآن من ليس له إمام بلغته -، لكن كتاب الكون؛ يصف الشيخ قول حجة بقوله: «فكتاب الكون مفتوح لدى كل واحد، وليس

¹ - (م.ن): ص 140-141.

² - نفس سورة السجدة: ص 86-87، انظر: نفس سورة النور: ص 370.

³ - نفس سورة الروم: ص 349، نفس سورة الفرقان: ص 215-216.

⁴ - انظر: نفس سورة الفرقان: ص 215-216.

مغلوقاً أو زونا لا يشتري إلا بال، فيقول أحد: لا أملك من هذا الكتاب، أو هو نادر الوجود... كما أن لغته مفهومة يعقلها كل أحد»¹.

وللانتفاع بكتاب الكون، والاعتبار بدلائله المادية في خالقه، يشترط الشيخ على المرء شرطاً أساسياً، وهو النظر في الكون نظر تأمل، وفتح عين البصيرة على ما تنقله الحواس إليها من آفاته، يقول الشيخ -بأسلوب المصباح-: «فما عليك إلا أن تفتح عين بصرك، إذا بكل ما تراه أو تسمعه، أو تذوقه أو تشمه، يعظك وبذلك»²، فإذا ضلّ الناس عن ربه؛ فإيرادهم وتعاميهم عن الآيات الظاهرة، لا لنقص البيان فيها³.

فقد قامت حجة على عبيد عباده إلا إن به، بالتفكير أحداث الكون، لأنه القسمة المشتركة بينهم، إذ يد القرآن ترك أنظار عامة الناس وما يدركونه بواسطتهم من الظواهر، كما ترك عقول العلماء - ذات الوقت - لاستكناه حقائق الأشياء وكشف أسرارها، وهذه المصيبة القرآنية وظفها الشيخ عدد من مواضع نفسه⁴، لينفي من الأذهان التوهم بأن آيات الكتاب أو آيات الكون تطب عقول العلماء فحسب، وتقيم الحجة عليهم دون سائر الملق إلا إن به - والتزام وشرعه.

فبمناسبة قوله تعالى: (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (القصص: 73)، يقول الشيخ: «وآية الليل والنهار حكم بسيطة يدركها الرجل والبرأة، والعالم والجاهل، والبدوي والضرّي، وأقل الناس عقلاً وأكبرهم إدراكاً، وفيه - حكم وراء ذلك يدركها الناس على اختلاف درجاتهم...»⁵، يقول بعد ذلك: «فإنه تعالى طلوع الشمس وغروبها، وسها مطلقاً حكم وأسرار، ولا يلزم الواحد منا أن يكسبها -

¹ - (م.س).

² - (م.ن).

³ - (م.ن)، وانظر: نفسه سورة النور: ص 370

⁴ - انظر: نفسه سورة الروم: ص 190 وما بعدها، نفسه سورة القصص ص 486 وما بعدها، نفسه سورة لقمان: ص 75 -

76.

⁵ - نفسه سورة القصص: ص 486-487.

بالأشعة > يدرك قدرة ا تعا ، ويكفي العلم الظاهري البسيط، ليوصلنا إ معرفة ا وقدرته، ومن استطاع فتعلم واطلع على السر؛ كان ذلك زيادة له إلا ان...»¹.

- المقصد الثاني: تقوية الإيمان وترسيخه في القلب

يرى الشيخ أن من مقاصد توجيه الشارع عباده إ التفكير آياته؛ تقرير حقيقة وجود ا الأذهان، فيدلها هذا التفكير على قدرته وإرادته وعلمه وسائر صفاته، ويعظم قدره وجلاله تعا. القلوب، فيزداد إلا ان فيها رسوخا، ويتقوى حبا له ويعظم، ويرى الشيخ أن هذا طرف مـن حكمة توجيه الله للناس إ التفكير ا لمق²، إذ قال: «تفكروا ا لمـق ولا تفكـروا ا لمق»³، وبقدر ما يزداد التأمل ا لمق بقدر ما تزداد تلك ا معا .

وذلك سر استغراق الآيات الكونية حيزا كـب ا من هدي القرآن الكر ، إذ بـ الشيخ أن «ا تعا سـَـغَلْ ثلث كتابه تقريبا بيان عظمته وقدرته وإحاطة علمه، وول نعمته الســماوات والأرض، اختلاف الليل والنهار، ال اري والبحار، الشمس والأقمار ... ذلك ليعظم ا تعا نفسه وقوته وسلطانه قلوب عباده، > إذا أدركوا هذه القوة وهذه العظمة ال لا تحد، علموا أن مالكها هو الذي يستحق العبادة، وهو الذي تتبع أوامره وتجتـب نواهيه، ويطـلـب رضاه»⁴.

- المقصد الثالث: دفع المؤمن إلى طاعة الله والإخلاص له

واقصد الأخ من إرشاد ا عباده إ تدبر آيات الآفاق والأنفس، هو دفعهـم إ طاعتهـم والتزام شرعه وإخلاص ا ب والرجاء فيه، وإسلام الوجه له كل شؤون ا ياة، وذلك بعد أن

¹ - (م.س): ص 490.

² - نفس سورة الروم: ص 303 وما بعدها، ص 184، نفس سورة لقمان: ص 439-441.

³ - ا- حديث رواه الربيع بن حبيب ا سند: باب النهي عن الفكرة ا عز وجل، رقم 827، ج1/ص311، قال: «قال جابر بن زيد حدثنا رجل من أئمة أهل الكوفة الغرماء أبا أمية أن الله صلى ا عليه وسلم خرج على قوم وهم يتذكرون فلما رأوا الله صلى ا عليه وسلم سكتوا فقال ما كنتم تقولون قالوا نتذكر الشمس و راها قال كذلك فافعلوا تفكروا / لمق ولا تفكروا / الملق وزاد فيه ا سن /ن / لا تناله الفكرة».

ورواه أبو مد الأصبها كتاب العظمة: باب الأمر بالتفكر آيات ا عز وجل...رقم 5، ج1/ص216، قال: «حدثنا مد بن ا يعلى انا اسحاق بن ابراهيم انا سعد بن الصلت انا الأعمش عن عمرو بن مرة عن رجل حدثه عن ابن عباس رضي ا عنهما قال مر الله صلى ا عليه وسلم على قوم يتفكرون ا فقال تفكروا / لمق ولا تفكروا / الملق / فإيكم لا تقدرون قدره». ا كتبه الألفية للسنة النبوية.

⁴ - نفس سورة لقمان: ص 436.

تلى القلب به وتعظيمه، وإوف منه والرجاء فيه، ويقتنع بقدرته وكمال صفاته، وبضعف غيره وعجزه¹، يقول الشيخ هذا الشأن: «... كلما ازددنا تأملاً، كلما ازددنا من القربا، وازددنا له حبا وطاعة، والذين يهديهم تفكهم إلهذا؛ هم الذين علموا قلوبهم نورا»²، كما به الشيخ الحكمة من مكث الله ثلاثه عشر عاماً مكة؛ ولا يزال عليه من القرآن إلا ما يقوي العقيدة القلوب، ولا يفت الأنظار إلا إ آيات الران المكوت، كما به ذكر به الآخرة وأحداثها، والحكمة من كل ذلك؛ بيئة القلوب لتقبل شرع الله «وإذا ي القلب وضعت فيه العقيدة ذورها، فإنه ينتهج صراط الله، ويقيم شرعه مطمئناً»³.

14/ رأي الشيخ بيوض من آراء العلماء أسالة:

سبق الشيخ بيوض طائفة من العلماء تقرير أن التفكير آيات القرآن والكونية، هو الطريق الأصوب إ معرفة الله، فمن القدامى الإمام ابن قيم الحوزية يقول: «الرب تعالى يدعو عباده القرآن إ معرفته من طريق: أحدا النظر مفعولاته، والثا التفكير آياته وتدبرها، فتلك آياته الشهودة، وهذه آياته السموعة اعقولة»⁴، ويقصد ابن قيم مفعولاته؛ أفعال الله تعالى ولموفاته الشهودة الكون، وبآياته السموعة؛ آياته القرآنية، لأنها جاءتنا من طريق السمع أو الصادق.

وقد ساق ابن قيم أمثلة من القرآن على كلا النوع⁵، فالنوع الأول كقوله تعالى: (إِنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (آل عمران: 190)، والثا كقوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (مد: 24) وقوله: (أَفَلَا يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلَ) (المؤمنون: 68).

وقد ظهر هذا الالاه معرفة الله، العصر الحديث أكثر، مع حركة البعث والتجديد الـ صاحبت علم العقيدة عموماً، ورفع رايها ثلة من العلماء ا صلحوا، ورا كان الدافع إليها - كما

¹ - نفس سورة النور: ص 340-341، نفس سورة لقمان: ص 434، ص 439-441.

² - نفس سورة النور: ص 340-341.

³ - نفس سورة لقمان: ص 440.

⁴ - ابن قيم الحوزية، مس الدين محمد بن بكر: الف- وائد، مكتبة الثقافية، بيروت- لبنان، ط: 1413هـ- 1993م، ص 20.

⁵ - (م.ن).

يرى الدكتور عبد اليد عمر النجار- شدة التحدي للعقيدة الإسلامية الذي ظهر في الغزو الاستعماري والثقا الفر ، للأمة الإسلامية¹.

هذا التحدي اسلح بالعلم التجري ؛ فتح بصائر بعض افكرين، فتبين أن الدفاع عن العقيدة إزاء هذا التحدي اديد، يستلزم ديدا منهج علم العقيدة، يث يكون أكثر إقناعا للعقلية المعاصرة، ومن ظهرت نزعة ديدية عرض العقيدة والدفاع عنها -والإيادات منها- فتخلصت بذلك من استدلالات فلسفية كثرة يعد اقبول ولا تأثر ، وأبدلتها باستثمار لنتائج العلوم الكونية، واستخدامها مقدمات استدلالات جديدة؛ أشد وقعا النفوس وأكثر إقناعا للعقول².

ومن أهم من ألف علم العقيدة نهج التجديد، مد إقبال (ت 1938م)، وكتابه ذلك "ديد التفك الدي الإسلام"، حيث نوه فيه مسألة قرآنية هامة وهي، تأكيد القرآن على جانب الملاحظة التأملية للكون -أو النظر العقلي كما ذكرنا من قبل-، وبعد أن يسرد إقبال من الآيات الموضوع، يقول: «ولا شك أن أول ما يستهدفه القرآن من هذه الملاحظة التأملية للطبيعة، هو ما تبعث نفس الإنسان الشعور بتعد هذه الطبيعة آية عليه، ولكن ما ينبغي الالتفات إليه هو الماه التجري العام للقرآن، ما كون أتباعه شعورا بتقدير الواقع، وجعل منهم آخر الأمر؛ واضعي أساس العلم اديث»³.

وقد سار على هذا النهج البحث والتأليف علم العقيدة -عموما-، عدد لا بأس به من علماء الأمة، منهم الشيخ مصطفى صدي (ت 1954)، وكتابه ذلك "موقف العقل والعلم والدين من رب العالمين"، والشيخ مد الغزا (ت 1996)، ومن كتبه ذلك "عقيدة السلم"، و"الموراة مسة للقرآن الكر".

هذا وبعد أن رأينا موقف الشيخ بيوض من النظر الاستدلال الكون؛ طريقا إلى معرفة الله، وأنه قد وافق هذا النهج؛ طائفة من العلماء القدامى والمعاصرين، بقي أن نتساءل ما هو موقف الشيخ بيوض من النهج المقابل نهجه معرفة الله، والذي سلكه المتكلمون؟

¹ - عبد اليد عمر النجار، الإلهان با وأثره الإله، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1: 1997، ص 23.

² - (م.س)، ص 23-24.

³ - مد إقبال: ديد التفك الدي الإسلام، ترجمة: عباس مود، دار أسيا، ط: 1985، ص 21.

5/ موقف الشيخ بيوض من منهج التكلم معرفة الله :

يعتد الشيخ بيوض من العلماء الذين ينظرون إلى علم الكلام باعتباره تراثاً تاريخياً للأمة، أوجدته مرات معينة، فلا ينبغي أن يتجاوز ظروفه الأصلية نشأ فيها، أو تستحضر مباحثه العصر الراهن.

فبمناسبة تفسد الشيخ للآية (35) من سورة القصص¹، تطرق إلى مسألة تكليم الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام، فبدلاً من فضول الإنسان هو الدافع له إلى البحث في نوع التكليم وكيفية حدوثه - وهي مسألة غيبية -، ودعا الشيخ صراحة إلى التمسك بعقيدة السلف، وأساسها التفويض لكل ما يتعلق بشؤون الله تعالى، فقال: «والواجب علينا أن نتمسك بعقيدة السلف في كل ما يتعلق بشؤون الله تعالى وصفاته وأفعاله، فنفض فيها الأمر كله إلى الله، ولا ناول التفلسف لفهم حقيقة الصفة، أهىء الذات، أم هي زائدة عن الذات»².

ذكر الشيخ منشأ علم الكلام ومظهر ظهوره، وهو دخول عناصر أجنبية في الإسلام من أجل أن تفسد على المسلم دينهم، بإثارة الأفكار وعقائد ضالة، فوجد العلماء أنفسهم مضطرين للدخول في جدال مع هؤلاء؛ لدحض شبههم والدفاع عن الإسلام، وذلك بتوظيف منطق الصم وفلسفته الجاهلية، كما اضطروا للجدال مع الملاحدة وفلاسفة اليونان لذات المقصد، فكتبوا وألفوا علم الكلام³.

وقد بدى الشيخ أن مسألة كلام الله تعالى، هي مسألة طال فيها الجدال قديماً، أثارها أناس أرادوا بالإسلام سوءاً، وبأهله فتنة، وذكر الشيخ أشهر من ابتلي بهذه الفتنة، وهو الإمام الغزالي - رحمه الله -، ويفترض الشيخ أن الذين خاضوا تلك المسألة قد كانوا حاضرين أمامه، اطبهم واورهم؛ وهم يسمعون - كما هو أسلوبه - كثير من مواضع تفسده فيقول: «فما لكم أيها الناس والكلام؟ كيف كنكم لو اجتمعتم أو تفرقتم من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة؟ أن تقفوا على حقيقة الكلام؟ وكيف معه موسى؟ وافترضوا ألفاً أو مليون فرضية

¹ - هي قوله تعالى: (قال سنشد عضدك بأخيك وعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون).

² - نفس سورة القصص: ص 359.

³ - (م.س): ص 359-362، نفس سورة العنكبوت: ص 103.

عن كَيْفِيَّتِهِ، ولكن أكن أن تقولوا: هذا هو الله؟ فلنفوض مثل هذا الأمر إلى الله، لأن الله يوضح مثل هذا يوصل إلى الضلال»¹.

وبذلك أثبت الشيخ للمتكلم خطأهم في النهج، وأن الطريق الأسلم والصحيح تلك المسائل هو التفويض.

ويستطرد الشيخ ما طبعه مع المتكلم الذين خاضوا مسألة الكلام، ليسحب رأيه على سائر الصفات الإلهية، فيقول: «قلله الأسماء، فهو موجود حي قدير عليم متكلم يعبر بصحة، فهل تعرفون حقيقة هذه الصفات؟ فأنتم الذين خضتم الكلام وتنازعتم فيه، وكفر بعضكم بعضاً، وقتل بعضكم بعضاً من أجله، ربكم تعالوا وأخبرونا: هل فهمتم معنى لوجود الله؟ فالجواب موجبه. ودعنا، ولكن هل تعرفون حقيقة وجوده؟ من ذا الذي يرى ويقول: أنا أعلم حقيقة وجود الله؟»²، ويتساءل الشيخ معهم عن إدراكهم قائل: سائر الصفات المعروفة، صفة بعد صفة، لا يخلص إلى عجزهم عن فهمها، فينكر عليهم منهجهم قائلاً: «ما هذا الطمع؟ وما هذا الفساد الفكري؟»³، بل لكم على الله توضيح تلك المسائل بالضلال، إذ كان الله يوضح فيها سبباً يروق أناس من الدين، لأن الله من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، ولا مطمع إدراكها، ولو اجتمع أهل السموات والأرض⁴.

وبذلك اعتمد الشيخ علم الكلام وما صاحبه من جدال فلسفي، هو الذي فارق الله لم يشتهم، ودعا إلى أن يطوى هذا الجدال العقلي ولا يذكر، وأن يتعد عن مزالقه، لأنه لا يوصح له إلا الحقيقة إذا ورد عن الآيات الكونية، ورأى أنه من أزاله أسلمون من بينهم، وجدوا أنفسهم كلهم على الصراط السوي والطريق المستقيم⁵.

وبالبدل الذي ارتضاه الشيخ لنفسه ولسائر أسلم هو مذهب السلف، الذي دعا إلى التمسك به، لأن فيه كل السلامة، ومضمونه الإيمان بما أسند إلى نفسه؛ مع التفويض إليه وتوحيده عن غيره.

¹ - نفس سورة الفصص: ص 359.

² - (م.س): ص 360.

³ - (م.س): ص 360-361.

⁴ - (م.س): ص 361.

⁵ - (م.س): ص 360-362، وانظر: نفس سورة العنكبوت: ص 103-104.

مشاهدة خلقه¹، يقول الشيخ: «نؤمن بالله أراد [أ] أن يسند إلى نفسه من أفعال، من غير تشبيه أو تعطيل، والقانون الذي نرفعه هو قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى: 11)، فوجوده ليس كوجود غيره من المخلوقات، وكذا حياته ومعها وبصره وإرادته وحبه وبغضه، وولايته وعداوته...»².

ونزولا عند مستوى أفهام كثير من العوام الماضرين لدرس النفس، -والذين لم يكونوا ثقافة دودة- أثر الشيخ أن يعبر عن المنهج الذي دعا إليه بأن العجائز، الذي يمثل إنسان من لا ملك من العلم وأدلتها شيئا مذكورا، ولا يدرك من إلا إن إلا أصوله وأركانه، لكنه يعتقد بالله اعتقادا جازما لا يزلزله شيء³، وهو زوج الإله إن الشائع. تمتع الشيخ بيوض -آنذاك- وقد خاطب الشيخ حضوره مستفسرا: «فَمَنْ مِنْ أَمَهَاتِكُمْ تعرف هذه الصفات أهي ذات أم خارجة عن الذات، فصارها أن تقول: إن الله موجود، وهو حي وهو قدير، وهو يسمعنا ويرانا، وهو يغفر لنا ويعطينا الجنة»⁴.

واستدل الشيخ لصحة إن العجائز، بأن الأمة التي جاءت في رسول الله صلى الله عليه وسلم تريد أن يعتقها، فسألت: من ربك؟ فأشارت بأصبعها إلى السماء، سألت: من رسولك؟ فأشارت إليه، فقال: أَعْتَقُهَا فَإِنَّهُ مُؤْمِنَةٌ⁵.

ووجه استدلال الشيخ من الحديث: أن الله صلى الله عليه وسلم يسأل الأمة: كيف عرفت ربك؟ وإلا اكتفى بإشارته إلى السماء، وبالإشارة إليه عرفته، واعتد الشيخ أن هذا هو أصل الدين الإسلامي وصفاء نبعه، وأن الله ما كان يلحق أصحابه هذا الدل الكلامي⁶.

¹ - نفس سورة الفصص: ص 361.

² - (م.ن).

³ - (م.س): ص 362.

⁴ - (م.س): ص 362-363.

⁵ - الحديث رواه أبو داود سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب الرقية المؤمنة، رقم 2856، «...عَنْ مَعْلَوَةَ بِنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيَّ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَارِبَةُ لِي صَكَّتْهَا صَكَّةً قَعَطَ ذَلِكَ عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ أَقُلَّا أُعْتِقَهَا قَالَ أَيْتَنِي بِهَا قَالَ فَجِئْتُ بِهَا قَالَ أَيْنَ اللَّهُ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ مَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ أُعْتِقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، ورواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ذكر الكلام الصلاة... رقم 836. موسوعة الحديث الشريف.

⁶ - نفس سورة الفصص: ص 363.

والشيخ باختياره هذا المنهج، يكن يشنع على العلماء السابقة؛ الذين أملت عليهم ط-رروف عصرهم؛ إشهار سلاح علم الكلام وجه خصومهم من الملل الأخرى، بل أعطى -م- كام-ل العذر، إ-ما-ي-ك-ب-ر عليه أن يبقى هذا السلاح ساري-ا-فعول عصره الذي تغت فيه الط-رروف، وتقدم-ا-صم العلم التجريبي وصار يؤمن به أكثر من انطق التجريدي، يقول الشيخ -ذا- الصدق: «و-ن-ن-عذر ساداتنا العلماء، الذين دخلوا هذا الدال مضطرين مقاومة العناصر الفاسدة ال-د-خلت الإسلام، ولكن كفى هذا، فذاك دهر مضى وانقضى، وعلينا أن نتمسك بالعقيدة الصحيحة»¹.

والشيخ باختياره نهج السلف أيضا، يكن يدعو إلى الإدبار عن العلم والاكتفاء بالتقليد-د-الإ-ان-مع أنه -ب- القاعدة الزنة الإ-ان؛ لأي إنسان مهما كانت ثقافته-، إ-ما-كان يش-إ- ضرورة مسايرة العصر تطور علومه التجريبية والكونية؛ ال-ينبغي توظيفها لدلائل جديدة على الإ-ان وترسيخ دعائمه، وهي الدلائل ال-أرشد إليها القرآن الكر، كما يقول الشيخ: «فل-يس الطريق ال-ؤدي إلى معرفة الإ-ان به هو هذا الشك وهذا الدال، وإ-ما-هو ما سنه-ا-وشرعه كتابه، من الإرشاد إلى النظر الكون، والتأمل آياته»²، واستدل بقوله تعالى: (س-ن-ريهم، ءآيَاتِنَا فِي الْأَقَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ، أُنْزِلَ إِلَيْهِ الْحَقُّ) (فصلت: 53)، (وَفِي الْأَرْضِ ءآيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: 20-21)

وعقب الشيخ بأن هذا هو الطريق القرآن للهداية، ومن طلب الهداية من غ-ه أض-له-ا-، وألا منهج أصوب وأحق بالاتباع من منهج-ا-تعالى كتابه الكر³، وهو المنهج الذي مارسه، ودعا إليه ثلة من العلماء وأصلح العصر الحديث، كما ذكرنا سابقا⁴.

¹ - (م.س): ص 363-364.

² - نفس سورة النكبات: ص 103.

³ - (م.س): ص 103-104.

⁴ - أنظر ص: 64 من البحث.

المبحث الثاني: الاستدلال على وجود الله تعالى عند الشيخ بيوض

١-١-١

الإيمان بوجود الله تعالى مبدأ مركز النفوس، وفطرة فطر عليها كل مولود > يولد - كما جاء في الحديث -، لكن تأسيس هذا الإيمان على اليقين، وترسيخه القلب يثبت لا تداخله الشكوك، ولا تعارضه الغفلة أو النسيان، ويثبت يؤثر على السلوك فيتم معه العمل الصالح، كذلك ذلك لا يتأتى إلا بالنظر الواعي والتدبر العميق، آثار عظمة الحق وقدرته آفاق الكون والأنفس¹، كما قرر ذلك الشيخ إبراهيم بيوض وغير واحد من علماء العقيدة؛ الذين استقوا رأيهم هذا من منهجية القرآنية التوجيهية إلى اسلك الاستدلال (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَزْهَاهُ الْحَقُّ) (فصلت: 53)، (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: 20-21).

هذا وإن الاستدلال على وجود الله قد تنوعت صورته عند علماء العقيدة فيما كتبوا وألفوا، وقد أدت كثرة من أدلتهم انطقية دورها ظروف معينة، وبتغير الظروف أصبحت موقية بالغرض الإقناع، وتبقى الأدلة القرآنية هي الأولى بالغرض على مر العصور، وتفاوتت أدارك والأفهام²، وما كان موضوعنا هو: منهج الشيخ بيوض عرض الإيات من خلال تفسيده، فكان يفتقر عرض من الشيخ أن يتقيد بمنهج القرآن الاستدلال على وجود الله ويلتزم به، فكيف كان الشيخ يتعامل مع الآيات التي تتحدث عن هذا المانع؟

ذلك ما سنتطرق إليه هذا البحث الذي قسمناه إلى قسمين: الأول لاستدلال الشيخ بأدلة الآفاق، والثاني لاستدلاله بأدلة الأنفس، وذلك حسب التقسيم القرآني لأنواع الاستدلال.

¹ - النجار: مرجع سابق، ص 69-70.

² - (م.س): ص 72.

أولاً/ الاستدلال بأدلة الآفاق

نشأ بداية أننا تقسيم أنواع الأدلة؛ لا بأس أن نستفيد من بعض تعاليم علماء العقيدة السابقة؛ لندرجة ضمن منهج القرآن، لأننا نتعامل مع النفس، وليس مع درس مستقل العقيدة أو مع تأليف فيها. وقد قسمنا أدلة الآفاق إلى ثلاث: دليل الحس، دليل النظام، ودليل العناية.

1/ دليل الحس:

أ/ آية خلق السماوات والأرض وإنزال الماء: ناسبة قوله تعالى: (أَمِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلِ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ نَبَاتٍ حَدَائِدَ. قَدْ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ) (النمل: 60)، تساءل الشيخ بيوض -مفترضاً بعض المشرك أمامه- وهو طبعهم-: «نبؤونا من خلق السماوات والأرض؟ هل يستطيع أحد من شركائكم أن يقول: فلان هو الذي خلق السموات والأرض»¹، فكان سؤال الشيخ سؤال تبكيت، يث لا يستطيع أحد أن يجيب.

حدث الشيخ عن آية إنزال الماء وأثرها على الأرض وعلى الإنسان، ومن ذلك الأثر إن نبات الدائق البهيجة، فبه وجه تسمية الدائق بذلك الاسم، وهو تشبيهها بدقة العسل، والعسل هو أحسن ما وجه الإنسان، وأعز شيء لديه، «وكذلك الدائق هي عيون الأرض، ولا تكون الأرض يلة إلا ما، والآن تعالون الأرض بالغابات والأشجار، سواء بالمال أو الوهم، وسواء ما أنبته الله تعالى أو ما يغرسه البشر، والكل من فضل الله»².

زاد الشيخ تأملاً قوله تعالى: (ذَاتَ بَهْجَةٍ)، فعرف البهجة بأما «الزينة والجمال، وما يسر الباطن ويفرح القلب»³، وعدد بعض أوجه هذه الزينة؛ منها تعدد الألوان الزاهية -لا سيما الزهور- وتعدد الأصناف اللون الواحد، وذات الأمر بالنسبة للثمار واختلاف ألوانها وطعومها؛ بل حلو وحامض، وممر ومحرق وغير ذلك¹، (تسقى السماء ماءً واجٍدٍ ونفضٍ لُبِّ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) (الرعد: 4)

¹ - نفس سورة النمل: ص 121.

² - (م.س): ص 122.

³ - (م.ن).

وعندما أتى الشيخ إ قوله تعا : (ما كان لكم، أن تـنبتوا شجرهاً) خاطب الإنسان منفردا خاطبه مع جنسه من البشر تمتع ، ببيان أن أقام أجة عليهم هذه الآية، بنفسه أي مشاركة من أحد -ولو قليلة-، فليس من شأن البشر ولا من قوم ولا من علمهم -منفردين أو تمتع - أن ينبتوا شجرة، يوجه الشيخ العقول إ عظمة صنعته لتلك النخيل الباسقات، والأشجار الكثيفة الأغصان، وكيفية إخراجها من الأرض، فكل واحدة من تلك الأشجار و عظمته، كانت مطوية بذرة أو نواة صغيرة، وذات الأمر بالنسبة إ الأرض والفواكه، ال قد يغتر اراء بزراعته، فب الشيخ عمل الإنسان هذا الزرع، -ح لا يقاس بعمل ا تعا - فلم يزد الإنسان أن وضع البذرة الأرض، فإذا تعا رج منها عروقها -ل إ الأرض، وساقا يصعد إ السطح، فإذا بالساق ينمو ويثمر، وإذا قدرا لتلك البذرة أن لا تنمو؛ فلا-ن يستطيع أهل السماوات والأرض تمتع إنا².

ويعقب الشيخ على هذه الآية بقوله: «فلا أحد يستطيع أن يقول: هناك إله مع ا خلق-م ا خلق، أو شارك ا خلق السماوات والأرض، وإنزال الماء، وإنبات الأشجار، وغ ذلك»³.
ب/ آية خلق المخلوقات، ثم هدايتها:

ناسبة قوله تعا -على لسان موسى ص-: (رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (سورة طه: 50)، ب الشيخ قانونا من قوا خلق ا تعا لمقه، من أصغر الموق، -وهي الذرات ال لا ترى إلا بالاهر- إ أك لموق وهي البرات الكى، فما من شيء إلا وق-د خلقه ا على الصورة والشكل الذي يريده له، هداه وأمه إ الطريقة ال يؤدي ا وظيفته-ه ال من أجلها خلق؛ وهو قانون "المق واداية" الذي أجاب به سيدنا موسى ص، تعريفاً بربه؛ ا سأله فرعون: (قَالَ قَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى) (طه: 49). مثل الشيخ هذه حقيقة بوجود الإنسان، حيث وجد لمق ا له، اتمثل الصورة اسمية، واس الظاهرة والأعضاء الباطنة اركبة-ة فيه، واداية ا اتمثلة إرشاد كل عضو وكل جارحة إ أداء وظيفتها، وبذلك كان للع-

¹ - (م.ن).

² - (م.س): ص 123.

³ - (م.س): ص 124.

وظيفة الإبصار وللأذن وظيفة السماع، كما تنطبق هذه الحقيقة على عالمنا، الذي أمهـ
—بعد خلقه— إلى البحث عن طعامه وشرابه، والبحث عن أجناسه للتزاوج والتكاثر¹.

ج/ بين صنع الله تعالى وصنع الإنسان:

يعتد الشيخ بيوض مقارنة بين صنع الإنسان وصنع الله تعالى مع عدم صحة المقارنة - دليلاً آخر -
على وجود الله وعظمته، وذلك عدد من الواضع الذي يتعرض فيها لآيات خلق الله، فبمناسبة
قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ قَاسِمٍ لَكُمْ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا
ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ...) (الحج: 73)، يرى الشيخ أن الذي أشرك أن ينسبوا إلى الله
الآلة التي عبدوها من دون الله، من ملك أو إنس أو جن أو غيبها، بل الذي تلك الآلة تمعة
من أو لا إله آخرها، أن لم يخلق ذبابة -وهي من أحقر المخلوقات-، والكفة من ضرب المثل
بالذباب -كما يرى الشيخ- هي إزدال الباطل وعبودات الله عبدوها؛ وتصوير فداحة عجزهم
عن خلق مثل هذه المخلوق الضعيف الباطل، والغرض الأخير من هذا المثل هو تقرير الحقيقة
الكلية: "لا خالق إلا الله"².

انطلاقاً من هذه الحقيقة، ودفعاً لتوهم المشاركة التي لمع الله تعالى، من خلال ما يصنع
البشر، يرى الشيخ أن كل الاختراعات التي ابتكرت العصر الحديث؛ كما واسبب الإلكترونيات
والأجهزة العلمية المختلفة، لا يوجد فيها أبداً ما يمكن أن يقال فيه: إنه خلقه الله بشيء، ذلك أن
فُصارى جهد البشر أم اكتشفوا - بإرشاد من الله - ما أودعه تعالى من بعض أسرارهِ ونواميسهِ
التي واد الله خلقها، فانتفعوا بها، إذ ضموا البعض إلى البعض فصنعوا منها أشياء عديدة، ومثل
الشيخ لذلك بإشعال النار في الشجر الأخضر، أو قدحها بضرب حجر الصوان -جاء مثله أو
حديدة، تساءل الشيخ: «ولكن من جعل الشجر أو الحجر ناراً؟»³، أي خاصية الاشتعال،
فلا أحد يستطيع أن يقول: إنه غيب الله تعالى، وذات الأمر الكهربائي تولد من اجتماع
زوج؛ موجب وسالب، فلا يعد اكتشافها خلقاً، إن هو إلا انتفاع بقانون كوني⁴.

¹ - نفس سورة طه: ص 286.

² - نفس سورة الحج: ص 586-588.

³ - (م.س): ص 588.

⁴ - (م.ن).

و ناسبة قوله تعا : (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) (سورة اومنون: 78)، وبعد أن حلل الشيخ بعض آيات الله خلق الإنسان، ب أن الإنسان مهما تطور فهم أسرار الكون، واستغلا الله ابتكار وسائل تصلح حياته، فلا يعت أنه خلق شيئا، وكل ما يصنعه إلا يقلد فيه صنع الله، ويستفيد الله هو موجود الكون من مواد نافعة، و رب تصنيعها اخت الله¹، «وجد الله ااذبية الله غناطيس فاستعملها، ووجد الله ينقل التموجات فاستخدمه، واذ أجهزة للإرسال وأجهزة للاستقبال، وإذا استطاع الله أن أجواء الفضاء بواسطه الطائرات وراكب، فذلك لأنه كان منذ مئات السنين عن النظر الطيور، ويدرس كيفية طائر، ووظيفة الأجنحة والرأس والذيل فيها، ولذلك صممت الطائرات على شكل طيور»².
عقب الشيخ بأن الله إذا كان يملكه العجب والاندعاش من بعض ترعات البشر، مع علمه أن تلك الاختراعات ما هي إلا تقليد واستفادة من صنع الله، فمن هو الذي خلقه الله؟ والتعظيم والإعجاب بآياته؟ ومن هو الأحق بالإيمان به؟ الله أم المخلوق؟ فلا شك أن الله تعالى³.

هكذا د طريقة الشيخ مع بعض الآيات الله تلفت النظر إلى مظاهر خلق الله الآفاق والأنفس، يوظفها ببيان عجز الإنسان وضعفه، فضلا عن استحالة مشاركة ربه خلقه، وذلك من خلال ذكر ترعات البشر الله صنعوها - ولقوها - وتأکید الله من تسخير الله والغرض من ذلك هو دفع الغرور عن النفس، وترسيخ الإيمان فيها بوجود الله تعالى وعظمته.

2/ دليل النظام:

يقول عبد الله النجار شرح دلالة النظام: «النظام الأشياء هو تركيبها على مقادير وكيفيات ددة، والائتلاف بينها علاقات جارية على سنن ثابتة منتظمة وفق تقدير مسبق، وهو التعب القرآني: القدر والتقدير، كما قوله تعا : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القم-ر: 49) ... ونقيض النظام هو الفوضى الذي يري الأمور على غر قاعدة منضبطة، ولا حكمية

¹ - نفس سورة اومنون: ص 234-235.

² - (م.س): ص 234.

³ - (م.س): ص 235، أنظر أيضا ذات القضية: نفس سورة النور: ص 366، نفس سورة لقمان: ص 84 وما بعدها.

مرعية، وهي التعبد القرآني: التفاوت، كما جاء قوله تعالى: (مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ) (الملك: 3) ¹.

فوجود الكون وما فيه من لموقات، وسد تلك المخلوقات وفق قوائمه مطردة، هو ما يشهد كل النظام الكوني، الذي أشار إليه القرآن الكريم آيات كثيرة؛ مستدلًا به على وجود الله تعالى وعظمته، وقد كانت للشيخ بيوض وقفات كثيرة عند الآيات المتضمنة لدليل النظام؛ طاهره المختلفة الكون، وفيما يلي بعض النماذج منها.

أ/ مظهر النظام في سنة الأجل الكونية:

ناسبة قوله تعالى: (مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَدَّدٍ) (سورة الروم: 8)، تعرض الشيخ إلى سنة الأجل التي قدرها الله للسماوات والأرض، أي مدته وجودها، فبأن الله تعالى خلق السماوات والأرض أطوارًا كما خلق الإنسان، وسيأخذ عليها آية وفناء، كما قدر للإنسان، قال تعالى: (يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (إبراهيم: 48)، فبأن الله تعالى أن السد سماوات والأرض تخلق لتخلد على ما هي عليه، إنما خلقت لأجل معاد، إذا بلغ أجلها ففُتت، يتبدل شكلها ونظامها ².

وهذا النظام سنة الأجل هو الكمية والتي الذي خلقت به السماوات والأرض، فهي خلقت لغاية شريفة وتخلق عبثًا ولا لعبًا، وهو ما نفاه الله تعالى عن نفسه ³ قوله: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِدٍ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (الدخان: 38-39).

ب/ مظهر النظام في تماسك الأشياء "قانون الجاذبية":

حدث الشيخ عن مظهر النظام تماسك الأشياء أو قانون الجاذبية الذي يكم المخلوقات الكونية، وذلك ناسبة تعرضه لقوله تعالى: (وَيَمِصُّ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا لَإِذْنِهِ إِنِ الْبَالِغُونَ لِرُءُوفٍ رَّحِيمٍ) (سورة الحج: 65)، حيث تساءل الشيخ: «ما الذي أمسك هذه الملائكة من الأجرام السماوية؛ إلا تلك الأرض لا يارات؛ من الوقوع عليها، ومن نراها فوق

¹ - النجار: مرجع سابق، ص 87-88.

² - نفس سورة الروم: ص 97.

³ - (م.س): ص 96.

رؤوسنا»¹، ودعا الشيخ من أراد إدراك هذه الحقيقة إلى القيام جوف ليل مظلم، وينظر إلى اشتباك السماء بالنجوم إلى تبعد عن الأرض ملايين الكيلومترات، قرر الشيخ القانون الذي حكم هذا النظام وهو قانون الجاذبية، الذي نظم به الأجرام، وجعل بينها أبعاداً، بحيث لا يصدم بعضها بعضاً إلا بإذن الله تعالى².

والجاذبية هي: «قوة الجذب التي تعمل بين جميع الأجسام بسبب كتلتها؛ أي كمية المادة المكونة لها، وبسبب هذه القوة فإن الأجسام إلى على الأرض أو بالقرب منها تنجذب إليها... وافظ على مكان كل كوكب مداره حول الشمس، وكل جسم مداره حول مركز الأرض»³.

ويوجه الشيخ بيوض السؤال إلى ما بعد هذا التقرير العلمي -ليستقل من الآثار- إلى أثره فيقول: «لكن من خلق هذه الجاذبية»⁴، وبأجوابه موجهها لدلالة هذا القانون على خالقه، فيدعي أن البشر لم يكتشفوا الجاذبية، وإنما اكتشفوها، واكتشاف الأسرار لا يدل على زوال القدرة الإلهية بل يؤكدتها، ومقصد القرآن من ذكره هذه الحقيقة (وَيَمِيسُكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ)، هو أن يذكر عباده بعظمته وقدرته وعلمه، ليعرفوا قدره حق المعرفة ويعبدوه، ويطلبوا رضاه بالشرع، ولا يبارزوه بالعاصي، لأنه تعالى بيده النواصي والأقدام⁵.

و موضوع آخر من التفسيدي الشيخ دور نظام الجاذبية حفظ التوازن بين الأجرام السماوية بحيث لا تتصادم، ويثبت يلتزم كل منها مداره، لا يتخلف عنه قدر شعرة، فإذا زاد أو نقص فبنظام حكم، لا عن طريق الصدفة⁶، (إِنَّ اللَّهَ يَمِيسُكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) (فاطر: 41).

وبعد أن قدم الشيخ مثالاً عن الجاذبية فوق الأرض، يوجه العقول إلى الاستدلال على الله تعالى والاعتبار بها، فيقول: «ويكفي لكل واحد منا إذا رأى هذا النظام الحكم؛ طوال عمره

¹ - نفس سورة الج: ص 571.

² - (م.س): ص 571-572.

³ - الموسوعة العربية العالمية، مج 8/ص 110.

⁴ - نفس سورة الج: ص 572.

⁵ - (م.ن).

⁶ - نفس سورة ومنون: ص 238.

يتبدل و يتغير ، أن يدرك أن المسير واحد، والإرادة واحدة، فإلى ليت الناس تفكروا هذا فأمنوا بالله وبقدرته»¹.

ج/ مظهر النظام في اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما:

ناسبة قوله تعالى : (...وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَقْلًا تَعْقِلُونَ) (سورة المؤمنون: 80)، تطرق الشيخ إلى مظهر النظام في الاختلاف بين الليل والنهار طولاً وقصرًا، وزيادة ونقصًا، وقبل أن يشهد الشيخ إلى بعض الحقائق عن هذا الاختلاف، أكد أن البشر ما زادوا على أن اطلعوا على بعض سنن وأسرار اختلاف الليل والنهار فحسب، إذ ليس بوسعهم التحكم في هذا الاختلاف، أو تغيير نظام هذه الأفلاك، حتى تصبح البلاد باردة باردة، أو البلاد الباردة حارة²، وما سبب هذا التقدير من الشيخ إلا حرصًا منه واقتناعًا بأهمية الاستدلال بظاهر النظام الكوني، على وجود الله تعالى وعظمته، وذلك ما أكدته بالتنويه بالضم "له" الآية: "وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ"، أي لا اله³.

بعد هذا أشار الشيخ إشارة سريعة إلى آثار هذا الاختلاف على انتظام الحياة فوق الأرض، فقال: «و اختلاف الليل والنهار واختلاف المناطق؛ تأثر كبير على الحياة والوفية، بطبيعة الأرض، وعلى تكون المعادن، وعلى حياة النبات والحيوان والإنسان، وهذا يوجد من النباتات والحيوانات والمعادن بعض المناطق ما لا يوجد في المناطق الأخرى، بتأثير الشمس وحرارة وأشعتها، وتأثير الرياح والأمطار والرياح»⁴.

ومن أجله نظام الاختلاف بين الليل والنهار النام عن دوران الشمس حول نفسها، الاختلاف المحووظ بينهما القطب الشمالي والجنوبي للكرة الأرضية، ففي المناطق القريبة من القطب الشمالي لا تغيب الشمس خلال فصل الصيف على مدى عدة أشهر، وتكون مدة النهار أربع وعشرون ساعة، وذلك مثل: فنلندا وغيرها من البلدان، والسبب هذه الظاهرة ميلان محور

¹ - (م.س): ص 239.

² - (م.س): ص 237-238.

³ - (م.س): ص 238.

⁴ - (م.ن).

الأرض. وبينما يكون القطب الشما ر دائماً، يكون ليل دائماً القطب ا نو ، أواسط الشتاء؛ حيث لا تطلع الشمس مطلقاً لستة أشهر، تنعكس ا ل الأشهر الستة التالية¹. و مناسبة قوله تعا : (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (القصص: 73)، بـ الشيخ بيوض ا كمة من تعاقب فتر ° الليل والنهار وتقلبهما، وتعاقب ا راحل الفترة الواحدة، فالنهار -مثلاً- يبدأ بطلوع الفجر -الكاذب، طلوع الفجر الصادق، يطلع شعاع الشمس الأ ر، تنزع الشمس، لا تزال تبيض شيئاً فشيئاً، وحرار ا وشعاعها يتقويان > يبلغان الأوج، فيأخذان التناقص، يـ ا الزوال، فالأصيل بعد العصر، يـ ل الشمس إ جهة ا غرب > تغرب، وهكذا تتنوع المناظر، و ذلك تنظيم إ ي حكيم يـ اة الإنسان، و ا كمة ا استنتجها الشيخ من ذلك، هي أن الإنسان مفطور على السأم وامل من الأحوال اطرده ا تس على وة واحدة، فذلك التغير الفترات بـ مراحل الليل والنهار، والانتقال من طور إ آخر، من شأنه أن يقسم الأوقات، ويزيل السأم مـ ن ذهن الإنسان، و دد نشاطه².

وأعطى الشيخ مثالا مـ بينه، وهو أن ا رء > يتقلب فراشه طهراً -عند القيلولة- يحـ دث نفسه بالقيام عند آذان العصر؛ لإ ا ز كذا وكذا من أعمال معينة، وعقب الشيخ على هذا ا ثـ ا ل بأن التقسيم ا ديد للأوقات، من شأنه أن ينسي ا رء تعب ساعات النهار، ويزيل عنه المل مـ ن العمل الذي كان يزاوله³.

وقد عقب الشيخ ختام نفسه ه للآية (73)، ببيان ا قصد من سوق القرآن ثل هذه الآيات الكونية، فقال: «فأ تعا ينهكم ويرشدكم ذه الأشياء لتعرفوا قدره، وتدرکوا مدى ر تـ ه بكم > بوه وتشكروه»⁴.

13 دليل العناية:

¹ - أ د شفيق ا طيب ويوسف سليمان > ا : ا وسوعة العلمية الشاملة، مكتبة لبنان ناشرون (لبنان)، ط 1: 1998، ص 243.

² - نفس سورة القصص: ص 487-488.

³ - نفس سورة القصص: ص 488.

⁴ - (م.س): ص 491..

دليل العناية هو دليل ينبى على تأمل مشاهد الكون من جهة ما هي مجهزة لتلبية مطالب الإنسان حفظ حياته وتطويرها، كما ينبى هذا الدليل من جهة أخرى على التأمل الإنسان من جهة ما عليه تقوى العقلي واسمى من استعداد للاستفادة من مرافق الكون، وبالتالى يصل إلى تأمل -بعد ملاحظة بعض الزئيات- وجود توافق عجيب بين الإنسان والكون؛ هذا التوافق هو مظهر عناية بالإنسان ورعاية له، وهي عناية تدل على وجود معرّاع يفعل العناية بالقصد، هو الله تعالى¹.

وقد وجدنا الشيخ بيوض يشهد عدد من مواضع تفسيده² في هذا الدليل صرح بـ: "التسخين" أي دليل الوجودات الكونية دمة الإنسان، وهو مصطلح قرآن الأصل، وقال: (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره) (اثية: 12)، وقال أيضا: (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه) (اثية: 13).

ويرى الشيخ بيوض أن العناية الإلهية بالإنسان آتية من جهة، من جهة الاستعداد العقلي والنفسي الذي أعده الله به، ومن جهة تدليل الوجودات الكونية، وجعلها طوع وإرادة الإنسان وتوكل ملكه، هذه العناية مردها استخلاف الإنسان الأرض³، يقول الشيخ: هذا الشأن: «والتسخين آت من جهة: من جهة ما أعطى الإنسان من عقل ولطف وحيلة، ومن جهة تدليل هذه الأشياء له، إذ أرادها هو [أي الله تعالى] أن تكون ملكا للإنسان، لأن الله خليفة في الأرض»⁴.

* مظاهر العناية الإلهية بالإنسان:

كان الشيخ بيوض يوظف آيات الآفاق؛ بيان أوجه العناية بالإنسان وتكرره، وربطها بعرفه الله تعالى وتعظيمه، وترسيخ الإيمان به وبصفاته، وفيما يلي اذج لتعرض الشيخ للعناية الإلهية، باعتبارها دليلا من أدلة الآفاق على وجوده تعالى.

- النموذج الأول:

³ - النجار: مرجع سابق، ص 97.

⁴ - انظر مثلا: نفس سورة الج: ص 567، نفس سورة اومنون: ص 101.

³ - نفس سورة الج: ص 567-568.

⁴ - (م.ن).

قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ - لَوْ أَنَّ شَرَّ الشَّيْءِ مَسَّ وَالْقَمَرَ...) (لقمان: 29).

عند تطرق الشيخ لقضية تسخّر الشمس والقمر، بأن الله تعالى هو الذي ذلل الشمس، ما خلق فيها من حرارة تبلغ عشرين مليون درجة ¹، وما أودع فيها من ضوء وأشعة، كما ذلل ذلك صلحة الإنسان، والأرض التي فيها، وما يات كل ما في الأرض من حيوان ونبات ومعادن، و صلحة كل الكواكب التابعة للمجموعة الشمسية ².

والتي أن كل تلك المخلوقات استفيدة من حرارة الشمس وضوئها؛ إنما يعود نفعها الآخر على الإنسان وحده، وهو الذي سخر له ما في السماوات وما في الأرض.

كما أشار الشيخ إلى دقة تركيب الشمس درجة حرارتها، حيث لو زادت قليلاً لاحتقرت الأرض وما عليها، ولو نقصت قليلاً لثابتت الأرض وما عادت صالحة للحياة ³، وهذه الحقيقة هي ما أثبتته علماء الفلك حيث توصلوا إلى أن الأرض تقع مركز وسط بالنسبة للشمس [تبعد عنها 150 مليون كلم]، وقد أتاح هذا البعد عن الشمس، إمكانية أن تتلقى الأرض حرارة معتدلين، بينما "عطارد" -الكوكب القريب جداً من الشمس- تنعدم فيها الحياة، بسبب شدة الحرارة، كما تنعدم الحياة "بلوتون"، بسبب بعده الكبير عن الشمس، وبالتالي اشتداد البرودة فيه ⁴.

- النموذج الثالث :-

قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً...) (لقمان: 20).

أشار الشيخ بداية إلى مفهوم التسخير، وهو أن الله تعالى ذلل كل الموجودات الكونية، وجعلها طوعاً وإرادة الإنسان وتصرفه، ليوظفها فيما ينفعه، ذكر الشيخ أمثلة لذلك، فذكر مثال تسخير الفلك والأنعام الوارد قوله تعالى: (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ

¹ - انظر هذا الرقم عند: موريس أسعد ورشيد فرحات: **موسوعة الكون والفضاء والأرض**، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، ط 2: 2002م، ص 78.

² - نفس **سورة لقمان**: ص 522.

³ - (م.ن).

⁴ - موريس أسعد ورشيد فرحات: مرجع سابق، ص 105-106.

مَا تَرْكَبُونَ لَتَسْتَوتُوا عَلَى ظُهورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ اللَّهِ ذِي سَخَرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مَقْرِنَ وَإِنَّا إِ رَبَّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (الزخرف: 12-14)، فـ في الله- يخ أن الله سخر للإنسان البحر - على عظمه وشدة خطورته -، كما سخر له سفن البحر، ليمخره عابه ويقاوم أمواجه، وسخر له سفن ال أيضا؛ كاليل والبغال والحمير، وقد نبه الله- يخ على روعة التسخر بعض الحيوانات الضخمة كالزال والفيلة، فالمل مثلاً - على ضخامة جسده -، يقدر الإنسان - على ضعفه، - لو كان طفلاً صغيراً - أن يأخذ بخطامه فيجره ويضربه، ويركه ويركبه !!، كل هذه المقامات تستوجب على المرء تسبيح خالقه على عنايته¹.

ومن أوجه التسخر ال ذكرها الشيخ، أن استطاع الإنسان أن يبدع على الأرض ويعلم بيّ البنیان، فشيّد ناطحات السحاب، كما أقدره الله على أن يفر الأرض عدة أميال، ويشق الترع والأبار، ويصير ال را؛ يغمر الأرض ليقرب المسافات ويسهل على الفلك، «كما هدد ال بحفرها، وجعل فيها أنفاقاً طويلة تشقها السيارات والقطارات، وأقام ال سور والقنابر على الأبار والبحار، وصير الأماكن الرداء القاحلة جنات وغابات كثيفة، وحول الغابات المساحات أقام فيها مدناً كبرى وقد كانت موحشة... وذلك كله بتسخير الله²».

- النموذج الثالث: تسخير ما السماوات

بعد أن تطرق الشيخ نفسه الآية السالفة الذكر - الآية 20 من سورة لقمان - إلى أوجه العناية الإلهية بالإنسان، من خلال الأرض التي هي عليها، عدد الشيخ هذه المرة بعض أوجه العناية من خلال السماوات. فلا غنى على أحد قيمة الأمطار التي تنزل من السماء، ويتخذ الناس وسائل جزها وحفظها، كما يستفيدون من ضوء القمر ليلاً، ويهتدون بنجوم السماء ال والبحر، واملفت للنظر أن الماعان باطن الأرض تتكون بتأثير الحرارة والأشعة المنبعثة من الشمس وغيرها من أجرام السماء!، كما أشار الشيخ إلى امتلاء المواد الأثرية، بفضلها تنقل الأصوات والصور من مكان بعيد³.

¹ - نفسه سورة لقمان: ص 406-407.

² - (م.س): ص 407.

³ - (م.س): ص 408.

وا لاحتظة الى سجلها الشيخ على إثر ذكر تلك الطواهر، أن هذه بعض الأمور الظاهرة الى اطلاع عليها الإنسان، أما ما عند الله يعرف فهو أكثر، ليتحقق قوله تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) [الذاريات: 22]، كما سجل الشيخ أن معلوميات أمثالها -م-ن-غ- اختصاص - عن الكون؛ إلا هي أشياء ظاهرة بسيطة، لكن العلماء اختصاص يعرفون أكثر، كم اطلاعهم على بعض الأسرار هذا الحال¹، والاحتظة الثالثة الى سجلها الشيخ؛ أن أهل هذا العصر تقوم عليهم أجرة أكثر، لاطلاعهم على الآيات الكونية التي يطلع عليها المتقدمون، الذين كانوا ينظرون إليها نظرا سطحيا، ويفسروا تفسيرًا بسيطًا مسبب ما يدركونه واسمهم الردة، بينما المعاصرون يشهدون كل يوم ظهور نوع جديد من الآيات التي سخرها الله تعالى للإنسان²، وهي ثابتة دلائل إضافية على وجوده تعالى وعنايته بعباده آدم.

وأمثال الآخر للتسخير الذي نبه الشيخ عليه، هو توظيف الإنسان للأجواء السماوية -خبرة له- السماء، لنقل الأجرام الثقيلة الى وزن مئات الأطنان، في مسافات بعيدة؛ تعد بالآلاف الأميال الساعة الواحدة، و يمكن تخيل للإنسان من قبل؛ أن جرما ثقيلًا يمكن أن يصعد في السماء ويقطع تلك المسافات الطوال وقت قصير!، لكن الزمان تطور، فأظهر آياته الآفاق، ولا يدري إنسان اليوم ما سيحدث غدا³.

¹ - (م.ن).

² - نفس سورة لقمان: ص 408-409.

³ - (م.س): ص 409.

ثانيا/ الاستدلال بأدلة الأنفس

تعد آيات الأنفس الشطر الثا من الآيات الكونية ال وجه القرآن النظر إليها؛ لتحصل إل الإ ان با تعا ، قال عز وجل: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: 20-21)، «وإذا كان الإنسان جزء من الكون؛ يتحقق فيه م- ما يتحقق ق- س- سائر الوجودات الكونية من الدلالات على وجود ال : خلقا ونظاما وعناية، إلا أنه يزيد على تلك الوجودات بدلالات أخرى لا تشتمل هي عليها، فالإنسان كائن فريد الكون، خ- ص- بق- و-ام جسمي وروحي متميز، وأودع من القوى والاستعدادات ما يودع غ- ه، إنه ك- اثن متميز بالوعي الذي يكشف له ما يط به، كما يكشف له حقيقة ذاته نفسها»¹.

ويعتد الشيخ بيوض أن أقرب آيات الأنفس إل الإنسان هو وجوده، ونفسه ال ب- جنبي- ه، ومظاهر جسمه العجيب صنعته²، لآ ا أشياء متصلة به؛ يحسها ويشعر ا أكثر من أي شيء آخر، وفيها من العجائب ما لا يوجد أي لموق آخر. و مناسبة قوله تعا : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) [ومنون: 12]، ب- الشيخ أن مراد ال تعا من الآية إرجاع الناس إ نفوسهم ل- وا أصلهم، وليع و منها إ الإ ان، فتخيل أن ال الق اطب عب- اده ف- ائلا: «لا لزوم لأن تذهبوا بعيدا، ارجعوا إ نفوسكم، لتدركوا عظمة ال الق؛ ح- ملكم على الإ ان به، وامثال أوامره واجتتاب نواهيه»³.

كما يعتد الشيخ - مواضع من تفسه ه-، أن تركيب جسم الإنسان ونظامه؛ منسجم ام- ا مع مشاهد الأرض والسماء ومع النظام الكو ، ولذلك فالشيخ يشبه أعضاء الإنسان ووظائفه- ا، بالآلات و صانع ا شيدة فوق الأرض، مع اعتبار الفارق، إذ أن أعضاء الإنس- ان أعظم- م وأدق، وكث- ا ما يستشهد بقول الشاعر:

وتزعم أنك جسم صغ وفيك انطوى العا الأك⁴.

¹ - النجار: مرجع سابق، ص 101.

² - نفس سورة ا ومنون: ص 94، أنظر ا مسألة أيضا: سورة نفس الروم: ص 178.

³ - نفس سورة ا ومنون: ص 94.

⁴ - البيت للإمام علي بن أ طالب كرم الله وجهه، وقبله:

دواؤك فيك وما تشعر ودواؤك منك وما تبصر. =

يقول الشيخ هذا الشأن: «ولا يوجد الكون أجهزة إلا والله الإنسان أدق منها، لا يدرك دقتها إلا الله تعالى»¹، ويقول أيضا: «حقيقة؛ إن الإنسان منطوق على العالم الأكبر، فجميع العالم الال نتعجب منها الدنيا، أجسامنا مثلها، وأزيد منها وأعظم وأدق ألف مرة، وكل هذه الأجهزة موجودة الطفل المارج من بطن أمه»².

ونورد فيما يلي بعضا من أدلة النفس على وجود الله تعالى، التي تطرق إليها الشيخ بيوض؛ لنرى كيفية عرضه لها.

الدليل الأول: أصل خلق الإنسان

يرشد القرآن الإنسان آيات كثيرة إلى تذكر أصل خلقه الأول، للاستدلال بهذه القضية على وجود الله تعالى، وعلى إمكان البعث بعد الموت، فبمناسبة قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كُنتُمْ رَئِبِينَ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَطْفَةٍ...) [الحج: 5]، جاءت الآية مع عرض الحديث عن البعث بعد الموت وإثبات حدوثه، إلا أنها تصلح دليلا على وجود الله تعالى، من خلال النظر إلى أصل الملق الأول وهو التراب الذي خلق منه أبو البشر: آدم عليه السلام، وعند تفحص الشيخ بيوض لقوله تعالى: (فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تَرَابٍ)، ذكر حقيقة التراب وهي أنه مادة جامدة ميتة؛ لا حياة فيها ولا روح، ولا عقل ولا علم، ولا إدراك ولا إحساس، انتقل إلى وجه الدلالة من هذه الدلائل، وهو انقلاب هذه المادة الميتة بشرا سويا؛ له خصائص الحياة التي ليست التراب، يحس ويدرك، يدل وينظر³.

ويذهب الشيخ في فهم الآية إلى أبعد من ذلك، في أن قوله تعالى: (خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تَرَابٍ) لا يقتصر على الملق الأول فحسب - وإلا لما قال: خلقناكم، وإنما أراد أيضا أن الإنسان الملق متجدد من تراب، ذلك لأن كل غذائه وقوت بدنه من تراب، فجميع النباتات تنص

= علي بن أبي طالب: ديوان الإمام علي بن أبي طالب (ديوان شعر إمام البلغاء)، تحقيق: عبد الله خفاجي، دار الحديث، أمّ المؤمنين - الزائر، ص 52.

1 - نفس سورة الفرقان: ص 185.

2 - نفس سورة الحج: ص 331.

3 - (م.س): ص 313. أصل خلق آدم ذكره مرة التراب ومرة الطين ومرة الماء سنون، ومرة الفخار، وذلك بسبب المراحل التي يتطور فيها التراب، من خلطه بالماء إلى بيضه، أنظر ذات المصدر: ص 313-314.

ماءها وغذاءها من التراب، وحيوانات الأرض، يقات بلحومها الإنسان، تتغذى من نباتات الأرض¹، فمن يكون قد وهب الحياة هذا اسم المخلوق من تراب؛ غداً تعالى. و آية أخرى جاء التعبير عن أصل خلق الإنسان بعبارة الضعف، إما مبدأ خلق آدم من سلالة من طين، وإما خلق ذريته من بعده من ماء مهين²، والآية هي قوله تعالى: (الله المهيمن خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) (الروم: 54).

والغرض من ذكر أصل الإنسان - كما يرى الشيخ بيوض - هو تذكيرنا بضعفه ومبداً في قوته، وتعريفه حقيقة بدنه وحقيقة علمه وعقله، لا يغتر بقوته أو علمه، ولا يتكبر على خلقه، وقد قيل: «من عرف نفسه عرف ربه»، وبذلك يرى الشيخ أن من أراد معرفة الله تعالى؛ فعليه معرفة نفسه³.

الدليل الثاني : مراحل خلق الإنسان

الدليل الآخر الذي عساه الشيخ بتحليله، وترسيخ الإيمان به من خلاله، هو دليل خلق الإنسان، أي مراحل تكونه رحم أمه، بدءاً من النطفة الملقحة، وحتّى اكتمال خلقه بشراً سوياً بعد تسعة أشهر، وهو ذلك وضع لسنة كونية، وجود الأشياء والكائنات الحية، وهي التدرج النمو والتقلب في المراحل؛ تطور الاكتمال.

فبداية حياة الإنسان من نطفة، ومن ماء مهين - كما عناه القرآن -: (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) (الرسلات: 20-21)، (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَطْفَةً - قَرَارٍ مَكِينٍ) (الزمر: 13)، ومن معاً النطفة القرآن الكريم الطور الأول الملقح، وتوالت من اليوم الأول إلى اليوم السادس من الحمل، وقد قسم علم الأجنة هذا الطور إلى ثلاث مراحل؛ مرحلة التلقح أي إخصاب البويضة بالحيوان المنوي، مرحلة البويضة الملقحة، و مرحلة التوتة تنقسم هذه البويضة تدريجاً، تبلغ ست عشرة خلية، تأخذ شكل التوت، فتسمى بالتوتة؛ التي تتحول إلى مرحلة البويضة البالغة، ما يسمى علمياً بالكرة الرحمية، ويصل عدد خلاياها إلى ستة وخمسة وخمسين خلية، وخلال

¹ - (م.س): ص 314.

² - نفس سورة الروم: ص 334.

³ - (م.س): ص 332.

عملية الانقسام تنتقل النطفة من أنبوب الرحم إلى دار الداخلي للرحم لتبدأ بالتعلق فيه، منذ اليوم السابع من بدء الحمل¹.

وخلال تعرض الشيخ للآيات التي تذكر أطوار الحمل الإنساني، يقف عندها كثيرًا بالتحليل والإدراك، بعد أن يسوق معلومات وحقائق علمية الموضوع، عن علماء متخصصين، وغرضه ربط النفوس بعظمة الله تعالى، فمثلاً عند تطرقه رحلة النطفة؛ يزاكمة من وصفها بأنها هي التي هي، وهي الاعتباط بدقة صنع الله تعالى، فرغم حقارة هذا الماء وعفونته واستهوان أن يرى ذلك الماء بداخله أعجب لموقع وهو الإنسان!! ويدعو الشيخ إلى التعجب من ذلك أيوان النوي الذي لا يرى بالرد؛ كيف له أن يحمل صائص البشرية العامة من رأس وجذع وأطراف وأجهزة، والأعجب من ذلك - كما يرى الشيخ - أن حمل النطفة خصائص الأب والأم، فيولد الولد شبيهاً ما أُلحقه، وإذا رآه أحد؛ تعجب قائلاً: كأنه أبوه هيئته ومشيته وكلامه؟ وكذلك الشبه الطباع والأخلاق، وعادة ما يكون الولد في الأب الصفت أُلحقه، والأم الصفات أُلحقه، وتمام الشيخ تعجبه إلا بتساؤله: كيف اجتمعت تلك الصفات كلها تلك القطرة من الماء؟!².

واتعاطاً بدقة صنع الله أيضاً، نقل الشيخ معلومات وأرقاماً عن الماء هي، حجمه وشكله ومصفاه، فبأن «الرجل يقذف الماء الواحد ما بين 250 إلى 350 مليون حيواناً منوياً، ولا يمكن رؤية الواحد منها بالرد إلا إذا كُبر ألف مرة، لأن حجمها لا يتجاوز جزءاً من ستة آلاف جزء من المليمتر؛ وكل حيوان منوي من هذه الملائكة هو على صورة يسلك له رأس وعندق وذيل، تستبق كلها ماولة تلقيح بويضة المرأة، ولكن واحداً منها فقط يصل البويضة ويلقحها، وهذا الذي يعيش بإذن الله، ويتكون منه الإنسان، والباقي كله موت ساعات قليلة»³.

¹ - عدنان الشريف: من علم الطب الفراء، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط 1: 1990، ص 49-51.

² - انظر: نفس سورة الفرقان: ص 184-186، نفس سورة الحج: ص 314-315، نفس سورة اومنون: ص 98-99، يقول الشيخ معلقاً على تلك المعلومات - أحد المواضع -: «إن المرء ليندهش، لا يستطيع النطق وهو يطالع على هذه الفائق»، نفس سورة الروم: ص 335.

³ - نفس سورة اومنون: ص 99، وانظر أسئلة أيضاً: آدم فتحي: موسوعة جسم الإنسان (أجهزته ووظائفها)، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، ط 1: 2000م-1421هـ، ص: 96، 114، وعدنان الشريف: مرجع سابق، ص 40.

و ناسبة قوله تعا : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) (الفرقان: 54)، يعلق الشيخ على عظمة الآية، فيد أنه لو قام البشر كلهم -م- ن أو -م- إ آخرهم - لإدراك أسرارها فلن يدركوها؛ رغم صغر الآية وقلة حروفها، وأنه ما أسهل على الله أن يردد: لمت امرأة وولدت، لكن العجب يكمن في الكيفية ذاتها، ولذا كان ختام الآية: (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا)، ويستغل الشيخ هذه المناسبة للرد على المحدثين، فيد أن كفار البشر قد يطلعون على جزء بسيط من حقائق خلق الإنسان، لكنه لا يعد شيئاً بالنسبة لعلم الله تعالى، ومعه هذا يتنكر أحدون ويقولون: «إن العالم وجد بطريق الصدفة»، فوالشيخ عليهم -متعجباً- من ضلالتهم¹: «فما أعماهم! وأما أضلهم! والصدفة لا تولد ولو شيئاً أقل من هذا لا يلاي من الحرات، أفيمكن أن يكون هذا الملق العظيم ذا النظام الدقيق، بطريق الصدفة، لا ولا أن هذا المخلوق خالقا مدبراً حكيماً خبأ بكل شيء؟»².

إن كل ما سبق هو دليل للمراحل الأولى من خلق الإنسان، كما يعرضها الشيخ بيوض، نتقل بعدها مباشرة إلى المرحلة الأخيرة؛ لنرى طريقة عرض الشيخ، وهي طور التسوية الذي قال فيه الله تعالى: (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا -آخَرَ-)، معرضاً عن أطوار الملق البشري (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَطْفَةً - قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعُلُقَةَ مِصْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا - فَكَسَسْنَا عِظَامًا لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا -آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ-) (الأنعام: 13-14). وهو الطور الذي يعطى فيه الشكل الإنساني للجنين، بعد أن كانت الأطوار السابقة؛ من طور النطفة إلى العلقة إلى المضغة، إلى العظام، إلى اللحم؛ أطوار خلق وجميع وتعديل أعضاء الجنين، وتد هذا الطور من بداية الشهر الثالث إلى الولادة³.

وعند تفسيده الشيخ للآية (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا -آخَرَ-)، بأن مفهومها لا يقتصر على نفخ الروح الجنين، بل يصبح جسماً متحركاً تاز بكل خصائص الأحياء فحسب، لأن ذلك يشترك فيه مع الحيوان، ولكن الله هو أن هذه المرحلة هي التي يبدأ فيها الفرق بين الإنسان والحيوان، بعدما كانا متشابهين -خلقياً- المراحل السابقة، هذا الفرق -كما ذكر الشيخ- هو ما ركز الله

¹ - نفس سورة الفرقان: ص 186-187.

² - (م.س): ص 187.

³ - عدنان الشريف: مرجع سابق، ص 61.

الإنسان من خصائص وصفات استحق اسم الإنسانية، واستحق -ا خلافة الله الأرض، واستحق -ا أن يتحكم -ا يوانات الله هي أقوى منه جسداً، وأن يسخر الله -ا السماء والأرض لصا¹، وطبعاً هذه الصفات هي صفات جسمية وعقلية ونفسية.

وبالنسبة للصفات السمية، فقد - علم الأجنة، أن تلف الأجنة عند الفقريات، - مرحلة من تطورها بأطوار؛ لا يستطيع خلا الله أي عا أجنة أن يفرق بينها وبين الإنسان الشكل، - الأسبوع السابع أو الثامن، - يأخذ الله عند الإنسان شكله الذي يزه عن بقية أجنة الفقريات، وهنا يكمن الإعجاز العلمي قوله تعالى: (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا -آخَرَ)².

الدليل الثالث: تركيب جسم الإنسان

من الأدلة الساطعة للأنفس؛ الله يوظفها الشيخ بيوض الاستدلال على وجود الله وعظمته، وترسيخ الإيمان به: الآيات الله تشهد إبداع صنع الله جسم الإنسان، الله ركب فيه من أعضاء وأجهزة دقيقة، تصبوظائف معقدة، ولا يالله الشيخ على آية من هذه الآيات، إلا ويطلع مستمعيه على حقائق علمية منقولة عن العلماء المختص علوم الطب، بل وينقل إلهم آخ-ر الأخبار العلمية الله يطلع عليها بعض الكتابات؛ عن موضوع الآية الله هو بصدد مليها هذا الحال، رغبة منه مسابقة عصره؛ مستجدات الأبحاث التجريبية والكونية، الله يؤمن دواها ترسيخ دعائم الإيمان بالله تعالى نفوس الناس؛ بعد رفعهم إله مس-توى تلك مستجدات.

فبمناسبة قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) (سورة المؤمنون: 78)، أخذ الشيخ يستنطق روح الآية ومقصدها الذي تقصد إحدائه النفوس، فتخيل أن الله اطب عباده قائلاً: «تأملوا أنفسكم، واذكروا معكم وأبصاركم وأفئدتكم، تذكروا من أعطاكم إياها؛ - كنتم تسمعون وتبصرون وتعقلون، صر مغترين بأنفسكم وعقولكم، فتحدون الله ورسوله»³.

¹ - نفس سورة المؤمنون: ص 101.

² - عدنان الشريف: مرجع سابق، ص 61.

³ - نفس سورة المؤمنون: ص 230.

وبدعو الشيخ الإنسان - موضع آخر- إ تأمل جسمه العجيب من طريق غير مباشر، من طريق ملاحظة شعوره وهو يدخل إ من إخبار العلمية، لاشك وأنه يندهش ويتملكه العجب الشديد من الأجهزة الموجودة فيه!!، فيدفع الشيخ بذلك مستمعه عن طريق غير مباشر¹، إ التعجب أكثر من تركيب جسمه المليء بالأجهزة الدقيقة، يقول الشيخ: «... ولكن، ألا تعلم أن جسمك آلاف إخبار، تنظم و تملأ وتوزع الغذاء إ إيع جهات إسم بواسطته شـبكة عجيبة من القنوات، من الشعرة مفرق الرأس إ الظفر إصبع القدم»²!

وفيما يلي نورد بعض النماذج من الدليل الثالث "تركيب جسم الإنسان"، إ تطرق إليه إ الشيخ نفسه؛ مبينا أسرار بعض الأعضاء ووظائفها.

* النموذج الأول: جهاز السمع

تطرق الشيخ إ جهاز السمع وهو يفسر قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) (سورة المؤمنون: 78)، فاستهل حديثه عنه بإثارة سؤال محير- ر- عن حقيقة السمع؛ والذي يدل له العلماء جوابا، وغرض الشيخ من ذلك هو إثارة مشاعر التعظيم والوجل من إالق تعالى؛ النفوس، فتساءل عن مدى إدراك الإنسان حقيقة السمع؟! مع أنه أدرك أن هنالك أعصابا يتم إال السمع، وإذا زقت إحداها، أو ثقت طبلة الأذن، يصاب إال بالصرير أو ثقل السمع، وما هي حقيقة إدراك الأصوات، وما هي قوة الأعصاب والأغشية إال تكون جهاز السمع، وإال مع الأصوات تنقلها إ مركز السمع إال دماغ فيتربها، يرسلها إ إإخ أو العقل ليدركها ويميز بينها مهما دقت وتنوعت؟³.

كما أثار الشيخ العجب من شكل الأذن إإارجي وتصميمه، وإإكمة من وجوده، فافتراض سائلا يسأل: عن جدوى كل هذه الأجهزة، وهلا كان للأذن ثقب فقط يدخل منه الصوت مباشرة؟ فأجاب الشيخ: «ولكن خلق الأذن على تلك الصورة العجيبة، وما فيها من إإعيد وإإايف،

¹ «قياس الأو: هو أن يكون الفرع فيه أو إإكم من الأصل لقوة العلة فيه، مثل: قياس الضرب على التأنيف إإمع

الإيذاء، فإن الضرب أو إإالتحرر من التأنيف لشدة الإيذاء فيه، فإذا كان قول (أف) منها عنه قوله تعالى: (وَلَا تَقُلْ لَهُمَا

أف) فأو إإالنهى عنه الضرب». وهبة الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر- إإزائر، دار الفكر- سوريا، ج1/

ص702.

² - نفس سورة الفرقان: ص 187-188.

³ - نفس سورة المؤمنون: ص 231-232.

ذلك لينساب الصوت فيها بشكل حلزوني ، يدخل إلى مركز الس، ح لا تصدم طبلة الأذن مباشرة»¹.

وبعد أن ختم الشيخ حديثه عن السمع، علق عليه بأنه ما هو إلا إشارة بسيطة، وهو أقل مما يمكن أن يوضح، لأجل فهم بعض الأسرار عن خلق الله².

* النموذج الثاني: جهاز البصر

وعند ليل الشيخ لذات الآية السابقة -آية 78: سورة المؤمنون- تطرق إلى جهاز البصر، فتساءل عن ماهية البصر؟ وعن عدد الأعصاب التي يتم بها الإبصار؟ فنقل بعض القائق العلمية الموضوع معلقاً عليها، فقال: «يقول العلماء إن العين مركبة من أكثر من 100 مليون عصب، لنقل الصور من البؤرة إلى مركز البصر الدماغ، وأنه لأمر عجيب، فكيف هي هذه العين -ح- تشتمل على مثل هذا المقدار الهائل من الأعصاب، وليس العين هي التي تبصر، وإنما العين مثل عدسة الصور، فقط نافذة للصور، والخاص هو الذي يفرز ويميز بعضها من بعض، فمن الذي خلق كل هذا؟!»³.

النموذج الثالث: اختلاف الأصوات بين الناس

ناسبة قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْقَةُ الْبَشَرِ وَأَنَّكُمْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ) (الروم: 22)، حدث الشيخ بشيء من التفصيل عن قضية اختلاف الألسنة، ويقف عند ظاهر معناها الذي ارتضاه بعض المفسرين؛ وهو أن اختلاف الألسنة -أي اختلاف اللغات- عربية وفارسية وتركية... وغيرها⁴، بل ذهب الشيخ إلى أنه -د- من ذلك وأما، وهو أن الآية الكريمة المقصودة هي اختلاف الأصوات بين الناس، إذ يستحيل أن يوجد شخصان متشابهان الصوت، قد يتقاربان كثيراً، أما أن يكونا متفقيين تماماً؛ فهذا لا يمكن التفريق بينهما؛ فهذا ما لا وجود له⁵.

¹ - (م.س): ص 232.

² - (م.ن).

³ - نفس سورة المؤمنون: ص 233، وانظر الموضوع: آدم فتحي، مرجع سابق، ص 199.

⁴ - انظر مثلاً: محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 21/ص 73-74، سيد قطب: طلال القرآن، دار الشروق،

بيروت - لبنان، ط 3: 1397هـ / 1977م، مج 5/ص 2764.

⁵ - نفس سورة الروم: ص 180.

والرأي الثا هو ما ذهب إليه أغلب ا فسرين الذين اطلعنا على تفاس هم، فقد وجدنا كلاً من الأة: هود بن محكم ا واري (ت: 280هـ -)¹، بن جرير الطـ ي (ت: 310هـ -)، مـود الز شري (ت: 538هـ -)، الفخر الرازي (ت: 606هـ -)، بن كـث الدمشقي (ت: 774هـ -)، ا مد بن يوسف اطفيش (ت: 1332هـ -)، كل هؤلاء يكادون يتفقون على أن اختلاف الألسنة - الآية السابقة- يشمل اختلاف النطق والأصوات بـ أفراد الناس -إ جانب اختلاف لغا مـ. يقول الز شري عن مع اختلاف الألسنة - الآية السابقة-: «الألسنة اللغات أو أجزاـس النطق وأشكاله، خالف عزّ وعلا بـ هذه الأشياء؛ لا تكاد تسمع منطقتين متفقين، س واحد ولا جھارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا كُتنة ولا تَظْم ولا أسلوب ولا غـ ذاك من صفات النطق وأحواله»².

ويقول بن كـث ا موضوع: «فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق ا آدم إ قـام الساعة؛ كل له عيان وحاجبان وأنف وجـ وفم وخدّان، وليس يشبه واحد منهم الآخر، بـل لابد أن يفارقه بشيء من السمات أو ا يأة أو الكلام ظاهراً كان أو خفياً، يظهر عند التأمل»³. بل قد ذهب بعض ا فسرين إ أن تفسـ "اختلاف الألسنة" باختلاف الأصوات، أو مـن تفسـ ه باختلاف اللغات، وذكروا أوجها ذا الترجيح، حيث وجدنا الفخر الرازي يذكر مثـالا لذلك الاختلاف بقوله: «فإن عريـ ا أخوان إذا تكلموا بلغة واحدة، يعرف أحدا من الآخر، حـ أن من يكون جواباً عنهما؛ لا يبصر ا يقول: هذا صوت فـلان وهـ ذا صوت فـلان الآخر»⁴، أما وجه الترجيح فهو ما رآه الإمام اختلاف الأصوات من حكمة بالغة، ذاك أن

¹ - عا إباضي متقن، أخذ العلم عن أبيه وعن غـ ه، قيل الأندلس وقيل تيهرت، وقيل الف وان وهو ما رجّحه الشيخ بلحاج شريفي. اشتهر وُلفه «تفسـ كتاب ا العزيز»، وهو تفسـ جليل، حقّقه الأستاذ بلحاج شريفي. معجم أعلام الإباضية، ج2/ص443.

² - الز شري، أبو القاسم جار ا مود بن عمر: الكشاف عن حقائق التـ بل وعيون الأفاويل وجوه التأويل، دار اعرفة، بـوت-لبنان، دت، ج3/ص201.

³ - ابن كـث، أبو الفدا عماد الدين ا اغيل الدمشقي، تفسـ القرآن العظيم، دار الفحاء-دمشق، ط1: 1414هـ-1994م، مج3/ص570. وانظر ذات الرأي أيضاً: هود بن محكم ا واري: تفسـ كتاب ا العزيز، قيق: با اج شريفي، دار الغرب الإسلامي، بـوت-لبنان، ط1: 1990م، ج3/ص319. والطـ ي، أبو جعفر مد بن جرير: جامع البيان تفسـ القرآن، دار اعرفة، بـوت-لبنان، ط4: 1400هـ-1980م، ج21/ص22.

⁴ - الرازي: مصدر سابق، ج25/ص111.

الإنسان تاج إ التمييز ، الأشخاص ، ليعرف الصديق من العدو وصاحب الحق من غـه ،
ليقبل على الأول، و تبرز من الثا ، وكل ذلك قد يكون بالبصر فخلق الصور تلفةً، وقد
يكون بالسمع فخلق الأصوات تلفةً، وقد ذكر الإمام أن البعض فسـروا "اخـتلاف الألسـنة"
باختلاف اللغات، لكنه عقب بأن العـا الأول أصح¹.

أما وجه الترجيح عند الشيخ اطفيش فهو أن اختلاف الأصوات؛ ظاهرة سوسة ومشـاهدة
عند كل الناس، لا تاج إ علم أو إعمال عقل، وهذا الشأن يقول: «... وهذا لأنه أعـم
ومشاهد لكل أحد، أو من تفسـر الألسنة باللغات، كالعربية والبرية والفارسية، وقد لا يعرف
الإنسان أن لغة غـ لغته موجودة، وأيضا اللغات بالتعلم، واختلاف الأصـوات بـالنعم أكثر،
وبالطبع لا بالتعلم»².

وبذات الوجه الأخ ، كان ترجيح الشيخ بيوض للمسألة، لكنه زاد فربط ترجيحـه ناسـبة
الآية: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ) لـها أو ذيلها-
(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ) (الروم: 22)، حيث بـ الشيخ اكمة من التعبـر بـ "العالم" -
اُتـمـكـن عـقـب الآيـة-، وهي أن ذلك الاختلاف الأصوات يظهر لكل راء؛ مهما كان إدراكه
العقلي ومستواه العلمي³، قال: «فليست هذه الآية حاجة إ أن يقال فيها: إن ذاك
لآيات لقوم يعقلون، أو يسمعون، أو يتفكرون، لألا تاج إ عقل كامل أو ع أو تفكـ
تدرك، فهي بادية للعيان»⁴.

وخلال ليل الشيخ ذه اسألة، أخذ يطرح استفهامات تعجبية إانية، إن دلت على شـيء
فإما تدل على روح من التواضع والاستسلام لقدرة ا ومكنون علمه، من قبل الشيخ، حيث قال:
«فإله ما أعجب خلقا تعا ! لا يوجد شخصان صوما والحق واحد! وجهـاز
الصوت واحد، فكم هو حجم هذا ا هاز الصو حـ كن أن يكون فيه هذا الفرق الـذي لا
يعد، وهل يستطيع البشر أن يصنعوا ملايـ الأجهزة للأصوات، ولا يكون بينها تشابه مطلقـا؟!

¹ - (م.س): ص 111-112.

² - اطفيش: تيسـ النفس ، ج 11/ص 109.

³ - نفس سورة الروم: ص 184.

⁴ - (م.ن).

تري، ماذا يتغير جهاز صوت الإنسان > لا يكون هناك تشابه بينهما ، من لدن الإنسان الأول آدم عليه السلام ، إلى آخر واحد يبقى عند قيام الساعة؟...»¹.

وهكذا يسترسل الشيخ هذه الأسئلة؛ التي يرمي من خلالها إثبات حقيقة وجود الله تعالى وهي ضعف الإنسان وقصر علمه؛ أمام عظمة خالقه وإحاطة علمه بكل شيء. و تم أسئلته تلك بقوله: «حقاً، إنه شيء مدهش، وأمر عجيب يقف فيه العقل تاراً!»².

والأساس الآخر الذي يعلو عليه الشيخ بيوض اختياره تفرد الاختلاف اللساني؛ باختلاف الأصوات، هو توظيف آخر ما توصلت إليه العلوم التقنية حديثاً؛ فهم الموضوع، وهو اكتشاف ما يسمى بصمات الأصوات³، على غرار بصمات الأصابع، فإذا كانت هذه تلفة بالإنسان، فكذلك ذبذبات الأصوات⁴.

كما ذكر الشيخ أن العلماء -بناءً على الاكتشاف السابق- اخترعوا جهازاً لتسجيل الذبذبات الصوتية لدى الناس، والتي تنطبع على جهاز شكل خطوط ودوائر، وبذلك استُخدم هذا الجهاز للتعرف على المتكلم أجهزة الهاتف، كما ساعد الجهاز التحقيقات النائية؛ للتعرف على الناة؛ وإن حاول الإنسان تغيير نبرة صوته، لكنه لا يستطيع تغيير ذبذباته -التي تحفظ على الجهاز، وبذلك يضمن عدم إمام الأبرياء⁵.

و تعريف بصمة الصوت؛ ذكرت الموسوعة العربية العالية أ.أ. «تسجيل عي للموجات الصوتية الخاصة بصوت إنسان. و بعض الأحيان تقارن بصمات الصوت وتسجيلات الأشرطة لأصوات عدة أشخاص، لتحديد صوت شخص مع»⁶.

وقد ذكرت ذات الموسوعة أن بعض أقسام الشرطة الولايات المتحدة الأمريكية؛ تستخدم بصمات الصوت كدليل القضايا النائية لتحديد الهوية -كما ذكر الشيخ بيوض أنفاً- حيث تساعد هذه الطريقة على إثبات التهم جرائم، مثل الابتزاز والكاذبات اتفية البذينة، لكن من

¹ - (م.س): ص 180.

² - (م.س): ص 181.

³ - ذكر الشيخ أنه قرأ عن هذا الاكتشاف منذ عدة شهور، وهو قد فسر سورة الروم سنة 1968م.

⁴ - (م.ن).

⁵ - (م.ن).

⁶ - الموسوعة العربية العالية: ج 4/ ص 443.

جهة أخرى فإن بعض اء يعتقدون صعوبة تفه بصمات الصوت، وأا ليست دقيقة -ا-
يكفي لاستخدامها ا اكم كدليل، لذا تعتمد هذه الطريقة عدة بلدان¹.
أما ا هاز اسجل لبصمة الصوت؛ فيسمى: "مرسمة الطيف"؛ حيث يتم أخذ البصمة بتشغيل
شريط تسجيل من خلال هذا ا هاز، وتوضح البصمة مدة كلمات ا ديث، وعلو طبقة، ونوعية
الصوت اسجل².

ومن روائع تعقيبات الشيخ بيوض على آية اختلاف الألسنة؛ أن لفظة "ألسنتكم" الآية (22)
من سورة الروم، هي كلمة بسيطة، لكن العلم يتطور ويبحث ويدقق - يقف على اقيقة ال
أطلعنا عليها سب الظاهر، وهي آية من آيات ا ؛ ال وعد بتحققها: (سَريهم، آياتنا -ا- في
الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم، أنه الحق) (فصلت: 53)، ورغم كل هذا فإن الأعجب
منه أن يعجز الإنسان عن إدراك سر هذا الاختلاف الأصوات، لأنه سر من أسرار ا تعا، لن
يتوصل إليه أبدا، واكمة من خفاء هذا السر - كما ب - الشيخ - هو ترك البصائر - عند ت - ذكر
هذا الأمر - تدرك عظمة ا وقدرته، قابل ضالة البشر وضعف عقوم، و - لا يركبها الزه - و
والغرور عند اكتشاف قانون ما؛ أو اختراع جهاز ما، لأن الإنسان ما زاد على أن قلد صنع ا
الكون، باستخدام مواد خلقها ا وأودع فيها تلك الأسرار، وأرشد عقل الإنسان إ معرفتها
وتركيب بعضها ببعض، ليتولد منها ما يتولد من اختراعات والصناعات³، ونتيجة كلام الشيخ أن
الكل من خلق ا وإرشاده، فما الذي أوصل الإنسان إ إنكار وجود ا أو الإشراك به؟!
الوقت الذي ينبغي عليه - عند التفكير - هذا النظام الكو - أن يتقوى إ انه با أكثر⁴.

نتائج الفصل الثاني

¹ - (م.ن).

² - (م.ن).

³ - نفس سورة الروم: ص 182-183.

⁴ - (م.س): ص 183-184.

أولاً: يعطي الشيخ بيوض - نفسه - معرفة الله تعالى قيمة كبرى، باعتبارها شرطاً أساسياً انطلاق العقل بالتعلم والبحث - تلف ميادين المعرفة، بل على التلازم متبادلاً - العلم والإيمان، إذ لا يتحقق إيمان المرء بأدوية علم يقيناً - بل بحقه، كما لا ينفع العلم بلا إيمان.

ثانياً: ينطلق الشيخ - بيان ضرورة المعرفة بأدوية من انطلق القرآن ؛ إطار عهد التوراة، من غداً أن يغفل واقع التاريخ البشري، وواقع عصره، لتوضيح أمثلة متكررة لتلك السنة البشرية، وهي حال الإنسان - يسد - دروب العلم بغداً هدى من الله ولا إيمان، وحاله - ينطلق بفطرة التوحيد متعلماً، أو كان علمه يدعوه إلى الإيمان.

ثالثاً: يرى الشيخ بيوض أن الطريق الصحيح إلى معرفة الله والإيمان بوجوده، هو التفكير والتدبر آياته؛ على طريق الانتقال من الأثر إلى الأثر، وآيات الله تشمل: الآيات المتلوة القرآن، والآيات المجلوة - الأنفس والأكوان، مع ملاحظة تركيز الشيخ أكثر على النوع الثالث من الآيات باعتبارها أسسك الأوضح والأدلى لكل الناس؛ على اختلاف مداركهم ولغايم.

رابعاً: أما المقصد الأساس من توجيه العقول إلى قراءة آيات الله بقراءة - قرآنية وكونية - فهو إقامة الحجة على العباد، وترسيخ الإيمان بوجوده - قلوبهم، دفعهم إلى طاعته والإخلاص له، كما يرى ذلك الشيخ بيوض.

خامساً: ينظر الشيخ بيوض إلى علم الكلام ومناهج التكلم باعتبارها تراثاً تاريخياً للأمة، أمليه ظروف معينة، فلا ينبغي أن يتجاوزها أو أن تستحضر مباحثه - العصر الراهن، وإلا رسخ الفُرقة بين الإسلام أكثر، والبديل الذي يراه أصوب هو مذهب السلف، الإيمان بالله أسنداً إلى نفسه مع التفويض له، وتوجيهه عن مشاة خلقه، وقد دعا الشيخ إلى التمسك بهذا المذهب لأن فيه السلامة.

سادساً: يتعامل الشيخ مع الآيات الكونية، أو دلائل الآفاق والأنفس - منهج متميز، حيث كان يفسرها - سياقها القرآن، ويؤكد لها - توصل إليه العلم - ختلف شعبه - من حقائق ومعلومات حديثة، وذلك بما - القراءة - القرآنية والكونية - تقرير دعائم الإيمان بالله تعالى - العقول، وترسيخها - النفوس، واقتناعاً من الشيخ - دوى توظيف نتائج العلوم المعاصرة - فهم كتاب الله تعالى، لأنه كتاب يدعو إلى العلم.

الفصل الثالث

منهج الشيخ بيوض

في بيان وحدانية الله تعالى

تمهيد

المبحث الأول: حقيقة الوجدانية وأركانها عند الشيخ بيوض

أولا/ حقيقة الوجدانية

ثانيا/ أركانها:

(1) وحدانية الذات

(2) وحدانية الصفات

(3) وحدانية الأفعال

(4) وحدانية ا كم

(5) وحدانية ا عبودية

المبحث الثاني: حقيقة الشرك وأقسامه عند الشيخ بيوض

أولا/ حقيقة الشرك

ثانيا/ أقسامه وصوره

القسم الأول: شرك ا حود (الإ ا د)

القسم الثا : شرك التسوية وأهم صورته

(1) عبادة الأصنام

(2) عبادة الأضرحة

(3) الذبح والنذر لغير الله

المبحث الثالث: آثار الإيمان بالوجدانية عند الشيخ بيوض

أولا/ الاستعداد لقبول التكاليف الشرعية

ثانيا/ الأمن النفسي والطمأنينة القلبية

ثالثا/ الشعور بالعزة والكرامة

رابعا/ النجاح والنجاة

خامسا/ الثبات والاستقرار

نتائج الفصل الثالث

تمهيد

تعدّ وحدانية الله (عز وجل)، هي جوهرية الإيمان بالله، ولذلك قد سائر الأركان تنبئ عليها. وتنتهي إليها، فالتوحيد هو أول ما دعا إليه الرسل (عليهم السلام) أقوامهم، ومن أجله أنزل الله كتبه وأرسل رسله؛ وعلى أساسه شرع شرائع دينه، فما من نبى بعث إلا دعا قومه إلى التوحيد. ولقد جاء الإسلام؛ والشرك بالله ضارب ذوره أمامه، ولا يمكن يوحد الله إلا أفرد. ولقد قلنا: جزيرة العرب؛ ممن كانوا يتعبدون على ما بقي سابقا من ملة إبراهيم، أو بقايا من أهله. الكتاب؛ سلّمت من ريفات الوثنية التي أفسدت الأديان السماوية¹.

والقرآن الكر - وهو كتاب الإسلام الدال -، مع صونه - الحديث النبوي - ما ركزا على أصل من أصول العقائد؛ كتركيزنا على أصل التوحيد، بيانا واستدلالا؛ ما يبلغه البيان تقرير وجود الله نفسه، باعتبار وجوده تعالى فطرة مركوزة النفوس، وباعتبار أن ضلال البشرية إنما كان متمثلا بالأخص في إراف تصورهما وسيدها لصفة الوحدانية، وإلا به الوحي إنما الدين كله عليها: عقيدة وشرعية، ح عرف بأنه دين التوحيد².

وما ظهرت الركائز الإصلاحية العصر الحديث، إلا لتصحيح تصور المسلم هذه القضية؛ وتعيد ضمتهم من جديد بناء على التوحيد الصحيح³، حيث كان إرافهم فيه عاملا رئيسا. ضعفهم وقابليتهم للاستعمار الأجنبي، وكان الشيخ إبراهيم بيوض من رواد الحركة الإصلاحية. زائر، حيث عمل جاهدا مع واقعه وبوء بشيوع أنواع من الشرك والبدع الاعتقادية، بناء على هدي القرآن الكر، فجاء نفسه له؛ مولة جادة منه لتيله على ذلك الواقع: تذكرها وتنبيهها وتصويبها.

وهذا الفصل سنتناول - بإذن الله - منهج الشيخ بيوض في بيان وحدانية الله، موزعا على ثلاثة مباحث، الأول: نتطرق فيه إلى حقيقة الوحدانية وأركانها، الثاني: نعرض فيه إلى حقيقة الشرك وأقسامه، مع ذكر منهج الشيخ في علاج أهم صورته، أما البحث الثالث فتتطرق فيه إلى تصور الشيخ لآثار الإيمان بالوحدانية إلى ياء.

¹ - القرضاوي، يوسف: **حقيقة التوحيد**، دار البعث، فلسطين - زائر، ص 11.

² - النجار: مرجع سابق، ص 117.

³ - (م.س): ص 118.

المبحث الأول: حقيقة الوحدانية وأركانها عند الشيخ بيوض

أولا/ حقيقة الوحدانية

نقف -فيما اطلعنا عليه- على تعريف مشتمل للوحدانية عند الشيخ بيوض؛ ولكن كـن استخلاص تصوره ققيقتها من خلال بيانه لوحدة الأمة قوله تعا : (إِنْ هَذِهِ أُمَّةٌ مِّمَّكُمْ، أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 92]، حيث قال صفة الوحدانية: «... لا وز أن يكون على الأرض إلا أمة واحدة، ا رب واحد السماء، رب واحد متفرد بالألوهية والربوبية، متفرد بالذومة والبقاء، متفرد بالتشريع، له القوة والسلطان، له البدء والإعادة، له ا لى والإفناء، فعـال لما يريد، لا راد لقضائه ولا معقب كـمه، هذا هو الإله الواحد، فيجب إذن ألا يكون الأرض إلا أمة واحدة تدين با ضوع والذلة والعبودية»¹.

كما كن استخلاص مفهوم الشيخ للوحدانية من خلال تفسه ه لقوله تعا : (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (الإسراء: 110)، فدفعاً لتوهم التعدد الذات الإلهية، قال الشيخ: «فا هو الر ن، والر ن هو ا ... لأن ادعو واحد لا شريك له، غ متعدد فهو واحد، وذاته كافية كل شيء، غ مركبة أجزاء، وليست الصفات أعراضاً ذاته»².

انطلاقاً من تفسه الشيخ للآية ؛ ده يرى أن الوحدانية هي اتصاف ا تعا بالأحدية والفردية ذاته ال لا تتجزأ، و صفاته وأفعاله، ال لا يشاركه فيها أحد، واتصافه بالفردية ا كم والعبودية من دون سواه.

و قيقة الوحدانية أبعاد ومقتضيات، ح إنه لا لو شيء من تعاليم الإسلام: عقيدة وشريعة، من أن يكون منبىا على بعد من أبعاد تلك ا قيقة، وهو ما ب أن تظهر آثاره سلوك الفـرد وتمع اسلم؛ الذي ينبغي ألا يد عنها، انطلاقاً من هذا كن مع أبعاد التوحيدـ اركـانسة، -استثناسا بتصنيف عبد ا يد عمر النجار- وهي: وحدانية الذات، وحدانية الصـفات، وحدانية الأفعال، وحدانية ا كم، ووحدانية ا عبودية³، لنرى نظـرة الشـيخ و لميله قيقة

¹ - نفس سورة الأنبياء: ص 201-202.

² - نفس سورة الإسراء: 241-242.

³ - النجار: مرجع سابق، ص 118.

الوحدانية، من خلال تلك الأركان، مع الإشارة إ أننا نستخدم تصنيفا معينا لأركان الوحدانية، رغم أن معانيها متضمنة نفس ه.

ثانيا/ أركان الوحدانية

1/ وحدانية الذات:

«تعد تفرد ا تعا بالألوهية ذاته، وانتفاء أي ذات أخرى تشاركه فيها بأي مع - م-ن اعا ، سواء على سبيل الندية واثلة، أو على سبيل الوساطة، أو على سبيل ا ل-ول للذات الإلية ذوات أخرى»¹.

والشيخ بيوض يعرف وحدانية الذات تعريفا مستقلا، لكنه تطرق إ هذا الركن؛ من خلال بيانه ضلال بعض الأقوام فيه؛ ومنهم النصارى الذين اعتقدوا بآلة ثلاثة، ونسب إلههم الق-رآن مقولتهم الباطلة: (إن ا هو المسيح ابن مريم) (المائدة: 17)، وقوم: (إن ا ثلاثة) (المائدة: 73)، وقوم أيضا: (المسيح ابن الله) (التوبة: 30)، ومن خلال الآيات ال تذكر شرك النصارى -وال تعرض الشيخ لنفس ها-، كان يعتد كفرهم واذهم ولدا، أوج-أز-واع الشرك وأشنع².

فبمناسبة قوله تعا : (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) (مر : 92)، ب الشيخ أنه ليس م-ن شأن ا ولا مقامه وكرامته أن يتخذ ولدا، للمباينة ب ذاته وذات غ ه، لأنه تعا ه-وا-الق وكل ما سواه لموق، ولا نسب ولا اتصال بينه وب لموقاته؛ إلا كوم لموق له³.
وبعلل هذه الصفة السلبية -أي ال تسلب عن ا الشركاء بإطلاق ومن لهم الولد- ببيانه لغرض الناس من ابتغاء الولد، وانتفاء هذا الغرض عن ا تعا ، فأما الغرض الأول فهو حبهم لبقاء ذكركم والثناء عليهم بعد مو م، لكن ا تعا حي دائم لا موت، ولا حاجة له إ من يحيي-ي ذكركم، وأما الغرض الثا فهو التقوي والانتفاع بالولد، و تعا غ عما سواه، ليس به ضعف فيحتاج إ من يعضده، وليس به فقر فيحتاج إ من يغنيه⁴.

¹ - (م.س): ص 119.

² - انظر: نفس سورة مر : ص 186-187، نفس الكهف: ص 35، 36.

³ - نفس سورة مر : ص 188.

⁴ - (م.س): ص 190.

كما يعلل الشيخ قبح وشناعة هذا الضرب من الشرك -الزعم با اذ الولد- بقبح مسـ تلزماته، لأن من قال بذلك، فقد أثبت صاحبةً، وبالتا يُثبت له سبب حصول الولد وهــ والاتصـال انسي الكائن بـ الزوج ، والذي يستحيي العقلاء من ذكره ا فيه من خسة ومهانـة¹، فـا تعا أعظم من أن ينسب إليه شيء من هذه الصفات الدنيئة، ا هي أليـق بالكائنـات ا يـة ومعيشتها وتكاثرها.

12/ وحدانية الصفات:

«تعـ تفرد ا تعا وحده بالاتصاف بكل صفات الكمال، دون أن يشاركه فيها مشـارك، كما تعـ تفرده تعا باستجماع الـه عن كل صفات الـنقص، دون أن يشـاركه ذـاك مشارك²».

وكثـا ما يذكر الشيخ بيوض بوحدانية ا صفاته، عند تفسه ه لآيات الصفات، فيـد عدم النسبة بـ صفات ا لمق وصفات ا المق؛ إلا الاشتراك اللفظي، دون حقيقة اعا الـتلفـام الاختلاف، فصفات ا قد يوصف ا أناس من البشر؛ «فيقال: فلان رحيم، وفلان جبـار، وفلان عزيز، وهذه الصفات إذا أُجريت على ا تعا فهي حقيقية، فهو الرحيم حقاً، وا بـار حقاً، والعزير حقاً، وأما إذ أُجريت على غـ ا تعا فهي غـ حقيقية، وإـا تدل على شـيء بسيط من هذه اعا ؛ لا تقاس ولا توزن بصفات ا تعا³».

و ناسبة قوله تعا : (...قَاعِبْدِه واصْطَبِرْ لِعِبَادَتِه هلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (مر : 65)؛ بـ الشيخ أن مع الآية: «هل يوجد لأحد صفات كصفات ا ؟»⁴، ويرسخ الشيخ مفهوم اُبائية بـ صفات ا المق وا لمق ذكر أمثلة على ذلك، ومنها أن الإنسان يفتخر بصفة املك للممتلكات، لكن ملكه هذا غوف باكاره، يكن كان؛ وهو بعد ذلك يؤول إـ الزوال بعد موت صاحبه، أو عند قيام الساعة، فحينها يرجع إـا كل ما ملكه ن شاء من عباده، يوم يقول: (لمن املك اليوم) ؟؛ فيجيب تعا نفسه بنفسه: (لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (غافر: 16)، وبـ الشيخ أنه حينئذ تتحقـق

¹ - نفس سورة الكهف: ص 36.

² - النجار: مرجع سابق، ص 120.

³ - نفس سورة مر : ص 152.

⁴ - (م.ن).

صفة الوجدانية املك واقعيا، بعد فناء ا لمق، كما ققت الأزل قبل خلق ا لمق، فا هـ - و
الك والوارث ا قيقى، وكل شيء منه وإليه، والناس ينسبون الأشياء إ أنفسهم ازا؛ فيق - و
أحدهم: هذا ، وهذا ¹.

3/ وحدانية الأفعال:

«تع تفرد ا تعا بفعل كل ما وقع الكون، وما يقع فيه حاضرا ومستقبلا، إنشاء وإفناء،
وتدب ا لشؤون كل ا وجودات ب نشوئها وفنائها، وأنه ليس أحد غ ه يفعل من ذلك شيئا على
ا قيقة، بل هو فاعله ا قيقى»².

وقد نشأ من تصويره هذه ا قيقة من حقائق الوجدانية؛ بعض الإش - كالات ال - واردة على
الأذهان، كانت محلا للمداولة واطارحة العلمية ب علماء العقيدة³، نورد بعضا منها فيما يلي
من اسائل؛ > نتبين رأي الشيخ بيوض فيها.

* المسألة الأولى: السببية الطبيعية

لا فى على ذي عقل؛ ملاحظة ما يس عليه النظام الكو من نش - وء بع - ض ا و - ج - و دات
والأشياء من بعضها الآخر، > وإن يسم هذه الظاهرة با ها: أي قانون العلية أو الس - ببية؛
كنشوء ا طر من السحاب، وتولد بعض الكائنات ا ية من الاتصال ا نسي ب الذكر والأنثى،
وغ ذلك من طواهر الكون، والإشكال الوارد على الأذهان هو: أفلا تكون هذه الأشياء اُنشئة
لغ ها، ا أيضا قدرة الفعل، فتشبه بذلك أن تص مشاركة أفعاله؟⁴، فيجيب الشيخ بيوض
على هذا الإشكال أن ا هو الفاعل ا قيقى لكل أحداث الكون، وهو الذي أراد أن يس الكون
بقانون السببية، فقرن الأسباب باُسببات، والأسباب ال يزوا ا الإنسان - مثلا - لا ت - ودي إ
النتيجة ا قيقة لكن إرادة ا وقدرته هي ال جعلت الأسباب مفضية إ النتائج، و ا كمة ال
عللها الشيخ من ذلك هي أن ا أراد أن يعود الإنسان على العمل، فيتجنب الكسل، لطف - ا ب - ه
ور ⁵.

¹ - نفس سورة مر : ص 152، نفس سورة الأنبياء: ص 182 - 183.

² - النجار: مرجع سابق، ص 121.

³ - (م.ن).

⁴ - (م.ن).

⁵ - نفس سورة الروم: ص 59.

وقد طرح الشيخ هذه القضية، وهو يصحح مفاهيم حول القضاء والقدر ناسبة قوله تعالى :
(لِلّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ) (الروم: 4)، ويدّعي حقيقة التوكل على تعالى : أنه كل من طلب مطلباً
-كطلب النصر أو العلم أو الرّيح أو السعادة الآخروية- فعليه بواجبين: الأول عمله الذي كُلف
به وأسبابه المادية، والثاني الاعتماد على تعالى واعتقاد أن نجاح العمل ونتيجته من تعالى وحده¹.

ولتوضيح هذا المعنى، وبيان أن الأسباب الكونية ليست هي الفاعلة الحقيقية، ولا هي القادرة
على الفعل والتصرف، أعطى الشيخ أمثلة واقعية على ذلك، ومن بينها عمل الفلاح وأثره نبت
الزّرع أو الغرس؛ فقد يغتر مغتر ويقول: أنا الذي غرست هذه الشجرة، أو زرعت هذا الزّرع!،
فيجب الشيخ على من يظنّ هو؛ صدور تلك الشبهة منه: أن فعل الإنسان وسببه لا يعد شيئاً
بالنسبة لفعل تعالى، فعملنا ينتهي عند حرث الأرض، وبذرها أو غرسها، تسببها مع دوام
السقي²؛ «ولكن من الذي يفلق البنية ويرج منها آلاف الشعرات التي تسري مع العروق لتمتص
الماء والغذاء من التربة؟ ومن الذي أخرج منها السنابل التي تدسوقها تصلاتها وترواها تربي
؟»³، ويتساءل الشيخ: هل استطاعة البشر، منفردين أو مجتمعين أن ينبتوا شجرة؟ «من الذي
أخرج النخيل الباسقات، والأشجار العظيمة، الكثيفة الأغصان، من بذور صغيرة؟»⁴، فلا أحد
يستطيع أن يدعي أن مع تعالى إله أو شيء شاركه خلق ما خلق، وفعل أحداث الوجوه⁵،
(ألمه مع الله بل هم قوم يعدلون) (النمل: 60).

وتنظيم تعالى لكونه؛ وخلق على وفق السببية والسنن التي قضى أن لا تتبدل ولا تتغير، لا
يعجزه تعالى عن خلق شيء أو قانون آخر غرض هذه السببية، وهو ما يتحقق في أعجزات
أؤيدة للرسول ولرسالاهم، حيث جعلها الخوارق للعادات والنواميس المطرودة، لتعبر
النظام الكوني بالإرادة العليا؛ وأنه تعالى قادر على خرقه م شاء، وهو تعالى الذي أكد عليه
الشيخ مراراً عند تعرضه لتفسيح معجزات الأنبياء، حيث يلخصه بقوله: «قدرة تعالى صالحة لكل

¹ - (م.س): ص 60.

² - نفس سورة النمل: ص 124، نفس سورة الروم: ص 58.

³ - (م.ن).

⁴ - نفس سورة النمل: ص 123.

⁵ - (م.س): ص 124.

شيء»¹.

ومن ذلك مثلاً معجزة ميلاد المسيح ص من أم بلا أب، حيث جرى النظام الكو أن يكـون التوالد كل شيء ب زوج : ذكر وأنثى، واطراد هذا النظام قد يوهـم بعض الناس أن ا لا يقدر على غ هذا، «فأراد ا أن رق هذه السنة ولو مرة تاريخ البشرية، فولد مولود مـن أنثى دون ذكر ليكون آية للعا ، ليد م أنه غ مقيد ذه السنة، وأنه قادر على ما يشاء م يشاء بالكيفية ا يشاء»².

ومن ذلك أيضاً قصة إبراهيم ص، ومعجزة النار حينما ألقاه قومه فيها، حيث جعلها ا له بردا وسلاماً؛ (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (الأنبياء: 69)، فبـد الشيخ مناسبة هــذه الآية، أن ا تعا أبطل سنة من سنن خلقه؛ كون النار رقة، فصارت غ رقة، بل كانت بردا وسلاماً، واعتـد الشيخ البحث كيفية عدم إحراق النار لإبراهيم، وقصر السبب احتمالـي من الاحتمالات؛ جهلاً بقدرة ا تعا ، وعلل ذلك بأن الذي خلق خاصية الإحراق النار، قادر على أن علها غ رقة³، «وبذلك يكون الفاعل ا قيقى لكل ما ينشأ الوجود، إا هــو ا وحده، الذي إذا ما أراد أن يعطل فعل الأشياء فإنه يسلب عنها الفاعلية، فتمسك عن التأثر»⁴.

* المسألة الثانية: الشرور الكونية

من ب الأحداث الكثيرة الـدث الكون ووجودات العديدة الـتحيى فيه، يـبدو الظاهر أن بعضها فيه ضرر للإنسان وللبيئة، وذلك مثل ا راثيم و ا شـرات السـامة، وكـذا الكوارث و ا وائج اختلفة الـتصيب البشر و ا يون، والإشكال اطروح هنا هو: كيف تكون هذه الوجودات والأحداث من فعل ا تعا ، وهي تبدو شرورا ضارة بالإنسان والبيئة؟ وهـل مع هذا أن ا تعا يفعل لـمقه الشرور والأضرار؟ أو أنه تعا تصدر منه القبائح؟⁵.
وا واب على هذا السؤال - كما يرى عبد ا يد النجار- هو أن ما يلاحظ فيه الضرر مـن

¹ - انظر: نفس سورة مر : ص 18، 35، نفس سورة طه: ص 262، نفس سورة الأنبياء: ص 85، ص 139، ص 196، ص 198.

² - (م.س): ص 197.

³ - (م.س): ص 84-85.

⁴ - النجار: مرجع سابق، ص 122.

⁵ - النجار: مرجع سابق، ص 122.

لموقات ا وأفعاله؛ فيعتد شراء، ليس هو كذلك إلا فيما يبدو عليه الظاهر، إذ أنه عند التأمل الشامل تلك الأحداث والأفعال؛ والنظر آثارها القريبة ومآلا البعيدة، يتبين أنها تنطوي على خأك بكث من ذلك الشر الذي بدا ظاهرها، وأن كل ا كمة فيها¹.

وإهذا ا ذهب الشيخ بيوض نفسه، عند ليله لقصة سيدنا موسى م-ع العبد الصا، الذي قام بأفعال-بأمر من ا تعا- يستطع موسى عليها صا ا بدا له فيها من شر وإضرار بالحق، لكنها تؤول إ نفعهم وخهم، ومن ذلك خرق العبد الصا للسفينة ال كانت لموكة ساك يعملون ا البحر، فرأى موسى أن العبد الصا بدلا من أن يقدم يد العون هؤلاء الساك، أو > نفع عنهم الأذى -وهو أقل ما ب- إذا به -رق السفينة ليعيد بها، فيتساءل موسى الذي يطق صا: كيف يقوم العبد الصا ذا العمل، > لا يستطيع الساك ا صول على رزقهم بواسطة تلك السفينة، وفرق ب سفينة سليمة وأخرى معيبة؛ طلب الرزق²، قال تعا هذا الشأن: (قَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا وَقَالَ آخِرُهَا -تَهَا لَتَغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (الكهف: 71-72).

وتأويل هذا الفعل -كما بينه العبد الصا موسى فيما بعد- هو أنه أراد أن يحدث عيبا السفينة، > لا يأخذها الملك الذي يؤمم كل سفينة جديدة، قلأن تبقى عند أصحابا مرفعة، خ من أن يستول عليها الملك وهي جديدة³، فلا دون إ رزقهم سيلا، و ذا التأويل تبينت خية الفعل الذي قام به العبد الصا .

والعلة ال استفادها الشيخ بيوض من هذه ا ادة؛ هي أن ما يله ا تعا م-ن مصائب وآفات على الأموال -كسقوط بيت، أو احتراق ل، أو تلف مال-، لعل كلا منها بلاء قد دُع به بلاء أك منه، كما كان خرق السفينة سببا ا وحفظها من الغصب⁴، وقد قال تعا: (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) (البقرة: 216)، كما ب الشيخ أن ا قصد العملي م-ن قصة السفينة؛ هو دفع الناس إ تقبل كل ما أنزله تعا من مصائب، وإن يدركوا ا كمة فيها،

¹ - (م.س): ص 123.

² - الشعراوي، مد متو: معجزة القرآن، إعداد: أ د زين، شركة الشهاب، ا زائر، ط: 1990، ج 1/ ص 208.

³ - نفس سورة الكهف: ص 314.

⁴ - (م.س): ص 317.

بل وأقل ما يقال فيها: أ ما زيادة ا سنوات، وتكف للسيئات ورفع للدرجات¹، ومن لا يتبغي لنفسه هذه الفضائل.

وذا ا ع -تقريباً- استخلصه الشيخ بيوض من ا إدئين الآخرين اللذين قام م-ا الع-د الصا أمام مرأى موسى د، و ا: قتل الغلام، وإقامة ا دار الذي أوشك على السقوط².
وتفسد أفعال ا تعا الكون، بالنظرة التفاؤلية ال عرضها الشيخ بيوض لميله لقصة-ة موسى، هو التفسد الذي وجدناه عند الشيخ مد متو الشعراوي، عند لميله لذات القصدة،
ذكر ختامها أن ا قصد العملي من سوق أحداثها هو أن ا أراد أن ي-ب «أن هنالك كهوفا ا ياة تواري ا قائق عنا، وأن على الإنسان ألا يغتر بظواهر الأشياء، وأن يعلم أن هناك حقائق مخفية، وليعلم كل إنسان أن كل قدر قد يقع عليه -ليس له فيه اختيار- فيه حكمدة، وا كمة ليست دائما ظاهرة»³.

كل ما سلف هو بالنسبة للأحداث ال يحدثها ا الكون، فمهما ب-دا ظاهره-ا م-ن شرور، لكنها ا حقيقة كلها خ وحكمة، ونفس ا ع فيما ص ا وجودات ال خلق-ت ا ياة، فقد تب البحوث التجريبية ا دينة أنه ما من موجود على وجه الأرض؛ إلا وله دور حفظ التوازن البيئي، مهما رئي عليه من ضرر الظاهر⁴، فإذا أتينا مثلاً إ ع-ا ا ش-رات، وجدنا أ ا غالباً ما تصنف «على أ ا نافعة أو ضارة، ولكن هذا التقسيم هامشي، لأن ا شرات ثل جزءاً من شبكة ا ياة ال تشتمل على البشر وعلى كل الأحياء الأخرى. تتغذى ا ش-رات بنباتات وحيوانات، ولكنها بدورها تكون غذاءً لنباتات وحيوانات أخرى؛ ولذا فهي تساعد على إبقاء التوازن البيئي الدقيق ب الكائنات ا ية، من نبات وحيوان على كوكب الأرض...ف-إذا اختفت كل ا شرات من كوكب الأرض، فإن ذلك الكوكب سوف يتغ اما، ولسوف ينقرض العديد من أنواع النباتات، ولر ا يستطع البشر البقاء على وجه الأرض»⁵، وهذه بعض ا كمة

¹ - (م.س): ص 318.

² - انظر: (م.س): ص 318-324.

³ - الشعراوي: مرجع سابق، ج 1/ ص 219.

⁴ - النجار: مرجع سابق، ص 123.

⁵ - ا وسوعة العربية العاية: مرجع سابق، ج 9/ ص 366.

من خلق تلك الكائنات.

14/ وحدانية ا كم:

يعرف عبد ا يد النجار، وحدانية ا كم بقوله: «معناها أن ا تعا هو وحده الذي كـم حياة الناس، ويد منهاجها فيما ينبغي أن تكون عليه: تصورا حقيقة الوجود، وسلوكا نطـاق الفرد وتمع، وليس لأحد غـه من ا لمق أن يأ نهـاج من عنده يري عليه حياة الناس، سواء كان جزئيا أو كليا»¹.

فكيف ينظر الشيخ بيوض إ هذا الركن من أركان الـوحدانية؟ ذلك ما سنتطرق إليه من خلال مسألة ؛ الأو : تعريفه لوحـدانية ا كم ووجوب الإ ان ا، والثانية: ذكـره دواعي توحيد ا ا كم.

* المسألة الأولى: حقيقة وحدانية الحكم ووجوب الإيمان بها

يد الشيخ بيوض أن وحدانية ا كم معناها، أن «ا تعا وحده، الذي يشرع للبشـر مـا يصلحهم، ويد م القواعد والأسس الـ يبنون عليها أحكامهم، ويعتمدون عليها معاملا م، و حكم بعضهم بعضا دون يز أو انتماء، إذ لابد من سلطة بشرية تفـض الـ اءـات، وتقـيم ا دود، ولكن وفق نظام ا»².

فحكم ا تعا وشريعته الـ أنزـا على البشر لتنظيم حيا م، هي جزء من أفعاله تعا الـ ب تـوحيدـه فيها، فلا يتبع إلا شرعه؛ الشامل لكل جوانب ا ياة، إما علاقة الناس بر م وإما معاملا م الدينوية، الـ أنزل ا أغلبها قواعد عامة يستنبطون منها أحكاما جزئية على حسب الظروف .

وقد دخل الشيخ إ بيان وجوب الإ ان بوحدانية ا شرعه وحكمه من مداخل متعـددة، فدخله مرة من مدخل الغاية من عبادة ا ، وهي طلب رضاه والتقرب إليه، فـب أن «كل عاقـل يستطيع أن يدرك أنه لا كـن أن يطلب رضـى ا إلا ا شرع ا ، هو الذي يقـول لعبـاده: إذا أرد أن أرضى عنكم فافعلوا كذا وكذا، وليس العباد هم الذين يتكـرون بعقـوم ما يرضى بـه

¹ - النجار: مرجع سابق، ص 125-126.

² - نفس سورة ا ومنون: ص 215.

عنهم ر م»¹.

كما دخل الشيخ إ بيان وجوب الإيمان بوحداية ا كم؛ من مدخل الإرادة و اشيئة ا طلبة تعا ، ال هي جزء من وحدانية الأفعال، فبمناسبة قوله تعا : (وربـك يخلق مـا يشـاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) (سورة القصص: 68)، بـ الشيخ أنه ا كان ا لى ما يشاء، و تار من خلقه ما يشاء، ا هــ و السـ ماوات والأرض مـن موجودات وأزمنة وأمكنة؛ وذلك كاصطفائه من الائمة رسلا ومن الذـ اس، وكاختياره مـن الأمكنة: البيت ا رام، ومن الأزمنة: شهر رمضان ويوم ا معة، فلما كان الاصطفاء ا طلق وحده، الذي لا ضع فيه لاقتراح مع ، ولا استشارة وزير، وجب على الناس ا ضوع كمـه وشرعه، وليس م حق الاختيار والتفضيل²، يقول الشيخ هذا الشأن – اطبا للبشرية عاءـ: «فليستم أنتم أيها البشر الذين تارون، إ ا الذي تار هو ا وحده، وهو أعلم حيث عـل اختياره وحيث عـل رسالاته، وحيث عـل سخطه ورضاه وأين عـل كل شيء، فما أقره وبيده لنا؛ نتقبله، وما يبينه لنا ما كان لنا أن نفتري عليه»³.

وا دخل الآخر الذي دخل منه الشيخ إ ا وضوع، هو ولية شرع ا وواقعيته، حيث بـ أنه لا يوجد عـل شرائع البشر فوق الأرض، ما يضمن م تنظيم حيا م وقيق سـ عاد م الدنيا – إذ يسود بينهم الأمن والسلام والعدل - وبا قابل يريهم سبيل السعادة الآخرة، لا توجد تلك الامتيازات إلا الإسلام شريعة ا ، فانهى الشيخ إ أنه إذا ساد الأرض قانون السماء، سعدت البشرية عاء⁴.

يكتف الشيخ بيوض إقناع الناس؛ بوجوب الإيمان بوحداية ا حكمه ببيان معناهـا، > أخذ يعلل هذه الوجدانية ويوضح دواعي الاحتكام إ شرع ا ، ونبذ ما سواه من شـرائع وقوان ، وذلك ما سنتطرق إليه ا مسألة الثانية.

* المسألة الثانية: دواعي توحيد الله في حكمه وشرعه

¹ - نفس سورة الأنبياء: ص 208.

² - نفس سورة القصص: ص 468-471.

³ - (م.س): ص 471.

⁴ - نفس سورة ا ومنون: ص 215.

كن أن نقسم الدواعي ال علل ا الشيخ مبدأ ا اكمية إ اعتبارين:

الاعتبار الأول:

هو الاستشهاد بكمال صفات ا الق عز وجل، في الشيخ أن ا تعا ا الق لكل شيء، العا بالغيب والشهادة، لا ريب أن «يكون شرعه؛ ا ق الذي ين الطريق وبه-دي إ س-واء الصراط، ولا شيء من شرع ا كن أن ينقض، وإ ا الذي ينقص هو شرع البشر، لا م لا يعلمون الغيب، ولأن علمهم مهما اتسع فهو ضيق»¹.

وا تعا الذي نظم س هذا الكون بكل أجرامه السماوية والأرضية، تنظيماً دقيقاً كما، هو الذي يضع للبشر النظام الذي كمنون به فيما بينهم، وقيمون عليه حكوما م ودوم²، «إذن لا يضع نظام الكون إلا خالقه ومديره»³.

و مناسبة قوله تعا - اطبا نبيه p-: (واتبع ما يوحى آإليك من ربك إن الله ك-ان-م-ا تعملون خد ا) (الأحزاب: 2)؛ ب الشيخ ا كمة من استعمال القرآن كلمة "الرب"؛ بدل كلمة "ا"، فقال: "من ربك"، حيث رأى الشيخ هذا الاستعمال إشارة إ الاستدلال بوحدانية ا كم تعا ، وتعليل ا بدليل العناية، فالرب الذي خلق الإنسان مراحل > اكتمل خلقه واستوى، والذي وهب له السمع والبصر والفؤاد، والذي ربي جسمه وعقله وزوده بك-ل-م-ا يمكنه من مل أعباء التكليف، ذلك هو الرب ير روحه ونفسه، ويهديه إ الطريق اوص-ل للسعادة الأبدية ال خلق ا⁴.

وقد دعا الشيخ -وهو يعا تلکم القضية- كل عاقل أن يتفكر شرع ا ، ويتأمل نفسه متسائلاً: «من أنا > أصل إ ما أنا عليه، لولا أن ا هو الذي ل بر ته، وزود بص-حة بدن، وكمال عقل؛ فالذي ربا و يهما جسمي؛ أيمكن أن يضل عن س-واء الس-بيل؟ كلا، إنه لا يشرع إلا ما فيه خي ونفعي وصلاح، فالطريق الذي شرعه بنفسه-ه إذن ه-و

¹ - نفس سورة لقمان: ص 176.

² - نفس سورة ا ومنون: ص 214.

³ - (م.ن).

⁴ - نفس سورة الأحزاب: ص 140.

الطريق الأقوم»¹.

والنتيجة الأولى سبق هي أن الإنسان المؤمن بتفرد خالقه بصفات الكمال؛ عليه يوقن بتفرد الله تعالى كم والتشريع، و عليه على اتباعه دينه، الذي لا يدعو إلا إلى الحق والعدل، ولا يوصل إلا إلى السعادة والرضوان.

2/ الاعتبار الثاني :

هو استشهاد الشيخ بصفات النقصان لدى البشر، التي لا تؤهلهم إلا أن يشرعوا لأنفسهم نظاما مطردا شاملا لزيات حياتهم، حيث يكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة. وقد وجدنا الشيخ يذكر خمسة صفات بشرية، بكل منها قصور البشر وعجزهم عن أن يستقلوا بتشريع نظام لأنفسهم، ليدل على - بطريق غير مباشر - على تفرد الله تعالى بكم من دون سائر المخلوقات.

الصفة الأولى / ضعف عقل الإنسان

ناسبة قوله تعالى : (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر - ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) (لقمان: 27)، وخلال استفاضة الشيخ بيان سعة ملك الله تعالى وعظمته²، تطرق إلى ضلال كثير من الملق بعباد لم لبشر مثلهم، وذلك باتباع آرائهم - م وشرائعهم، فأجرى مقارنة - وإن كانت لا تصح، إلا أنها لتقريب الفهم - بين صفات الله تعالى وخلق، > يدرك من الأحق بأخذ الدين والرشاد منه: من فاطر السموات والأرض - الحكيم. أم أن لا يوثق به، ولا ما يقول ويقرر؟³؛ وأول صفة ذكرها الشيخ بيان قصور الإنسان عن التشريع، هو ضعف عقله، إذ أن عقل المرء مهما بلغ، إلا وكن أن يكون هناك عقل أكثر منه⁴، كما أنه عرضة للخطأ باستمرار⁴.

الصفة الثانية/ قصور الإنسان عن علم الغيب

طرح الشيخ التساؤل الآتي : «لنفرض أحدا بلغ الدرجة القصوى من العقل والتغلب على القوى،

1 - (م.ن).

2 - نفس سورة لقمان: ص 434.

3 - (م.س): ص 493.

4 - (م.س): ص 494.

فهل يا ترى يعلم الغيب؟ يعلم ماذا سيحدث غدا؟¹، واواب طبعا لا؛ مصداقا لقوله تعا : (قُل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله) (النمل: 65)، وقوله: (وما تدري نفْس مـا آذا تكسِب غدا) (لقمان: 34)؛ وقد حلل الشيخ هذا ابدأ: تفردا بعلم الغيب، صورة مثال؛ وهو ما يضعه البشر من القوان منذ أقدم العصور إاليوم، وحالتها من التغاسـتمـر، هـاـهمـا سيحدث مستقبلا من تطورات الزمان، «فما يقرونه اليوم ويرونه صاا، ينسخونه بعد يوم أو شهر أو عام أو عام أو بعد عشرين عاما، وهذا أك تقدير»².

وقد حلل الشيخ بعض الأمثلة إجلاء حقيقة جهل الإنسان بالغيب استقبلي؛ وأثر ذلك تغير أحكامه، ومن ذلك مثلا، قانون نابوليون الشه³ الذي اعتمدته أوربا وغها من بلدان العا، حيث نقل الشيخ قول ذلك الزعيم الفرنسي عن نفسه: «ليس فخري بأربع معركة انتصرت فيها؛ بأول من فخري وضع القانون»⁴—واعروف بقانون نابوليون—، علق الشيخ على هذا القانون بقوله: «ولكنه كاد أن ينقرض الآن، مع أن العهد قريب، وقد عدلت فيه كثر من مواده مسـايرة لتطـور الوقت، وراحوا يرفعونه مادةً مادةً، كمن راح يرفع ثوبا، ذهب الثوب وبقيت الرقع، وإذا كان هذا ما آل إليه هذا القانون؛ فقوان الدنيا كلها على هذه الشاكلة»⁵، والسبب ذلك أن اشرء تبدو م بداوات وأمر يكونوا يتوقعوا اسبان من قبل، سواء النظـام الاقتصـادي أو السياسي أو العسكري أو الأحوال الشخصية، فيضطرون إ نقض قوانينهم وتعديلها دوما⁶. وينتهي الشيخ بذلك التحليل إ نتيجة، صها شكل تساؤل وتقرير: «فكيف إذن يوثق ا يضعونه ويشرعونه كقواعد للسلوك يس عليها البشر طول الدهر؟، ولكن ا تعا ا الغيب

¹ - (م.س): ص 498.

² - (م.س): ص 499.

³ - نابليون بوناپارت، (1769-1821م)، قائد عسكري فرنسي، توج نفسه إم اطورا لفرنسا، وقد مثّل أشهر عبقريّة عسكريّة زمنه، وقد كون إم اطورية ضمت معظم غر أوربا ووسطها. وقد أثبت نابليون أنه إداري مد من الطراز الأول؛ حيث وضع قانون نابليون أو القانون اا، الذي لا يزال يشكّل أساس القانون اا الفرنسي.

بتصرف عن: **اوسوعة العربية العالمية**، مج 25/ص 9-10.

⁴ - نفس سورة لقمان: ص 499.

⁵ - (م.س): ص 499-500.

⁶ - (م.س): ص 500.

والشهادة يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن»¹.

الصفة الثالثة/ تسلط اوى على عقل الإنسان

اعتد الشيخ تسلط الشهوات والأهواء—وهي كل ما يل إليه النفس و د فيه لذ ا- على عقل الإنسان، من عناصر ضعفه، ا لا تسمح له أن يستقل بالتشريع ياته، وهذا التسلط للهوى أمر لا يشك فيه أحد؛ ح تاج إ دليل أو إثبات، إذ أن كل إنسان يحس من نفسه هذا الأمر².

واستشهد الشيخ بقوله تعا : (أَقْرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهِهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) (ا ماثية: 23)؛ فب الشيخ أن الآية جعلت اوى إ ا، حيث كان—هذا الذي تتحدث عنه الآية- يطبع نفسه فيم ا تأمره به، وهو عا با ق كما أخذت الآية (وأضله الله على علم) ولكنه غلبته شهوته وهواه، فكان يس قضاها؛ إ ما خصوص نفسه أو فيما يشرع ل ه من القواز³.

وبعقب الشيخ—وهو مل بعض الأمثلة الواقعية- بقوله: «فنفسنا تغلبنا فنس طريق الضلال، ونرتكب أشياء رمة يقينا، لأننا ذلك الوقت وضعنا عقولنا جانبا، فأخذت النفس زمام القيادة من العقل، فأردته ا اوية»⁴.

ومن أجل ذلك جاء القرآن بآيات تنهى عن اتباع اوى؛ عقب الأمر بكم ا أنزل ا ، فق ا ل تعا لنبيه p: (وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ مِمَّا أُنْزِلَ ا وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ، أَنْ يُفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مِمَّا أُنْزِلَ ا إِلَيْكَ) (ا مائدة: 49)، وقال ا تعا لنبيه داود v: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ قَاحِكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ مِمَّا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (ص: 26).

والنتيجة ا انتهى إليها الشيخ من التحليل السابق صها تساؤل وتقرير فقال: «م سـ لم الإنسان من اوى؛ ح يكون كل ما يشرعه هو الصواب، وهو ا الذي يتبع ؟ كلا، إنه يسلم من هذا، فلا ثقة فيه أبدا، فالقضية لا تاج إ أدلة، وكل واحد دليل نفسه»⁵.

¹ - (م.ن).

² - (م.س): ص 494-495.

³ - (م.ن).

⁴ - (م.س): ص 495.

⁵ - (م.س): ص 497.

الصفة الرابعة/ س القبيح بالإلف والعادة

من الطباع السيئة ال بينها الشيخ الإنسان: تعودته كل الأشياء والأفعال > القبيحة مذ-ها، فنتيجةً لاتباع هواه شيء ما من جهة، وإلفه لذلك الشيء من جهة أخرى يفسد عقله ا ك-م على الأشياء؛ إذ س القبيح ويقبح ا س، وقد «يكره الإنسان شيئاً ما لطبع فيه أو لسبب م-ا، ولكنه إذا زاوله فإنه يألفه، > يصبح بوباً لديه، أو العكس كذلك، وهذا طبع البشر ا عنويات وا سوسات»¹.

ولتوضيح هذا الفهم أكثر ضرب الشيخ بعض الأمثلة التاريخية والواقعية، ومن بينها ديوثه بعض الرجال الذين يكرهون بنا م على البغاء، من أجل الاسترزاق بأبضاعهن، فالغة على الشرف -ال هي أغلى ما ملك اراء-، يضحي ا من أجل ن س أو متاع قليل، وهذا ما يفعله التعود على الإ عند بعض الناس، > ينقلب إهم فعلاً حسناً يدمنون عليه، بل وقد بلغت سفالة بعض الآباء اهلية إ أن يأخذ بنفسه بناته إ دور البغاء، وينتقل ن من مكان إ مكان ملهن على له، أو يسوق ن هودجهن متاجراً بأعراضهن، وكأنهن دكاك تدر عليه بالأموال الطائلة². ويتساءل الشيخ بعد ذكر هذا اثال: كم هو الفرق ب هذا الذي يأخذ ابنته بنفسه إ دور الفساد ويمكنها ن يفسق ا، وب من يقتل ابنته -وهي صغة - خوفاً من الفضيحة والعار³ - وهو ما كانت تفعله العرب اهلية-، ب من افظ على غته إ حد التطرف، وب- م-ن يضيعها إ حد الاطاط دركات البهيمية.

وبعد أن ساق الشيخ طائفة من الأمثلة على قضية س الإنسان للقبيح كم الإلف والعادة، خُص إ أن الإنسان «قد مع ا تناقضات، فقد يسمو إ أن يصل إ أف-ق الملائكة والرفيق الأعلى، أو يتسفل إ أخط من دركة الأنعام»⁴؛ مستشهداً بقوله تعا طائفة من البشر: (إنهم، إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) (الفرقان: 44)، ويؤكد الشيخ النتيجة ال انتهى إليها سابقاً بقوله: «وبعد هذا أكن أن يوثق قانون وضعه البشر السلوك، بدعوى أنه قاله أفلاطون وأرسطو

¹ - (م.س): ص 500.

² - (م.س): ص 504.

³ - (م.ن).

⁴ - (م.س): ص 514.

...؟ كلا، فلا ثقة شريعة مطلقا، إلا فيما شرع ا تعالى وحده»¹.

الصفة ا امسة/ الاختلاف ب أفراد البشر

ناسبة قوله تعالى : (وَلْيُاتِ بِحَقِّ أَهْوَاءِهِمْ لِفَسَادِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ) (ا ومنون: 71)، استخلص الشيخ دليلا على إبطال تعدد الإله، وإثبات الوحدانية تعالى ، وذلك ا يشاهد من الاختلاف ب أفراد البشر كل شيء، ألوا م وأجناسهم، و أبدا م وعقو م، و أهـ واءهم وأغراضهم، وكل واحد منهم يرى ا ق سب تفكه وهواه، وهذا الاختلاف موجود > بـ الأشقاء والتوائم، وقد نزلوا من صلب واحد، فلو افترضنا أهواء البشر هي اُسيرة للكون، لزام أن يتعدد ا ق، ولو تعدد ا ق لخرّب الكون².

ويزيد الشيخ هذا الطبع البشري، جلاء ووضوحا، فيد أن هوى النفس ليس تلقا سب الأفراد فحسب، بل > الفرد الواحد تلف أمره ب طلة وأخرى، إذ تبدو له البداوات والآراء، فيـ ب اليوم ما يهدمه غدا³، يؤكد مرة أخرى النتيجة السابقة بقوله: «فكيف كن إذن أن يعهد للبشر، بوضع نظام يصلح ميع البشر، وهم تلفون، ينقض بعضهم رأي بعض، وكل واحد يقول: اـ و كان الأمر بيدي لفعلت كذا أو كمت بكذا»⁴.

15/ وحدانية ا عبودية:

يعرف عبد ا يد النجار وحدانية ا عبودية بقوله: «معناها أن ا هو وحده الذي له أن عمل من الإنسان عبدا له، وليس لأحد غ ه أن يفعل ذلك وهو ما يقتضي أن الإنسان ليس له أن يتجه بالعبادة وما تستلزمه من ا ذلة و ا ضوع إلا وحده، فيتخذ ا عبود الأوحد: خضوعا وتسليما بالقلـ ب، وطاعة للأوامر والنواهي، وتقربا با ناسك، وتوجها إليه بالدعاء»⁵.

يعلق الأستاذ بأن هذا الركن من أركان الوحدانية، هو نتيجة مترتبة عـ ن الأركـ ان الأربعةـ ا تقدمه، فلما كان ا تعالى واحدا ذاته وصفاته وأفعاله وحكمه، فهذا يقتضي أن يكـ ون هـ و

¹ - (م.س): ص 515.

² - نفس سورة ا ومنون: ص 210-211.

³ - (م.س): ص 212.

⁴ - (م.ن).

⁵ - النجار: مرجع سابق، ص 127.

الواحد التوجه والتقرب إليه بالعبادة¹، وهذه القضية هي ال ركز عليها الشيخ بيوض أكثر. ركن وحدانية ا عبودية؛ إذ عل الشيخ توحيد العبادة -أو توحيد الألوهية- هي النتيجة ا تمية لتوحيد ذاته وصفاته وأفعاله، وهو ذلك متبع نهج القرآن الكر إذ اطب العقول على ا مفطورة بالاعتراف با خالقا ومديرا للكون؛ و عل من هذا الاعتراف مقدمة للوصول إ وحدانيته ا عبودية وال أنكرها أكثرا لمق.

من ذلك مثلاً؛ الأسئلة الثلاثة ال أمر ا تعا نبه أن اور ا اشرك ما ص خلـ ق الكون وتدب ه، حيث يقول ا تعا : (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ قُلْ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ قُلْ أَقْلًا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ مِ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) (ا ومنون: 84-89).

و نفس الشيخ ذه الآيات؛ سجلنا له ثلاث نقاط منهجية ذكرها:

*** الأو :** أن الآيات تش إ سخافة عقول ا شرك وبلاد ا، لتناقض أحوا م، فهم مـن جهة ـ يعتقدون شيئاً -وهو التصرف ا طلق الكون-، ومن جهة أخرى يعتقدون شيئاً يناقض العقيدة الأو -وهو اعتقاد النفع معبودات أخرى-.

*** الثانية:** أن ا تعا أجاب بنفسه عن تلك الأسئلة؛ لكن على لسا م، لأنه يعلم ما نفوسـ هم، وألا طريق م للجواب إلا ذلك.

*** الثالثة:** أن ا سلك اور م مسلك التدرج والترقي، فبدأ سؤا م بالأرض ال هي من أصغر الأجرام، ارتقى إ السماوات السبع والعرش العظيم، جاء بكلمة تعم ا ميع؛ وهي ملكـ وت كل شيء².

كما ذكر الشيخ حكمة استعمال كلمة الربوبية الآيات؛ ل الاستفسار عن صاحب تـ لك ا خلوقات "قل من رب"، وذلك للتنبيه إ التدب، والتصرف، والقيام بشؤون السماوات والأرض، وإ الإدارة ا كمة ا أنظمة ال تفسير الكون وتشرف عليه³، وقد بـ الشيخ الأصل اللغوي لكلمـ ة

¹ - (م.ن).

² - نفس سورة ا ومنون: ص 243-245.

³ - (م.س): ص 245.

"الرب" الله هي «مأخوذة من التربية، ورب الشيء من يقوم بالشيء، يربيه وينميه وده الله تعالى -اج إليه...ومربي الله هو الذي خلق الله، وهو الذي يسيره، وده الله يضمن بقاءه، ح الله يات وقت فنائه»¹.

وبعد الشيخ تذييل الآيات هي الله الشاهد الاستدلال على وحدانية العبودية، و الله -ل العقول إ الاعتراف الله وهي قوله تعالى: (قُلْ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ) وقوله: (قُلْ أَقْلًا تَتَّقُونَ)، ففي الأولى قال الشيخ على لسان القرآن: «ألا تتعظون وتعتون؟! فمن جهة تقولون: إن الأرض ومن فيها، ولكنكم من جهة أخرى تلجأون طلب الله نافع وقضاء الله حاجات؛ من لا ملك الأرض ومن فيها»². و تذييل الآية الثانية (قُلْ أَقْلًا تَتَّقُونَ)، قال الشيخ على لسان القرآن: «ألا الله فون من هذا الذي هو رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، والله فون غه؟! والله تقتضيه العقول، أن تكون الطاعة والرضوخ للقوي، وهل هنالك من تدا عظمتة عظمتة الله تعالى؟!»³.

فخلاصة ما مضى أن توحيد الله بالعبادة هي النتيجة الضرورية لتوحيده الربوبية، كما الله -ص الشيخ ذلك وصفه تعالى بقوله: «هو الله تفرد بالله والرزق، والنفع والضرر، فلم يشارك أحد الله -أ خلقنا أو رزقنا، ولا مدنا بالله، ولا إمامتنا، وإذا كان هو الوحيد الله تفرد الله إذن الله ب أن يقصد وحده بالعبادة والشكر»⁴.

ويعرف الشيخ العبادة وما يلزمها من توحيد بقوله: «هي الله ضوع التام الله مطلق، والقيام بالطقوس الله أمور الله الشريعة؛ قصد وجه الله وحده»⁵.

و موضع آخر، يعبر الشيخ عن توحيد العبادة بالإسلام، وذلك مناسبة قوله تعالى: (وممن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) (لقمان: 22)، حيث يوضح الله -ج

¹ - (م.ن). «رب كل شيء، ملكه ومستحقه أو صاحبه» الله وز آباي: الفاموس الله بط، توزيع: مكتبة النوري - دمشق، د.ت، ج 1/ص 70. و«الرب يطلق الله على الملك، والسيد، والدبر، وأربي، والقيم، وأنعم» ابن منظور، الله الدين محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، دار حياء التراث العرب؛ دار صادر، بيروت -لبنان، د.ت، مج 1/ص 399.

² - نفس سورة اومنون: ص 244.

³ - نفس سورة اومنون: ص 245، أنظر الله وضوع أيضا نفس الشيخ للآيات: 60-64 من سورة النمل، نفس سورة النمل: ص 121-142.

⁴ - نفس سورة لقمان: ص 201، أنظر أيضا نفس سورة مر: ص 93-94.

⁵ - نفس سورة لقمان: ص 202.

حقيقة الإسلام هذه بقوله: «فالإسلام الحقيقي أن يعطي أحد نفسه خالصاً، لا لشخص آخر، وإذا تعارضت دعوة الله مع دعوة غيره يعطي نفسه، وهنا مظهر الإيمان»¹.

و إطار حديث الشيخ عن وحدانية عبودية، مناسبة قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان: 13)، دفع توهمها قد يلتبس بالأذهان؛ وهو استحقاق الوسائط الظاهرة؛ للعبادة!، فبذلك الشيخ أن الأسباب والوسائط التي يظهر للإنسان منها خلقه ورزقه؛ إنما هي مسخرة بإذن الله، والله هو الذي قضى أن لقمنا وبرزقنا بواسطة تلك الأسباب -وهي السببية الطبيعية التي ذكرناها سابقاً-، ففي خلق الإنسان مثلاً، كلف الله الملائكة بعض الأطوار، ويقوم ببعض الآخر البشر، كما تقوم الأم بالحمل والوضع والإرضاع، والله يرزقنا لما لم يقدر على ذلك بعضهم من بعض، لكن الكل بأمر الله وتيسره، فهو استحقاق للعبادة وحده دون سائر الأمور، وهو اقصد وحده بكل أعماله²، يقول الشيخ هذا الشأن: «وأما أعمال الله المعروفة التي يرجى ثوابها الآخرة فإنه يقصد ما وجهه وحده، ولا يقصد غيره أبداً، لأنه لا ريب ولا رسول ولا ملك، فضلاً عن الأم والأستاذ والأخ أو غيره»³.

و إطار رفع اللبس عن هذا الركن من أركان الوحدانية، ننبه عبداً بيد النجار إلى مسألة غاية الأهمية؛ إنها ما ذكرنا تفهيم الشيخ بيوض، وهي ما يبدو من خضوع الناس بعضهم لبعض في الحياة الاجتماعية، استثماراً وانتهاءً، وسعياً قضاء الحاجات، كخضوع الولد لوالديه، وطاعة الرعية لراعيها؛ فهذا الخضوع لا يقدر الوحدانية، لأنه يندرج إطاراً لطلوب الشرعي من طاعة الوالدين وأوامرهم، فهي إذن خضوع وعبادة لله؛ مادام ذلك الخضوع جارياً حسب المطلوب -وهو شرعيه⁴، إذ يقول الله تعالى -مثلاً-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء: 59).

¹ - (م.س): ص 423.

² - (م.س): ص 201-202.

³ - (م.س): ص 201.

⁴ - النجار: مرجع سابق، ص 127.

المبحث الثاني: حقيقة الشرك وأقسامه عند الشيخ بيوض

أولاً/ حقيقة الشرك

1/ مفهوم العام للشرك:

أ/ تعريف الشرك لغة:

قال ابن منظور لسان العرب عن تعريف الشرك: «الشركة والشركة سواء: الطة الشريكين، يقال: اشتركنا ٤ تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركوا وشارك أحدا ١ الآخر ... و حديث معاذ: أنه أجاز ١ أهل اليمن الشرك أي الاشتراك الأرض، وهو أن يدفعها صـ احبها إـ آخر بالنصف أو الثلث أو ... وذلك ... وطريق مشترك: يستوي فيه الناس، واسم مشترك: تشترك فيه ٥ معان كثة كالعين ووها فإنه مع معا كثة»¹.

وقال الراغب الأصفهاني تعريف الشرك لغة و استعمال القرآن: «الشركة والمشاركة خلـ طـ لمكين، وقيل هو أن يوجد شيء لاث فصاعدا، عينا كان ذلك الشيء أو معنى كمشاركة الإنسان والفرس ١ يونانية ... وروي أن ا تعا قال لنبية عليه السلام: «إ شرفتك وفضلتك على بيع خلقي وأشركتني أمري» أي جعلتك يث تذكر معي، وأمرت بطاعتك مع طـ اءـ -و: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) (النساء: 59) ...»².

والشركة: جباله الصائد، وتأ ٤ معظم الطريق ووسطه، مع على "شرك"، كمـ ا ذكـ ر ا وهري الصحاح³.

ومرجع مادة الشرك إ الضم والمط ب شيء وآخر، أو ب أشياء، فإذا كان ٤ اصة مـ ن الشيء؛ يكون لواحد وباقية لآخر أو آخرين، فالشريك مخالطاً لشريكه، وحصته منضمة لنصـ يب الآخر، وإذا كان ٤ ا بالة فإن ما يقع فيها من ا يوان، تلتط ا وينضم إ ملك الصـ ائد، وإذا كان ٤ معظم الطريق، فإن أقدام ا اشد تلتط آثارها هنالك⁴.

وقد ١ الشيخ مبارك بن مد ايلي أن اجتماع الشركاء شيء لا يقتضي تساوي حصصـ هم

¹ - ابن منظور: مصدر سابق، ج 10 ص 448-449.

² - الراغب الأصفهاني، مصدر سابق، ص 291. و حديث الذي ذكره نعر عليه فيما ثنا.

³ - ا وهري، أبو نصر إ اعل بن اد: الصحاح (ناج اللغة وصحاح العربية)، قيق: إميل بديع يعقوب و مد طريف نبلي، دار الكتب العلمية (لبنان)، ط 1: 1420 هـ - 1999 ج 4 ص 372.

⁴ - ايلي، مبارك بن مد: رسالة الشرك ومظاهره، نشر: دار البعث، فسنطينة - ا زائر، ص 58.

فيه، ولا نغ زيادة قسط على آخر، وذا يقال: فلان شريك لـ هـ، عقار أو بضاعة، ولا يمكن له منها إلا معشار العشر، وإذا كان هذا الحسيات فهو الحنويات أيضا؛ فيقال: الأبوان شريكان برابنهما ما، وإن كان حق الأم الطاعة أعظم¹.

ب/ تعريف الشرك شرعا:

بعد القيام باستقراء عدد من المصادر العقيدة والتفسير، ثا عن مفهوم الشرك شرعا، لاحظنا أن التركيز غالبا - على تصنيف الشرك إقسام، وتعريفها بالتمثيل، أكثر من اهتمامها بالحققة الشرعية الشاملة للشرك².

فمثلا د الراغب الأصفها: بعد أن يذكر التعريف اللغوي للشرك؛ يشرع مباشرة تقسيم الشرك - من الناحية الشرعية - إ ضربين؛ فيقول: «أحد الشرك العظيم وهو إثبات شريك تعا، يقال أشرك فلان بأ وذلك أعظم كفر، قال [تعا]: (إن الله لا يغفر أن يشرك به) (النساء: 48 و 116) ... والثا: الشرك الصغ وهو مراعاة غا معه بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق أشار إليه بقوله: (شركا فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) (الأعراف: 190)، (ومما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) (يوسف: 106) ...»³

ويقول الشيخ المد بن يوسف اطفيش تعريف الشرك بأنه: «جحد أو كتاب من كتبه، أو ن من أنبيائه أو صفة من صفاته أو بعض كتاب، وتسوية غ به شيء أو الشك وانة والنار أو ن أو ملك أو كتاب بعد علمه»⁴.

ويقول الشيخ مد رشيد رضا تعريف قسمي الشرك - تفسد النار - : «قد بينا مواضع كثرة من التفسد حقيقة الشرك الألوهية وهو الشعور بسلطة وتاثر وراء الأس - باب والس - من الكونية، لعا تعا، وكل قول وعمل ينشأ عن ذلك الشعور، والشرك الربوبية وهو الأخذ

¹ - مبارك ايلي: مرجع سابق، ص 58.

² - انظر مثلا: بن تيمية، تقى الدين المد بن عبد الميم: **موع فناوى شيخ الإسلام المد بن تيمية**، ج وترتيب: عبد الرحمن بن مد بن فاسم، دم، دت، مج 1/ص 91. وسليمان بن عبد الله: **تيس العزيز الميد شرح كتاب التوحيد**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، دت، ص 27-29.

³ - الراغب الأصفها: مصدر سابق، ص 291-292.

⁴ - اطفيش: **شامل الأصل والفرع**، ج 1/ ص 25.

بشيء من أحكام الدين واللال والرام عن بعض البشر دون الوحي»¹.
 نلاحظ من خلال التعريفات السابقة؛ اختلافها بيان أنواع الشرك، سبب الاعتبارات، مـ. نـ دون أن يبينها ضابطاً مدداً وموحداً تعريف الشرك باعتباره حقيقة كلية، وإذا كان الأمر كذلك، فهل حدد الشيخ بيوض نفسه تعريفاً شاملاً للقضية؟ أم كان متبعاً لهذه التركيز على التقسيم؟.

2/ مفهوم الشرك عند الشيخ بيوض:

من خلال ما اطلعنا عليه من نفسه الشيخ بيوض؛ نقف على تعريف دقيق ومسـ. ثقل حقيقة الشرك عموماً، بل وجدنا الشيخ—مثل من سبقه—يهتم أكثر بأقسام الشرك والتمثيل. ومن خلال عرضه مظاهر الشرك السائدة—تمعه آنذاك: لميلاً واقتراحاً وعلاجاً، لكن أن نصـ. بطـ. تصـ. وره للشرك بالتعا أنه: نسبة شيء من التصرف الغي الكون لغا معاً، اعتقاداً قوته—على جلب النفع ودفع الضرر، والاستعانة به فيما هو وراء الأسباب الكونية، أو طاعته ما يدعو إليه طاعة عمياء؛ دون تقييد بالشرع².

وهذا التصور حقيقة الشرك عند الشيخ بيوض، سيتضح أكثر—إن شاء الله—عند تعرضنا لأقسام الشرك وصوره عند الشيخ.

أما التعريف الذي ذكره الشيخ بيوض للشرك—وقد ذكر فيه أقسامه لا حقيقة—هـ- فقـ. ال في هـ: «الشرك هو الكفر بالله، وله أنواع كثيرة: منها الظاهر ومنها الغي، ومنها الشرك الذي هو إنكار وجود الله، أو التقرب إليه بعبادة غيره من الموقات»³.

ولعل الضابط العام الذي يضبط مفهوم الشرك، هو إذا رء شريكاً؛ فيما هو من خالص حقه سبحانه وتعالى، كما ذكر ذلك الشيخ يوسف القرضاوي: قال عن الشرك: «أن يعلـ. رء شريكاً فيما هو من خالص حقه سبحانه، كأن يتخذ معاً إلهاً أو آله، يعبدونها أو يطيعونها أو يستعـ.

¹ - مد رشيد رضا: مصدر سابق، ج 5/ص 148، أنظر أيضاً: اطفيش: شرح عقيدة التوحيد، ص 470، الغزالي: مد:

عقيدة الإسلام، دار الشهاب، باتنة- الجزائر، ط: 1985، ص 63، أيطا: مصدر سابق، ج 1/ص 34-35.

² - استخلصنا هذا المفهوم من عدة مواضع من نفسه الشيخ، انظر مثلاً: نفسه سورة الكهف: ص 35-36، ص 224،

نفسه سورة الحج: ص 424، نفسه سورة المؤمنون: ص 286-288.

³ - نفسه سورة لقمان: ص 170.

أَوْ بِهَا أَوْ ذَلِكَ لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا جَلَّ شَأْنُهُ»¹، هذا التعريف يعبر بدقة عن الله -وم
الشامل للشرك، ونلاحظ توافقه مع تصور الشيخ بيوض، وإن كانت عبارة الشيخ بيوض
أقل ديدا وولا للموضوع.

فكل تعلّق للإنسان بالله أكثر من تعلّقه بالله، أو تقرب إليه مع الله أو من دونه، هو شرك مهما
تعددت صورته وأشكاله²، هذا هو الضابط الذي نراه مناسبا بيان حقيقة الشرك، وعلى ضوءه
مكن فهم أقسامه و ليل صورته.

ثانيا/ أقسام الشرك وصوره

يقسم الشيخ بيوض الشرك بالله تعالى، إلى قسم رئيسين: شرك الحود وهو الكفر بالله تعالى
أي إنكار وجوده. وشرك التسوية؛ أي تسوية غيره به تعالى³، وقد كان الشيخ هذا التقسيم متأثرا
بذهبه، حيث يقسم الإباضية الشرك إلى هذين النوعين، يقول الشيخ الماعيل أيطا: «فالشرك إدّا
على وجهين: جحود ومساواة»⁴، وهذا التقسيم متضمنا تعريف الشيخ أطفيش للشرك بأنه:
«جحود الله، أو كتاب من كتبه، أو نبيائه، أو صفة من صفاته، أو بعض كتاب، وتسوية
غيره به شيء...»⁵.

ونتساءل بعد هذا التقسيم: ما مدى صحته؟ هل شرك الحود هو جزء من الشرك؟ وهل
مصطلح الكفر بالله؛ أي إنكار وجوده؛ مرادف مصطلح الشرك بالله؟
لقد بين اللغوي أبو هلال العسكري أن الشرك جزء من الكفر وليس العكس؛ ح عرف مفهوم
الكفر بقوله: «الكفر اسم يقع على ضروب من الذنوب، فمنها الشرك بالله ومنها الحسد للنبوة،
ومنها استحلال ما حرم الله، وهو راجع إلى جحد النبوة وغير ذلك ما يطول الكلام فيه، وأصله
التغطية»⁶.

¹ - الفرضاوي: حقيفة التوحيد، ص 58.

² - الغزالي: عقيدة الإسلام، ص 63-64.

³ - نفس سورة لقمان: ص 170-171.

⁴ - أيطا: مصدر سابق، ج 1/ص 34.

⁵ - أطفيش: شامل الأصل والفرع، ج 1/ص 25.

⁶ - أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل: الفروق اللغوية، قيق: دار عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة،
بيروت-لبنان، ط 1: 1422 هـ / 2002 م، ص 400-401.

و موضع آخر من كتابه: الفروق اللغة؛ ذكر الفرق بـ الكفر والشرك فقال: «... أن الكفر خصالٌ كثرة على ما ذكرنا، وكل خصلة منها تضاد خصلة من الإيمان، لأن العبد إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيع خصلة من الإيمان.

والشرك خصلة واحدة، وهو إدا آة مع ا ، أو دون ا ، واشتقاقه ينبئ عن هذا ا ، كثر ح قيل لكل كفر شرك على وجه التعظيم له، وبالغة صفته، وأصله كفر النعمة، ونقيضه الشكر، ونقيض الكفر بالإيمان.

وإما قيل ضيع الإيمان كافر لتضييعه حقوق ا تعالى وما يب عليه من شكر نعمه، فهو الكافر ا.

ونقيض الشرك ا حقيقة الإخلاص، ا استعمل كل كفر صار نقيضه للإيمان»¹.

من خلال تلك التفرقة بـ مصطلحي الكفر والشرك؛ اُنِيية على التأصيل اللغوي والشرعي، د أن ا فهم ا قيقى للشرك شيء، والاستعمال الشائع له شيء آخر، فحقيقته هي إدا آة مع ا أو دونه، ونقيضه الإخلاص أو توحيد ا ، بينما يطلق الشرك ويستعمل كل كفر وجحود ا علم من الدين بالضرورة؛ و ا كان الأمر كذلك صار يطلق على نقيض الشرك؛ الا ان، كما لمص - من خلال التفرقة - إ أن بين الشرك والكفر عموم وخصوص، فلما كان الشرك جزء وقسم من أقسام الكفر، كان كل شرك با كفر، وليس كل كفر شرك با تعالى .

ولعل الشيخ بيوض - ر ه ا - ن تأثر بالاستعمال الشائع للشرك، فأدخل ضمن أقسامه إنكار وجود ا أو ما يعبر عنه بالإدا، وقد استدل لرأيه بالتعب القرآ ؛ حيث ذكر أن ا تعالى عب - بالشرك عن الكفر به، وبأنبيائه وبالوحي، وبيوم القيامة واسباب والعقاب، إلا أن الشيخ يس - رد دليلاً قرآنياً على ما ذهب إليه، وأكثر من هذا، فإن أغلب الآيات الـ أوردها موض - وع الش - رك تتحدث عن الذين يعترفون بوجود ا ، لكنهم يتخذون له شريكاً².

فكما سبق ننتهي إ أن موضوع الإدا أو جحود ا تعالى ؛ كان ينبغي أن يدرج ويدرس ضمن أقسام الكفر، لا مع أقسام الشرك، وحيث أن الشيخ قد جعله من أقسام الشرك فلا بأس أن نرى نظرة الشيخ إ الإدا، و ندرس موضوع الشرك - ككل - عنده، متتبع ذلك تقسيمه.

¹ - أبو هلال العسكري: مصدر سابق، ص 404.

² - (م.ن).

القسم الأول: شرك الإله (الإله)

لقد تطرق الشيخ بيوض نفسه بتوسع إلى قضية الإله، لكنه ركز فيها أكثر على انتشارها في البلاد الإسلامية؛ وبأسبابها وعلاجها، وقبل ذلك لنا أن نتساءل عن انتشارها في الإله - الله - عموماً؛ ما هو تاريخه؟ وكيف كان ذلك؟

جاءت الوسوسة العربية العالية أن الإله «انتشر خلال القرون الثلاثة الأخيرة (التي - من عشرين - والتاسع عشر والعشرين)، وجاء نتيجة للصراع بين العلم والكنيسة أوروباً، ذلك الصراع الذي انتهى بانتصار العلم، وإلزام دعاة الكنيسة، وقد أخذ مفكرو تلك الفترة هذا الموقف ذريعة لرفض الدين لئلا وإنكار حقائقه وعلى رأسها الإلهان بال. وقد انتشرت هذه الظاهرة (ظاهرة الإله - الله) انتشاراً واسعاً في الدول الأوروبية بصفة خاصة، وأصبحت له بعض البلاد حكومات ترسه ودول فيه، وهو يتسلح ببعض النظريات العلمية المادية لتؤيده»¹.

وقد اعتبرت الوسوسة ظاهرة العلمانية جزءاً من التيار الإلادي فهوهمه العام، وبالرغم من ارتباط العلمانية بفصل الدين عن الدولة؛ فإنَّ الملاحظات الأخرى متصلة بذلك الفصل - لا تقل أهمية الفكر الغربي المعاصر - فهي تدل عند كثرة من المفكرين على نزعة القداسة عن الله - بتحويل الاهتمام من الدين - ما يتضمنه من إلهان باله وبروح وبعباءة أخرى - إلى الانشغال - هذا الله - بالسوس وغياب القدس².

وقد حذر الشيخ بيوض نفسه الشباب المسلم من مغبة الوقوع في شرك العلمانية - وإن يصرح باسم هذه الظاهرة -، لقيامها أساساً على الإلهاد وإنكار الدين والاقتصار على العلم الإلادي التجريبي، فبمناسبة قوله تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (الروم: 7)، قال الشيخ نوعاً من أنواع الشرك بالله تعالى، وهو اغترار الناس بالعلم الذي أوتوه - تلكم الأيدي، وإنكارهم تعالى وكتبه ورسله³، قال فيهم تعالى: (قُلْ مَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ) (غافر: 83)، وهي الآية التي سجل الشيخ عجبته الشديد منها كلما تلاها، ذلك لانطباقها على الزمان الذي يعيشه - هو -؛

¹ - الوسوسة العربية العالية: ج 2/ ص 528.

² - (م.ن).

³ - نفسه سورة الروم: ص 68.

والواقع الذي ياه، رغم نزو ا أول الأمر على الذ p منذ أربعة عشر قرناً؛ وسر الانطباق هو ول العلم هذا العصر إ معبود للبشر وإله م، وهكذا يسقط الشيخ النص القرآ على الواقع، فيجد اللاحدة والشباب ا تعلم على أيديهم يغترون ا عندهم من العلم، إذ تعلموا علـم الـ ذرة وعلـم الإلكترون وغ ها من العلوم، فأوصلَ الاغترار بالعلم كث ا منهم إ التناول على ا والكفر به¹.

ويضرب الشيخ مستمعيه مثالا حيا لفكرته، وهو رائد الفضاء السوفيا ا لمحد: يوري غاغارين؛ الذي مات حادث طم طائرته قرب موسكو 1968/03/27، وهو اليوم الذي كان فيه الشيخ بيوض يفسر قوله تعا : (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (الروم: 7)، وذا ا ثال تظهر براعة الربط ب القرآن والواقع عند الشيخ - ر ه ا -، وبداية نوه الشيخ بعـم ذلك الرائد ا لمحد وشجاعته، فهو أول رائد فضاء يطوف حول الأرض على م مركبته الفضائية، واستغرقت الرحلة ساعة وبضع دقائق، وذكر الشيخ أن هذا ا ادث خلده وجعله من أبطال العـم . وبعد أن مات ذلك اليوم عز ده، والعـم يعلق عليه آمالاً كبيرة، يتساءل الشيخ: ماذا كـان يغنيه علمه وط انه وشهرته؛ إذا ذهب إ ربه وهو ساخط عنه لكفره؟².

وقد نى الشيخ أن لو ع ذلك ا لمحد - إ علمه وشجاعته الط ان - إلا ان با تعا ؛ ولو كان كذلك از على اُسنيين - كما قال - سجل الشيخ أسفه وهو ينقل ا قولة الإ ادية لذلك الطيار³، حيث عقب الشيخ: «... ولكنه ا طار إ السماء قال: صعدت إ السماء وطففت حول الأرض، أث عن ا فلم أجده»⁴.

بعد ذلك أخذ الشيخ مل مستمعيه على التعجب والاستنكار على اغترار الطيار، بافتراض الشيخ نفسه ا طب الطيار مباشرة، سمع من ا اضرين لدرس التففس فيقول له - بأسلوب كمي - : «فأنت طُفَّت ذه الذرة الصفة تبحث عن ا فلم ده، فهلا صعدت يا هذا إ الشمس والعرش والكرسي إن استطعت، بل اصعد إ سدرة انتهى ال عرج إليها الذ p ... فيا هذا إن ا الذي

¹ - نفس سورة الروم: ص 67-68.

² - نفس سورة الروم: ص 69-70.

³ - (م.س): ص 70.

⁴ - (م.ن).

صعدت إليه تبحث عنه ها قد قتلك بالذي صعدت به، إنه يترصدك ليُلقيك النار»¹.
 هذا الأسلوب الذي خاطب به الشيخ المحدث، وهذا مثال الواقعي الذي ساقه، أراد أن يذري
 الشباب المثقف من الطغيان والكفر بما بسبب الغرور بالعلم، وهم لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة
 الدنيا².

والظاهرة الأخرى التي تعد جزءاً هاماً من التيار الإلحادي العام؛ هي ظاهرة الشيوعية التي انتشرت
 الدول العربية والإسلامية؛ بعد استقلالها من الدول الاستعمارية الغربية خلال النصف الثاني من
 القرن العشرين، وقد تطرق الشيخ بيوض لمواضع من تفسيدها، تلك الظاهرة وبغرض تنبيه
 الشباب المثقف آنذاك - وتأثيرها، من خطورة توجهها الفكري والعقدي، وانعكاسها
 على الأوضاع الاجتماعية.

والشيوعية أصلها نظام اجتماعي واقتصادي، «تكون فيه الملكية - وخاصة ملكية الأراضي -
 ووسائل الإنتاج - يداً تمتع بأكملها، والشيوعية ذاتها قد قدمنا تمهيداً... أمّا
 الشيوعية كما نعرف اليوم، فقد ظهرت بظهور البيان الشيوعي الذائع الصيت 1848م، الذي كتبه
 كارل ماركس وفريدريك إنجلز الألمان، وانتشرت الشيوعية في أركسية بتأسس الدويلية الأولى
 وظهور الأحزاب الديمقراطية الاشتراكية أوروبا...»³.

وقد قام صراع كبير - خلال القرن العشرين - بين النظام الاشتراكي الشيوعي الذي تبناه
 الشرقي "الاتحاد السوفياتي وحلفاؤه"، وبين النظام الرأسمالي الذي تبناه "الولايات
 المتحدة ودول أوروبا الغربية"، بسد هذا الصراع خاصة في الحرب العالمية الأولى، حرب باردة
 انتهت بعد ذلك في سيطرة النظام الرأسمالي على موازين القوى العالمية وسقوط النظام الشيوعي الذي
 أسس بعض الدول كالصين وفيتنام... وبعض الأحزاب السياسية، وذلك أواخر الثمانينات
 وأوائل التسعينات من القرن الماضي⁴.

هذا عن الجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للشيوعية؛ فماذا عن الجانب الفكري.

¹ - (م.س): ص 71.

² - (م.ن).

³ - **اوسوعة العربية** **ايسرة**: مج 3/ ص 1503-1504.

⁴ - انظر: (م.ن).

والعقدي؟. للشيوعية تصور مادي مت للألوهية والكون والإنسان؛ فأصحاها «يسمون نظرية-هم العامة» اادية ا دلية "ويسمون تفسهم للتاريخ "التفس ا ادي للتاريخ" ¹؛ ويعتد ك-ارل ماركس -أحد روادها- «أن تطورا اياة البشرية كتطورا اياة الطبيعية يتم بألية حتمية، وك-ان يعتقد أن عقل الإنسان نفسه هو رد انعكاس للمادة، وليس للحياة الإنسانية أس-اس روح-ي أو ميتافيزيقي ... لذلك كانت النظرية ترفض الأديان يعا وتصنفها كأفيون للشعوب» ².

هكذا د أن الشيوعية تركز أساسا على ا صومة والعداء للدين، لإنكارها أساس الدين وه-و. الا ان با وبالغيب، «فلقد أصبح من ا معروف لدى السواد الأعظم من الناس على تلف ثقافا م؛ أن عبارة كارل ماركس ا يقول فيها (لا إله واياة مادة) هي التعب الصريح واوجز، عن موقف الشيوعية من الدين» ³.

لأجل هذا الأساس الإ ادي الذي تنب عليه الشيوعية، أو الشيخ بيوض عناية با ديث عنها؛ وتنبيه الشباب ائقف -خاصة- إ اخطورا، فبمناسبة قوله تعا: (وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَا ب-ني لا تشرك بالله إ ان الشرك لظلم عظيم) (لقمان: 13)، ب الشيخ أية ا -ديث ع-ن موضوع الشرك وأنواعه ا فيها الإ ادي؛ حيث أنكر شبهة قد ترد إ الأذهان بقوله: «فلا يق-ولن أحد: إننا تمع إسلامي، مر عليه ألف وأربعمائة سنة، وكلنا منحدرون من آباء مسلم وأمه-ات مسلمات، والإسلام راسخ فينا، لا حاجة بنا أن نتكلم عن الإ ان، وإ أن يوصي بعضنا بعضا بعدم الإشراك با، وأن لا نتكلم إلا عن بعض أنواع الشرك ا في، كالرياء...» ⁴.

أراد الشيخ بذلك أن يلفت حضوره إ خطر التحديات الفكرية والعقدية ال تواجه اسلم كل عصر و كل بيئة؛ لاستمرارية الصراع ب ا ق والباطل مدى اياة الدنيا، وإن اتخذ الباطل-ل صورا شتى وأشكالا عدة.

فب الشيخ أن ا تمع حاجة إ تبص ه بنوعي الشرك معا -حسب التقسيم الذي اعتمده هو- الأول: إنكار الألوهية، والثا: ا اذ الشرك تعا، ذلك لأن ما كان الناس يظنونه بعيدا أص-بح

¹ - مد قطب: **مذاهب فكرية معاصرة**، دار الشروق -بوت، ط 8: 1414/1993، ص 260.

² - ا وسوعة العربية العاية: ج 14/ ص 320.

³ - دندل ج: **الشيوعية منشأ ومسلكا**، شركة الشهاب ا زائر، د.ت، ص 189.

⁴ - نفس سورة لقمان: ص 174.

واقعا معاشا، وهو انتشار المذهب الشيوعي إلا أن الذي كان يعتنقه - عهد الشيخ - إلا من البشر، وأصحاب هذا المذهب يروجون له بقوة وبكل وسيلة، > يعم العالم كله¹ - حسب طموحهم و طيبتهم ذلك العهد -.

أخذ الشيخ لمل بعد ذلك الذي دفع إليه الشيوعية، وهو أن تزيل من القلوب التقديس لأي شيء؛ إلا للدولة المكممة أو للحزب المكمم، ما دامت نفس الإنسان لا تكن أن تمتع فيها التقديس لشيء آخر²، أما المسلك الذي سلكه أرباب الشيوعية لتحقيق هدفهم فهو العمل على غسل القلوب من الدين ومن تقديس الله تعالى، وإزالة ما يسمونه بـ "خرافة" ³ منها، > تصفوهم، فلا يقُدس الفرد إلا رئيسه أو الزب الذي كمنه، فيحلل له ورم، ويأمره وينهاه - يشاء، وذلك عن طريق نشر الإد والإقناع به، > الشيخ أن هذا المسلك هو مسلك الطفلة كل عصر، ملون رعاياهم على اتباعهم ما يشرعون، ويتخذون عبيدا م، بع - د أن يفرغوا القلوب من قداسة⁴.

أما سبب انتشار الإد أو إنكار وجود الله البلاد الإسلامية - عهد الشيخ - لدى شريحة الشباب المثقف والأجيال الصاعدة، فيوعزه الشيخ إلى عاملين:

* العامل الأول/ عدم رسوخ العقيدة في قلوب كثير من الشباب المسلم والذي تلقى إلا أن عن تقليد، فكانت النتيجة: شك وتذبذب وضعف الإد م، ووجه ودهم وسط مؤمن؛ جعل من الصعب عليهم المهر بالكفر صراحة⁵.

* العامل الثاني/ تأثر الشباب بالوسط الدراسي

لقد عاصر النصف الآخر لنفس الشيخ بيوض، فترة استقلال الجزائر عن استعمار الفرنسي؛ أي من سنة 1962 إلى سنة 1980م، وهي فترة متميزة عرفت الجزائر خلافا، إعادة بناء هياكل الدولة

¹ - (م.س): ص 174-175، وانظر أيضا: الموسوعة العربية الميسرة، مج 3/ ص 1504.

² - نفس سورة لقمان: ص 175، وانظر أيضا: مد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، 440.

³ - قال ليند عام 1913: "ليس صحيحا أن الله هو الذي ينظم الأكوان، إلا الصحيح هو أن فكرة خرافية اختلقها الإنسان لي ر عجزه، وذا فإن كل شخص يدافع عن فكرة الله إلا هو شخص جاهل وعاجز" نقلا عن: دندل ج: الشيوعية منشأ ومسلكا، ص 189.

⁴ - نفس سورة لقمان: ص 175-176.

⁵ - نفس سورة الكهف: ص 424-425.

ومؤسسا للقاعدية، ومن بينها المؤسسات التعليمية بكل أطوارها، والـ استقطبت إطارات مثقفة من داخلها زائر وخارجها، وكثرت من هذه الإطارات تأثرت بالفكر الشيوعي الإيديولوجي السائد آنذاك، وأثرت الوسط التعليمي كانت موجودة فيه. ولذلك اعتد الشيوخ بيوض هذه الإطارات، أو الأساتذة عاملا مهما نشر الإيديولوجيا وسط شريحة الشباب الناشئة التي يتلقون التعليم تلف المدارس، وهو لما يرسخ الإيديولوجيا قلبه، حيث ذكر الشيخ أن العصر الراهن -وهو عصره- يزد بالتشاور الإيديولوجيا معلمي المدارس مشارق الأرض ومغاربها، وصفهم بأن أكثرهم يعتزون بعقودهم ومعارفهم، وملون أفكارا سيئة وضالة ضد الدين؛ ينفثوا قلوب الناشئة إلى لا تزال قلوب الصفحات بيضاء، وأكثر من ذلك يسخرون دوما من الدين وأهله¹.

أشار الشيخ أن موجة الإيديولوجيا هذه، الأوساط التعليمية ليست جديدة، بل لقد كان العلمون عهد الدولة الاستعمارية يدخلون أفكار الشباب؛ الطعن والسخرية من الدين ونوعية بأفبح الأوصاف، تطور ذلك الطعن هذا العصر أكثر -وهو عصر الشيخ- إذ صار موجه إلى تعاد، وإن كان هذا الطعن ليس إطار برامج التعليم، إلا أنه من تطوعات العلم والملاحة، وذلك ما غدا شائعا تلف مراحل التعليم الثانوي والامعي، وأقسام الفلسفة بصفة خاصة، وتلك الطريقة كفر إلى من الشباب المسلم. وذكر الشيخ أن العدو لا تزال تنتشر لاء وجدت النفوس هوى إليها²، «لأن الذي تصلي له أو تصوم لا وجود له، وأن الآخرة لا تدفع إلى الصلاة والصيام لا وجود لاء»³، هذا هو اعتقادهم الذي أعروا به.

أما العلاج لقضية انتشار الإيديولوجيا، فيكون الوصول إليه سهلا إذا عرفت الأسباب والعوامل، وهو البدء بما بدأت به الرسل من «الدعوة إلى الإيمان وتقريره القلوب من جديد، وصد القلوب من أن يتطرق إليها شك؛ يتحول بعد ذلك إلى إيديولوجيا صريح»⁴، وقد ذكر الشيخ هذا العلاج وهو يفسر وصية لقمان لابنه قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان: 13)، وقد استنتج الشيخ من الآية أهمية ضرورة تربية الأولاد وتوصيتهم بعدم

¹ - نفس سورة لقمان: ص 185-186.

² - (م.س): ص 186.

³ - (م.ن).

⁴ - (م.س): ص 177.

الشرك رغم كونه مسلم ، ذلك أن والد لقمان - كما ذكر الشيخ - يعلم أن الشرك يطمون بابنه من كل جهة، والأسباب الداعية إلى الإلحاد كثرة، فأوصاه بأوصاه، انتهى الشيخ إلى أن أبناء هذا العصر هم بحاجة أيضا إلى الإيصاء بعدم الشرك - لا تتأثر قلوبهم بالعوارض الآتية من كل جهة¹.

و موضوع آخر دعا الشيخ إلى قيام خدمة كبيرة لتثقيف الشباب المسلم، وتثبيت أصول الدين نفسه²، وهذه دعوى معقولة جدا، إلا أننا - فيما اطلعنا عليه من تفهيم الشيخ - قد يوضح شيئا ما؛ منهج قيام هذه النهضة، أو يعرض خطة لتثبيت العقيدة في قلوب هؤلاء الشباب، حيث تنطلق من معطيات عصره، رغم اهتمامه الكبير - رحمه الله - بالانتماء التربوي نفسه!

وقبل أن تنتقل إلى القسم الثالث من الشرك، نود الإشارة إلى أن الشيخ قد استشهد من حديثه عن انتشار الإلحاد؛ شريحة من المجتمع هي مأمون منه، وهم كبار السن - زمنه - من العجائز والشيخوخة، ذلك أنهم تربوا بحجور أمهات مسلمات؛ وبأحضان آباء مسلمين، فهم قد صلبوا بصبغة الله، فلا يخاف على إيمانهم من تسرب الشك أو الحود³، وهو إيمان العجائز - كما قاله الشيخ⁴ -، الذي يعبر عن التلقي الفطري البسيط لأصول العقيدة، وبشكل يقيني، دون أعمال كبرى للعقل، ولا تثايل زنيات والتفاصيل.

القسم الثالث من الشرك: شرك التسوية

إن أغلب الآيات القرآنية الواردة في موضوع الشرك تتحدث عن هذا القسم من الشرك: شرك التسوية؛ أي تسوية الملق له، عن الذين يعترفون بوجود الله، لكنهم يتخذون له شريكا - كما ذكر ذلك الشيخ بيوض -⁵، ولعل يتبين ذلك أن هذا الشرك هو ما ظهر الذي اشتهر وعم أكثر البشرية منذ القدم⁶.

وهو الشرك الذي قامت من أجله دعوات الإصلاح العصر الحديث: تجتثه من جذوره،

¹ - (م.س): ص 178.

² - (م.س): ص 187.

³ - نفس سورة لقمان: ص 185.

⁴ - نفس سورة الكهف: ص 425.

⁵ - نفس سورة لقمان: ص 171.

⁶ - (م.س): ص 170.

وترسخ النفوس أصول العقيدة الصحيحة، بعد أن دخل مفاهيم العامة صور جديدة للتوسل ومعاني محرفة للشفاعة¹، وهو الواقع الذي عاصره الشيخ بيوض فترة كبره من حياته، وجاهد بدروسه المسجدية إصلاحه وتغييره. يقول الشيخ بلسانه وصف واقع الشرك الذي عاصره، والشريعة الاجتماعية التي كان يصدر منها، وجهاده لإصلاحها: «الشرك الذي أراه على الشيوخ وكبار السن هو من نوع آخر، ولسنا فقط نشى منه، وإنما هو واقع موجود ولكنه فى على كثر من الناس... ولا يزال الناس يقلد بعضهم بعضا فيه... ولا يودون أن يدركوا بأمر هذا الشرك يحيطون أعماقهم، وليس الكلام هذا موضوع جديدا، بل هو قد، فمنذ أن جلست على هذا الكرسي للوعظ والإرشاد من قُرابة عشرين عاما، وأنا أذكر وأحذر، وألقيت مئات ومئات من الدروس تصحيح العقيدة، ووجوب الاعتماد على الله وحده دون غيره، والتوجه إليه دون سواه، وقصده وحده بالقربات...»².

والشيخ رحمه الله، يعتمد تقسيما معينا لأنواع الشرك بالتسوية، ولذلك فنحن نذكر هذا القسم من الشرك (شرك التسوية) أهم أنواعه ومظاهره التي عاها الشيخ؛ دون ترتيب أو تصنيف معين؛ وقد حصرناها ثلاثة أنواع أو مظاهر وهي:

1. عبادة الأصنام.

2. عبادة الأضرحة.

3. الذبح والنذر لله.

وكل نوع من تلك الأنواع المسماة، سنذكر - إن شاء الله - لميل الشيخ ظهره، منهجه - علاجه.

أولا/ عبادة الأصنام:

إن التدين والالتجاء إلى سلطة غيبية؛ غريزة فطرية الإنسان منذ القدم، وقد كان كثير من الناس ولا يزالون، يعرفون الألوهية، لكنها معرفة ناقصة أو مشوهة، فكانوا يضمون إلى عبادة الله تعالى، عبادة آله أخرى، من صنع أنفسهم أو من اختيارهم، وقد تعصبوا لهذه الآلهة بشدة، وربما كان حظها

¹ - محمد حسام الدسوقي: الشيخ مصطفى الغلاي، مفاهيمه الإصلاحية (دراسة مقارنة بينه وبين الشيخ محمد صالح المنجد): دار الدين

الأفكار (مد عبده)، مكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط1: 1419هـ - 1999م، ص 185.

² - نفس سورة لقمان: ص 199 - 200.

من الإقبال والشبهة، أكثر من حظ الإله الق¹.

وبسبب تنكب هؤلاء المشرك - القد خاصة - عن معرفة الصحيحة للإله الق: سبحانه وتعالى، واتباعهم لأهوائهم ذلك، فقد اختلفوا الآلة المستحقة للعبادة، وتفرقوا حول طرائق قدداد، «توزعهم الأهواء، وتشتتهم الغرائز، لا يتفقون على معبود واحد، فتوزعوا على النجوم والشموس والأقمار، والأجرام السماوية، وعلى الحيوانات الأرضية، وكل من ظن قوة شبيهة؛ عبده من دون الله»².

ومن مظاهر تلك العبادة الشركية، اتخاذ طوائف كثيرة من المشرك؛ معبودات صنعوها بأنفسهم وتوها بأيديهم، من أدوات كالأشجار، والأحجار وعادن، عبدوها وعظموها أكثر من تعظيمهم تعالى³، وهي عبادة الأصنام؛ المركز الشيخ بيوض الحديث عنها وعن علاجها، بناءً على اهتمام القرآن، خاصة شرك قوم إبراهيم، وشرك العرب الأهلية، الذين كانوا يعبدون الأصنام والتمثيل، فجاءت رسالة خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ بآية هذا الشرك، وترسيخ عقيدة التوحيد القلوب؛ فاستغرقت - لأجلها - الفترة المكية بكاملها تقريباً (ثلاثة عشر سنة) قبل أن تشرع الأحكام.

أما منهج الشيخ بيوض معاملة هذا اللون من الشرك فيتمثل أساساً انطلاقاً من الجحجج والدوافع التي تدفع أصحاب هذا الشرك إلى فعلهم - كما ذكرها القرآن -، فيحللها ويبدلها بقوة الحق، وإذا بطلت تلك الدوافع بطل ذلك الشرك من الأساس، وأحياناً أخرى ينطلق الشيخ من التناقضات التي وقع فيها هؤلاء المشركون فيدحضها، وعموماً فإن للشيخ مداخل عدة ينفذ منها، معاملة مظاهر الشرك تلك، نذكر من أهمها:

* / دخل الأول: اعتقادهم مشاركة الآلة / الحق

الدفع المشرك إلى شركهم، اعتقادهم مشاركة آلهتهم تعالى، خلق السماوات والأرض، ولذلك كانوا يوفون من بطشها وغضبها وانتقامها، فراحوا يتقربون إليها بألوان من العبادة، ومن ردود القرآن عليهم ذلك قوله تعالى: - شأن آلهتهم -: (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض

¹ - الغزالي: إلهام مسدود للقرآن الكريم، ص 19.

² - نفس سورة الحج: ص 434.

³ - (م.س): ص 424، نفس سورة مريم: ص 99.

ولا خلق أنفسهم وما كنتم متخذين المصنعة (عضدا) (الكهف: 51).

فقال الشيخ بيوض ليل هذا الدليل القرآني - ادحض لشرك هؤلاء -: «كلا ما أشهدتهم خلق السماوات، أنا المتفرد بالخلق [تعالى]، أنا وحدي الذي خلقت السماوات والأرض، ما كان هؤلاء موجودين أو حاضرين، فضلا عن أن يكونوا مشاركون في الخلق، فكيف يستحق هؤلاء العبادة؟ وكيف يكون لهم سلطان؟ من أين لهم هذه القيمة، وهذه القوة؟ - أصح - بحتم - أفوم وترجوم وتترلقون إليهم»¹.

* دخول الثامن : سفاهة عقوم

يلفت الشيخ العقول، ويدفعها إلى التعجب والاندعاش من عمل هؤلاء المشركين؛ الذي يدل على سفاهة عقوم وخبلها؛ إذ كيف يعبد آفة وشاة مع أنه صنعها بيده، إنما الإثبات - العابد والعبود - يندرجان ضمن المواقف التي خلقها²، فبمناسبة قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: (إنما تعبدون من دون الله آوتانا وتخلقون إفكا) (العنكبوت: 17). قال الشيخ مبدئيا تعجبه: «وإنه حق، لضلال يحار الإنسان فيه، كيف يصل عقل الإنسان من التسفل إلى هذا! ينحسرت شيئا بيده، أو يذنيه بالنار - شاه، مع أنه هو نفسه، وهذه المادة التي صنع منها هذا العبود، والآلات التي استعملها لصناعته، كل ذلك من خلق الله»³.

* دخول الثالث: عجز آتهم وضعفها

ما تعارف عليه العقلاء أن الإنسان لا يمكنه أن ينافي به أو أعجز منه وأضعف، فكيف يمكن أن يعبد؟ أو يعبد ما هو مركب من العجز أصله؟! ذلك أمر آخر من التناقضات التي وقع فيها المشركون.

فبمناسبة قوله تعالى - على لسان قوم إبراهيم - (أرادوا الكيد به -: (قَالُوا حُرُّواْ وَهَـٰؤُلَاءِ سَـٰوِيٌّ رَّوْءَ الْهَيْتِكُمْ، إِن كُنْتُمْ قَائِلِينَ) (الأنبياء: 68)، أبدى الشيخ تعجبه الكبير من تناقض القوم مع عقومهم، - سعوا لنصرة آتهم. ومن اعترافهم - ضمنا - بعجزها وضعفها، حيث وجه الشيخ خطابا مباشرا إلى القوم، وكأهم معه يسمعون - كل ذلك لفتنا لأنظارنا - درس النفس - ؛

¹ - نفس سورة الكهف: ص 227-228.

² - نفس سورة الأنبياء: ص 54، نفس سورة العنكبوت: ص 87.

³ - (م.ن).

خطورة الموضوع - فقال م مستكراً: «ويلكم! وهل الإله تاج إ نصره؟ هل الإله ينصـرك أم تنصره؟»¹، قول الشيخ خطابه إ مستمعيه اسجد -معقبا على القوم-: «فلي-تهم عقلا-وا وقالوا: كيف يكون آة من تاجون إ نصرتنا؟ وكل ما قالوه هم -لا ما قاله إبراهيم- حجة عليهم، وقطع لأعدارهم»².

وقد ضرب القرآن الكر أمثلة عدة للآة الزعومة وعبادها؛ بيانا لبطلان الشرك وخطورته، مـن بينها مثال الذبابة قوله تعا: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ قَاسِمٍ لَّهُ، إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) (ا ج: 73)؛ فأراد ا ذا أن اثل أن يصور -صورة سوسة- عجز الآة الـ يعبدها البشر، > تركز الصورة أذهما، فتركوا عبادة الأصنام وعبدوا ا و-ده، ويـان الصورة -كما حللها الشيخ بيوض- أن يعابودات الـ عبدت من دون ا ، بدءا من آة قوم نوح إ آخر معبودات الأمم الوثنية عا اليوم، وإ قيام الساعة لو اجتمعت كلها وتقوات خلق ذبابة -وهي من أحقر ا لمق- ما استطاعت ذلك ولن تستطيع³.

بـ الشيخ ترقى القرآن إظهار عجز الآة وضعفها، حيث يكف القرآن بتقرير عجزهـا عن خلق ذبابة فحسب، بل زاد فذكر أن هذه الآة، إن يسلبها الذباب شيئا لا تسترده منه؛ وهـذا الشيء ا سلوب فسره الشيخ بالروائح الـ ترش اا عبودات، والعطور الـ تضمخ ا، والزيت الـ تدهن ا؛ فلو جاءت ذبابة وأخذت شيئا منها، لا تستطيع الآة إدراكها واسترجاع ما أخذت منها، وعلق الشيخ على هذا ا ثل بأنه تصوير بديع لضعف ا عبودات من دون ا⁴.

إن ا ع السابق للشيء الذي يسلبه الذباب من الآة؛ ذكره الشيخ خلال تفسيره سورة الكهف، لكن عند بلوغه للآية السابقة واثل السابق له من سورة ا ج، طور مفهومه السابق للشيء ا سلوب، واعتـه فهما بسيطا؛ فبحث عن حكمة ثيل ا تعا بالذباب؛ فوجد أن «الذباب مـن ا بشرات الطائرة ا صرة الـ تسلب > ا ياة، ا تنقله من جراثيم، كمرض السل والتيفوئيد والرمم

¹ - نفس سورة الأنبياء: ص 73.

² - (م.ن).

³ - نفس سورة الكهف: ص 435، نفس سورة ا ج: ص 586.

⁴ - نفس سورة الكهف: ص 435.

ا بُي مثلاً¹.

فبتوظيف الشيخ مكتشفات العلم التجري ا ديث أدرك معنى أعمق للآية، وهو أن الذبابة -رغم حقار ا- قد تنقل ارض من عين أو لُغاب أو اط إنسان إ إنسان آخر صحيح فتعديه، وبذلك تسلبه صحته أو قد تسلبه حياته كلية²، فهل يستطيع حينها أن يسترد منها صحته؟! هذه هي اكمة -كما ذكر الشيخ- من ضرب ا ثل بالذباب؛ وهي تصوير مدى ضعف تلـك ا عبودات، ا هي عاجزة > عن خلق هذا اخلق ا³، فهي عن خلق غـ ه أعجـز، بلـل وعاجزة > عن دفع الضر عن نفسها؛ من هذا اخلق، "ضعف الطالب وا ملوب"!

ثانياً/ عبادة القباب والقبور والأضرحة

إن هذا اظهر الثا للشرك هو اظهر الذي اهتم الشيخ بيوض بعلاجه أكثر نفس ه، نظرا إ أنه هو اظهر الذي كان شائعاً عصره، لا سيما فترة الاستعمار الفرنسي منه، فقد تطـورت عبادة الأصنام والتماثيل قد ا؛ إ عبادة أينية تقام على قبور وأضرحة العلماء والأولياء الصا بعد ذلك، وهي القباب (جُبة) ا ضل بسببها كث من اسلم؛ باعتقادهم أوصاف الألوهية بعض الأولياء اوتى أو الغائب، فينيت م قباب ومقامات على أضرحتهم، و أمـاكن كـثـة غـها ونسبت إليهم، إن هذا القباب تزار ويتبرك ا ويتقرب إ أصحابا بأنواع من القربا، ويتوجهـه إليها بالاستعانة على قضاء ا وائج، والدعاء ا لمب انافع ودفع ا صائب⁴.

وقد ارتبط هذا النوع من الشرك بالزوايا والطرق الصوفية ا ظهرت تلف بلـدان العـا الإسلامي، وبلد الشيخ بيوض هو واحد منها، فقد «كانت ا زائر قبل ا رب العاية الأو يسودها ظلام حالك من ا هل والفوضى، ويشل حركتها اعتقاد باطل من ا رافات والشعوذة، > غدت وكأ ا قد نومت تنوا مغناطيسيا؛ ت تأث طلاسـم الطريقي، وشعوذة أدعياء التصوف، وبـات زمام الأمة بيد الأولياء وشيوخ الزوايا، يستغلون عاطفتها الدينية استغلالا رهيباً»⁵.

¹ - نفس سورة ا ج: ص 587.

² - (م.ن).

³ - (م.س): ص 588.

⁴ - أنظر: نفس سورة لقمان: ص 207 وما بعدها، نفس سورة ا ج: ص 385، نفس سورة ساء: ص 123.

⁵ - مد ناصر: اقاله الصحفية ا زائرية (نشأ ا، تطورها، أعلامها)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ا زائر، 1398هـ/

وعندما بدأت الحركة الإصلاحية المنظمة في زائر بزعامة الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1925م، جعلت من أهدافها القضاء على نفوذ الطريقة ومشاها على نفوس الناس¹؛ بنشر العلم والإصلاح، والدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة. وكانت المقالة الصحفية من أبرز منابر الكلمة إذ ذاك -إلى جانب دروس الوعظ المسجدية-، فازى جماعة من الشبان الإصلاحيين إلى الصدحافة، ينشرون فيها أفكارهم الإصلاحية، فطاردوا بذلك أراف العقدي والدي كل زاوية، وتعقبوه كل شئ من القطر والزائري².

ومن هؤلاء الكتاب الذين برعوا هذا إلى الشيخ مبارك بن محمد إيلي³، الذي نشر سلسلة من المقالات حول موضوع "الشرك ومظاهره"، جريدة البصائر الصادرة عن جمعية العلماء المسلمين في زائري، مع الشيخ إيلي تلك المقالات رسالة خاصة له: رسالة الشريك ومظاهره⁴. وقد وصف فيها ما آل إليه حال الأمة؛ بقوله: «وقد مرت أعصر؛ أبل جل العلماء فيها شأن الدعوة، أو حادوا فيها عن أسلوب القرآن واديت، فجهل هوراسم عقائد الإسلام، أو خفي عليهم ما ينأفها وطال عليهم الأمد، فطراً عليهم ما طراً على الأمم قبلهم، من عقائد زائفة وبدع سائدة»⁵.

وموضع آخر من رسالته؛ يصف أسلوب استفهامي تعج، بعض بدع العقيدة وصور الشرك إلى كانت سائدة فيقول: «ألست ترى أوساطهم قباباً تبذل شيدها الأموال، وتشدد لزيار الرحال، أم لست تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من الغائب والأموات؟...»⁶. ورغم اعتراف الدكتور مد ناصر أن نفوذ الطريقة القطر والزائري كان يتفوت -قوة وضعفا- من منطقة إلى أخرى؛ حسب المستوى الثقافي للمنطقة، فاعتد المناطق القروية أكثرها سكاناً بنفوذ الطريقة، ورغم اعتراف الدكتور أيضاً أن المناطق الظهر فيها الإصلاح مبكراً كمنطقة

¹ - (م.س): ص 110.

² - (م.س): ص 111.

³ - ترجمة:

⁴ - إيلي: مرجع سابق، ص 14-15.

⁵ - (م.س): ص 12.

⁶ - إيلي: مرجع سابق، ص 102.

"وادي ميزاب" مثلاً¹، « يكن فيها حظ لزاوية، رغم إحاطة الطرق ا إحاطة السوار با عصم»²، إلا أن وادي ميزاب ال مثل ا؛ تسلم من انعكاسات وتأث ات تلك الطرق والزوايا - كما يبدو لنا -، وإلا ما شن الشيخ بيوض نفسه ه تلك ا ملة الشعواء على زيارة القبور والأضرحة وغ ها من صور الشرك ال سادت منطقته، و تكن يدعا من التيار العام، فجاء تفسه الشيخ بيوض - ر ه ا - مسائرا ط ا ركة الإصلاحية و عية علماء اسلم ا زائري - ال كان عضوا ا - ما ص اربة الشرك بكل صورته المتجددة، والعودة بالأمّة إ العقيدة السليمة ومنابعها الصحيحة. وقد حلل الشيخ بيوض نفسه ه ليلا مستفيضا عبادة الأضرحة، وأبان صورها وأشكا ا ال- كان يشاهدها ويسمع عنها واقعه لا مخيلته، ومن ذلك ربطه ذا الشرك -وه- و الاس- تعانة بالقباب - ثل حي للمشرك ضربه ا القرآن الكر ؛ حيث صور ه صورة من هوى من السماء منكبا على وجهه، فتخطفته الطيور من كل مكان، وذلك قوله تعا : (ومن يشرك با - فكَأَنَّمَا خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح - مكان سحيق) (ا ج: 31)، ووجه الربط ب- الآيّة وواقع الشرك - كما ذكره الشيخ - هو أن الذين قطعوا صلتهم ورجاءهم ا ، إذا نزل - م مرض ينتقلون من مكان إ مكان ثا عن قبة أو ف ، أو و أطراف الأرض، أو مشعوذ ساحر، فيقدمون إليه الأموال و ادايا رجاء الشفاء، لكنهم يعودون كما ذهبوا أو شرا ا ذهب- وا، لض- ياع الدين و ال مع بقاء ارض، وهذا هو التخطف ا ذكور الآيّة³.

ومن صور الشرك ال ذكرها الشيخ؛ عند عباد القباب وزوارها؛ إقامتهم لطقوس منكّرة حو ا، كإشعال الشموع ومصابيح الزيت، وتعليق ا- رق والثياب عليها، والتمسح درا ا، > إن ا - رة تماييح عليها جسمها من كل ا هات، وبعضهم يدخل داخل القبة فيتمرغ على ترا ا، إضافة إ ما يعطى للقائم على أمرها اسمى عندهم ب- "أقدم"، رجاء بركته شفاء ارضى، وغ ه- ا م- ن الأباطيل؛ ال ذكر الشيخ أ ا لا تزال موجودة العهد الذي كان يفسر فيه سورة سبأ⁴. ومن صور ذلك الشرك أيضا، تقديس بعضهم للأولياء والشيوخ أكثر من تقديسهم تعا ، كما

¹ - مد ناصر: مرجع السابق، ص 110.

² - (م.ن).

³ - نفس سورة لقمان: ص 208-209.

⁴ - نفس سورة سبأ: ص 123-124.

ذكر الشيخ من ذلك مثلاً ا لف واليم ؛ «أن يقول أحد للآخر: أنا أحلف لك با ، وا - ا حلفت لك بالشيخ صا »¹، أو أن د بعضهم «يقسم با كاذبا ألف مرة، ولا يقسم - م بالشيخ سيدي عيسى، أو الشيخ عبد القادر مرة»².

ومن منكرات هذا الشرك، ال شاهدها الشيخ بيوض، أن هؤلاء القُبور ج - ون إ قب - ور أوليائهم كما يحج إ البيت ا رام اما، إذ يقيمون فيها عادات وطقوس تشبه ش - عائر ا - ج، إذ يوجد فيها مكان يطاف حوله كالكعبة، ومكان فيه ع ماء يشرب منها كماء زمزم، ومكان آخر - ر يسعى فيه كالسعي ب الصفا و مروة، وقد ذكر الشيخ بيوض أنه زار زاوية م - ن الزوايا - ا فض - ولا للاطلاع، وهي زاوية سيدي خالد؛ ليلة السابع والعشرين من رمضان، فحضر كل الطقوس وشاهد ما شاهد ا كان يذكره من ضلالات³. وهكذا نقف مرة أخرى على واقعية الش - يخ - تفس - ه وفكره الإصلاحى، فلم نعه ضلالات القُبور من حضور طُقوسهم، للتعرف عن ك - ب - عا - ي جذور الداء، من أجل إ اء الدواء، إذ ليس ا كالعيان.

وقد عقب الشيخ على أصحاب تلك الزاوية "زاوية سيدي خالد" وع هم من القبورى ، ب - أ م عوا الكفر من جهة⁴:

/ هة /الأو : إشراكهم با ، بدعوة الناس إ أخذ مرضاهم إ سيدي خالد ح - يش - فيهم، وتوجههم إ سيدي خالد لقضاء حوائجهم، ووجه الشرك أنه تضرع إ لموق.

/ هة /الثانية: إقامتهم للولائم و "الزردات" ا امعة لكل ا فاسد، «إذ تأ العواهر من دور الیفاء الدائرة بسيدي خالد، و تمنع با ثات، فيختلط الرجال بالنساء، وتقام أسواق ا مور، وأس - واق الفسق، ويعتقدون أن أولئك مغفور م ب كة سيدي خالد، أو ب كة سيدي فلان، أي مكان يقام فيه هذا الضلال ا ب »⁵.

أما منهج الشيخ بيوض اربة هذا اللون من الشرك (عبادة الأضرحة)، هو نفسه اربة - ه

¹ - (م.س): ص 125.

² - (م.ن).

³ - (م.ن).

⁴ - (م.س): ص 126.

⁵ - (م.ن).

لشرك الأصنام، الذي يتمثل انطلاقه من حجج أصم ودوافعهم إشراكهم، من أجل دحضها وبيان بطلانها، وقد كانت له في ذلك عدة مداخل لعلاج المسألة.

***/ دخل الأول: بيان الشيخ للفيصل في الاستعانة بالأسباب والاستعانة بالأولياء**

من أسباب وقوع كثرة من الناس شرك القبور، اعتقادهم أن الاستعانة بالأولياء هي الله - تعانة بالأسباب والنواميس الإسلامية عليها الكون، وهذا خلط للمفاهيم ينبغي إزاحته، ببيان التفرقة بين الاستعانة بالأسباب والاستعانة بالأولياء، وذلك ما سلكه الشيخ بيوض، حيث يرى أن التوجه إلى الله تعالى بالدعاء وطلب النفع وشفاء المرضى ودفع الأذى وطلب الرزق والنصرة على العدو؛ كل ذلك من الأمور الغيبية التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، فلا يجوز فيها الاستعانة بالخلق، لأن الله ليس بمقدورهم؛ وبالتالي فالاستعانة بهم فيها شرك¹.

أما الاستعانة بالخلق ما هو طوقهم واستطاعتهم، فذلك جائز لأنه استعانة بالله - باب المشروعة، والله تعالى لم يلق أن يستعاض بعضهم ببعض²؛ تقتضي السنن الكونية، وقد ضرب الشيخ أمثلة واقعية لذلك فقال: «فأنت قد تطلب من إنسان، أن يعينك بدنه، كأن تقول له: أعني على حمل هذا الثقل، وضعه على ظهري أو على الدابة، أو تعال أنجز هذا العمل، أو أن تطلب منه أن يعينك بفكره، كأن تذهب إليه وتطلب منه أن يشرك عليك برأيه وحسن تدبيره قضائية من القضايا»³، وبما قابل ينبغي على الإنسان إعانة أخيه إذا استعان به، «فمن استنصحك فانصحه، ومن استشارك فأشِر عليه، وقد أنكر الله تعالى على الذين نعوذ بالاعون، والاعون هو الإعانة»⁴. والنتيجة التي يريد الشيخ الوصول إليها، هي أن طلب النتائج والمسببات من أسبابها ليس من أعمال الشركاء تعالى شيء؛ إنما الشرك ما وراء ذلك.

وقد وجدنا -تقريباً- ذات المسلك الذي سلكه الشيخ بيوض، عند الشيخ محمد عبده نفسه ه: النار، وذلك مناسبة بيانه لولاية المؤمن بعضهم بعضاً، التي تناصرهم وتعاونهم الأم - مشتركة؛ حيث حذر الإمام بعد ذلك من خطر إاوز هذا الفهوم فقال: «... فمن أوز ذلك فاذ

¹ - نفسه سورة لقمان: ص 207.

² - (م.ن).

³ - (م.ن).

⁴ - (م.ن).

له وليا أو أولياء، يعتقد أن م يتولون شيئاً من أموره، فيما وراء هذا التعاون والتناصر به الناس فقد أشرك، إذ اعتدى على ولاية الله الخاصة به لا يشاركه فيها أحد»¹.

و موضوع آخر من تفسيده النار وجدنا الإمام، يوضح بدقة الإشكال الذي قد يرد على الأذهان؛ بحصر الاستعانة بالله (إياك نعبد وإياك نستعين) (الفائدة: 4)، وبالأمر بالتعاون (وتعاونوا على البر والتقوى) (المائدة: 2)، فيقول: «... مكن الله تعالى الإنسان - ما أعطاه من العلم والقوة - من دفع بعض الأوانع وكسب بعض الأسباب، وحجب عنه البعض الآخر، فيجب علينا أن نقوم باستطاعتنا من ذلك، ونبذل إتقان أعمالنا كل ما نستطيع من حول وقوة، وأن نتعاون ويساعد بعضنا بعضاً على ذلك، ونفوض الأمر ما وراء كسبنا؛ إلى القادر على كل شيء، ونلجأ إليه وحده، ونطلب المعونة التامة للعمل والوصول لثمرته؛ منه سبحانه دون سواه، إذ لا يقدر على ما وراء الأسباب الممنوحة لكل البشر على السواء، إلا مسبب الأسباب ورب الأرباب»².

و نرى أن هذه التفرقة بين الاستعانة بالله تعالى والاستعانة بالأسباب - كما بينها الشيخ مد عبده - أو بين الاستعانة بالأولياء والاستعانة بالأسباب - كما بينها الشيخ بيوض - هي نقطة جوهرية علاج شرك الأولياء، فيوضحها الأذهان، ورسوخها النفوس، تتخلى عنه كل أنوع الشرك، وتجرد التوحيد من كل شوائبه.

* إدخال الثا : إبطال مفهوم التوسط وتصحيح مفهوم التوسل

من ادخل الله تعالى الله تعالى في بيوض شرك الأولياء، إبطاله مفهوم التوسط وتصحيحه فهمه - وم التوسل؛ فمن شبه الشرك بالله ضلوا وأضلوا؛ قوم شركائهم وأوليائهم - على الله - القرآن - : (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) (يونس: 18)، (ما نعبدهم، إلا ليقربونا إلى الله زلفى) (الزمر: 3)، وهذا هو التوسط الذي تمسك به هؤلاء المشركون، حيث اعتوا شركاءهم أو أولياءهم؛ وسطاء وشفعاء يقربوهم إلى الله تعالى.

فكان الشيخ بيوض يركز كثيراً على إبطال شبهة توسط العباد إلى الله، عدد من الآيات التي تتحدث عن الشرك؛ ببيان أن الإنسان لا تاج إلا واسطة بينه وبين الله تعالى، بل عليه التوجه إليه مباشرة، وإخلاص القصد إليه، وكان الشيخ أحياناً كثيرة من ذلك؛ يستعمل أساليباً خطاياها

¹ - مد عبده: مصدر سابق، ج 3/ ص 44-45.

² - (م.س): ج 6/ ص 58-59.

مباشرا، مفترضا أن الذي يتخذ تلك الوسطة؛ هو أمامه وجهها لوجه، وذلك زيادة تثبيت ا عـ. ولفت الأذهان إ كلامه.

فبمناسبة قوله تعا : (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مني) (لقمان: 20)، يقول الشيخ: «من عجب أمر الإنسان أن يشك ا تعا وقدرته فيتركه؛ وهو يسبح سايغ نعمه، ويلتجئ إ غ ه ... إنه عل على بابه حارسا أو حاجبا، اذهب إليه مباشرة أي وقت تريده ده انتظارك»¹.

و مناسبة قوله تعا : (ما اتخذ من ولي وما كان معه، من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه عما يصفون) (ا ومنون: 91)، يقول الشيخ تعجب من ضلال الشرك : «... وعجبا حقا لضلالم، فإذا كان هذا [أي الشريك] لا ملك شيئا فما حاجتك إليه. إذا كان الباب مفتوحا لك إ السلطان مباشرة، فما حاجتك إ الأعوان والوزراء والأمراء؟ فالباب بينك وبين ملك الملوك مفتوح على مصراعيه، يقول: (ادعوني أستجب لكم) (غافر: 60)، دءاك إليه مباشرة، ويرض لك أن عل بينك وبينه واسطة»².

من خلال ليل الشيخ للآية السابقة ده ينطلق من منطلق الناس حيا م اليومية؛ الـ تعارفوا فيها على أن الواحد منهم، لا محيص له من أن ر على عدة حواجز وبوابات بشرية يصل إ الشخص أو اسؤول الذي يقصده لقضاء مصلحة ما، وذلك من أجل أن يزيل الشيخ مـن الأذهان فكرة الوساطة الإلية، ويبرز قيمة التوحيد؛ ا خالف للشرك الذي يتخذه الناس، ويرز أيضا الة الصفات الإلية للصفات البشرية ام ا خالفة، ويضدها تتميز الأشياء.

ويرتبط مفهوم الوسطة؛ مفهوم التوسل والوسيلة - لأن الوسطة لا تتخذ إلا للتوسل ا عندا - ، وقد فُهمت الوسيلة فهما خاطئا، يع التقرب إ ا بالأولياء ويقبام، والتك بك الأشـياخ والعلماء، من أجل إرضاء ا وقضاء اصا . ولذلك عمل الشيخ نفسه على تصحيح هـذا المفهوم ببيان أن الوسيلة الحقيقية الـ يتوسل ا اسلم بـ يدي ربه - ابتغاء رضىـ وانه واسـتجابة دعائه-؛ هي عمله الصا ، فقال الشيخ -إخبارا عن ا تعا - : «ا تعا يقول: لست ااجة إ أحد علونه واسطة تتقربون به إ ، وإ ا تقربوا إ بأعمالكم، وإنه ليست هناك صلة بـ العبد وره

¹ - نفس سورة لقمان: ص 413.

² - نفس سورة ا ومنون: ص 250.

إلا عمله، فإما أن يتصل بربه بعمل صا ف ضى عنه ويحبّه، ح يكون معه وبصره وبده، وإما أن يعصيه فيؤصّد عنه بابه، ويطرده من ر ته، ولا شيء غ هذا»¹.

وزيادة ترسيخ الفهوم الشرعي للوسيلة، وإزالة التصورات ااطئة عنه؛ ب الشيخ أنه لا اعتبار عندا للقرابات، ولا يغ أحدا عنده تعا؛ أن يكون ابن ن أو ابن و صا، ودعم الشيخ قوله بالأمثال الـ صر ا القرآن هذه القضية، إذ جعل تعا أبناء بعض الأنبياء كفرًا كولد نوح ص، وجعل آباء بعضهم كفرًا كوالد إبراهيم ص، وجعل من نساء الأنبياء كافات كامرأة نوح وام-رأة لوط ص²، كل ذلك وغ ه ليد ا لعباده أن التفاضل عنده ليس بالنسب ولا بالقرابة ولا بغ ها، إا بالتقوى والعمل الصا، وأنه-كما قال الشيخ:- «ليس هناك وشيجة ت-ربط العبد بربه، لأن ا خلوق مبين للخالق، يع صفاته الذاتية والفعلية، وإا الذي يربط بينك أيها العبد و ربك، هو أن تؤمن به وتسليم له»³.

و مسألة الدعاء-بصفة خاصة- وجه الشيخ الناس إ الإخلاص فيه دون سواه، والتوسل إليه بأعمال الصا؛ لأا الأنفع الإجابة، يقول الشيخ: «فكل من وقع ضائقة واشتد به-البلاء، ورفع يديه ليسأل ا فليسأله وحده خالصا مباشرة؛ يا رب، يا ا، ولا يسأل بكة فلان أو فلان، ولا بكة القرآن⁴ أو الكعبة، ولا اه مد صلى ا عليه وسلم، أو أي شيء آخر، وإا عليه أن يتذكر عملا صا ا قام به لوجه ا، من مال أنفقه أو نفّع به اسلم، وليقل: يا رب إذا فعلت ذلك العمل لوجهك خالصا، ففرج عني هذه الشدة... وهذه هي الوسيلة الـ ذكرها ا تعا- قوله: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا- وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلح-ون) (المائدة: 35)، والوسيلة هي التقوى والعمل الصا، وضل من ظن أن الوسيلة هي غ هذا»⁵.

¹ - نفس سورة لقمان: ص 172-173.

² - (م.س): ص 173.

³ - (م.ن).

⁴ - لقد أفتت اللجنة الدائمة للبحوث بالسعودية، واز التوسل إا بكة القرآن، وعدم اعتبار ذلك شركا، وعلّلت ا كم ببيان أن القرآن «كلام ا لفظا ومع، وكلامه تعا صفة من صفاته، فالتوسل به توسل إا بصفة من صفاته، وهذا لا ينال التوحيد، وليس ذريعة من ذرائع الشرك». اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: **فتاوى اللجنة**، ع وترتيب: أ د بن عبد الرزاق الدويش، دار اؤيد، الرياض-السعودية، ط3: 1421هـ-2000م، مج1/ص519-520.

⁵ - نفس سورة الروم: ص 274.

***/ دخل الثالث: بيان عجز الأولياء وضعفهم**

قد مر بنا قريبا، نفاذ الشيخ إ شرک الأصنام - ذيرا وعلاجا- من هذا ا دخل، وهو بيان عجز الأصنام وضعفها، وقد كان من مداخل الشيخ إ علاج شرک الأولياء والقبور، ذلك ا دخل أيضا، لبيان افتقار تلك القباب والأضرحة وأصحابها إ صفة أساسية من صفات الألوهية، وهي صفة القوة والقدرة المطلقة ال ليست إلا تبارك وتعا .

ومن أك صفات النقص والضعف لدى الإنسان وغ ه من الكائنات؛ صفة الموت، فإذا مات ابن آدم توقفت حركته وانقطع عمله إلا من ثلاث خصال يستمر أجراها - كما ورد ا - حديث¹ -، هذه الصفة البارزة وطفها الشيخ بيوض بقوة لإبطال شرک القباب، إذ ب أنه من غ ا عقول أن يتوج - ه الإنسان إ ضعيف مثله لا ملك لنفسه نفعا ولا ضرا، خاصة حالة موته؛ قال الشيخ - يخ - خط - اب تعج : «كيف ترجو أيها الإنسان نفعا من ميت؟! فصاحب القأ أحوج منك إ دعاء، لأن عمله قد انقطع، فهو لا ينفع نفسه فكيف ينفع غ ه، هذا إذا كان إنسانا ميتا، أما إذا كان حجرا أو شجرا فهو من باب أو «²، يستأنف قائلا: «أتترك هذا ا بار القوي، وتذهب إ غ ه؟! (فُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) (عبس: 7)، يترك ا ويذهب إ ضعيف مثله، أو أقل منه يدعوه!³».

و موضع آخر يـ الشيخ ويؤكد تناقض الذين يعتقدون النفع ا وتى، وانق - لاب ا ق - ائق لديهم، فهؤلاء ا وتى - فضلا على أ م لا لمكون نفعا ولا ضرا -، هم الذين تاجون إ الأحياء بعد انقطاع العمل، وليس العكس، و ا ا ا ا قصودة هي أن يذكر ا ا ا ا الصا اة للميت، ويقتدي بعمله، ويدعو ويستغفر له - كما ذكر الشيخ -⁴.

وبدخل هذا الباب أيضا تناقض الذين يقصدون السحرة والشعوذين؛ استعانة م الشدائد، ووجه التناقض - كما ذكر الشيخ - أن هؤلاء ا شعوذيين ا قصودين؛ جهلة أميون، يأمرؤن مريدهم

¹ - ا حديث رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم 3084، «...عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»، ورواه الترمذي، كتاب الأحكام عن رسول ا ، باب الوقف، رقم 1297، و«قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح». موسوعة ا ديت الشريف.

² - نفس سورة ا ج: ص 560-561.

³ - (م.س): ص 561، وانظر أيضا: ذات ا صدر: ص 592-593.

⁴ - نفس سورة الشعراء: ص 395.

بأفعال باطلة؛ كاستعمال ا رُوز وإلقاء الملح أو البخور أ ماكن معينة، وهؤلاء -كم- ا وص- فهم الشيخ - من سقَط ا تاع؛ الذين لا إ ان م ولا دين، همهم سرقة أموال اُغفل¹.

ووجه التناقض من جهة أخرى، يبدو من يصدقو م، وقد سلب عنهم الشيخ صفة العقل وصفة الإ ان، إذ لو كانوا لمكون إ انا لردهم إ ا تعا ، ولو كانت لديهم عقول لتيقنوا أن فعل السحرة لا ينفع ولا يضر²، ويصف الشيخ هذا التناقض خطاب مباشر مع أمثال أولئك ا شرك : «فهذا الذي تذهب إليه ليكتب لك، أو ليخر لك لتشفى، هو أحوج منك إ ما تطلب، فإذا مرض فليس له من يداويه!». أو يخر تجرك ليزدهر مقابل دربهات تعطيهما له، اذا لا يخر لنفسه > يأتيه-ه الريح وال الوف³.

وبريد الشيخ بذلك أن يصل إ أن هؤلاء ا شعوزين، لا لمكون جلب النفع ولا دفع الضر-ن أنفسهم، فكيف لمكونه ل-هم، وبالتا كيف يستعان م؟. وبذلك نرى قوة الشيخ توطي-ف مبدأ أساسي من أوليات العقل، وهو مبدأ عدم التناقض، علاج مظاهر الشرك.

ثالثا/ الذبح والنذر لغير الله

من أنواع الشرك ال حار ا الشيخ بيوض نفس ه وشدد عليها النك ؛ شرك الذبح والنذر ل- ا تعا ، وهذا اللون من الشرك ا قيقة تابع، إ النوء السابقة وفرع منهما: عبادة الأصنام، وعبادة الأضرحة، ذلك لأن التقرب إ ا عبود بالذبايح والقراب ، هو عادة قديمة البشرية وقدم الأديان -كما ذكر الشيخ- حيث أشار إ أن آثار الأوا تلف الديانات، يوجد فيها -من ، ما يوجد- مذابح حول ا عابد، تصور فيها صور للآة⁴.

وهذه الظاهرة الشركية تفشت ا سلم -وقد عاشها الشيخ ميزاب-، ا تفشى فيهم عبادة القباب والأضرحة، إذ صاروا يقيمون النصب واذابح حول القبور، فيذون عليه-ا ويلطخو-ا بالدماء والأوساخ، وقد انتقلت إليهم هذه العادة من الأمم الوثنية السابقة⁵. وقد ابتدأ الشيخ حديثه عن شرك الذبح -ا كان بصدد أنواع الشرك نفس سورة لقم-ان-

¹ - نفس سورة ا ج: ص 367.

² - (م.ن).

³ - (م.ن).

⁴ - (م.س): ص 446.

⁵ - نفس سورة لقمان: ص 213.

ابتدأ بيان هدي الإسلام الذبح، وهو استحضار القصد لوجه ا تعالى عند ر البدن¹، أو ذبح غها من الذبائح الشرعية، مع ذكر اسم ا عليها، التصديق بلحومها على الفقراء وإساک². بعد ذلك يستغرب الشيخ من قول تلك البدن -وغها من الذبائح- م-ن ش-عائر ب-نص القرآن³، إ شعائر ل ا ، يقول الشيخ ذا الصدد: «كيف كن -بتقادم العهد- و تم-ع مسلم- أن تجعل من شعائر البشر لا من شعائر ا؟! فالألفاظ ال تصدر عن الألسنة تدل على شرك خفي، والألفاظ تابعة للنيات، وهي تع عما القلوب، وتدل على أن القصد من التقرب إ ا لمق، أكثر من قصد التقرب إ ا ... [كقو م] نوق سيدي جابر، نوق الشيخ سيدي عيسى، نوق سيدي إبراهيم، نوق سيدي عبد القادر ... ولقد ارتكزت هذه التسمية القلوب، وأصبحت الألسن تنطق ا، من غ أن يعلم أحد أنه لا وز النطق ذا»⁴.

وتلك التسميات ال تطلق عند الذبح هي ما يسمى الشرع: الإهلال ل ا تعالى ، وهو مظهر تابع لشرك الذبح، إذ يقصد صاحب الذبيحة بقلبه وليا معينا للتقرب إليه، يذكر بلسانه اسم الو على الذبيحة، هذا هو الإهلال ل ا تعالى .

وقد عرف الشيخ بيوض الإهلال ل ا ، ودكر منشأه وتار ه، مناسبة قوله: (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخـير وما آهل به لغير ا) (البقرة: 173)، فقال الشيخ: «يع ما ر فـع فيـه الصوت بذكر غ ا ، و ما هو معروف عند البشر منذ القد ، أ م يهلون إذا أرادوا النحر أو الذبح، يذكرو اسم الذي يتقربون إليه، و ن لا نعلم ما كانوا يقولون ا اهلية، وإ ا الذي نعلمـه أـم يهلون بذكر أاء آتهم: اللات والعزى ومناة وهبل، وكل يهل بصنمه، انتقلت هذه صلة من الشرك إ ا سلم وانتشرت، وهي لا تزال يبع بلاد الدنيا، مشرقا ومغربا، و بلادنا كذلك، فمن جهة يقول أحدهم: بسم ا ليحل ذبيحته، ومن جهة أخرى يقول: هذه وعدتك يـا سـيدي

¹ - عرف الشيخ البدن بقوله: «البدن هي النوق، أي إناث الإبل، وأق ا البقر عند أصحاب البقر، ودون ذلك الأضاحي ال تكون من الغنم» نفس سورة لقمان: ص211.

² - (م.س): ص 212.

³ - وهو قوله تعالى: «وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ قَدْ كُتِبَ عَلَيْهَا صُورٌ» (ا ج: 36).

⁴ - نفس سورة لقمان: ص212.

فلان! . وهنا ا رام، لأنه إهلال لـ ا «¹.

ويلحق مسألة الذبح والإهلال لـ ا ؛ قضية النذر لـ ا . وقبل أن يعرفه الشيخ، عرف النذر ائز وهو الوعد الذي يعد به الإنسان ربه، بأن يذبح له شاة يتصدق ا على الفقراء و ساك ، إذا ما أجاب له طلبه، كأن يرزقه ولدأ أو يشفي له مريضاً².

أما النذر لـ ا الذي تسميه العامة "الوعدة"، فقد مَّثل له الشيخ بأن يقول أحدهم: «يا سيدي فلان إذا وقع كذا أو كذا فإ ساذبح لك ذبيحة، فهذا حرام من أول مرة، وهو كفر وشرك ونذر لا وز الوفاء به»³.

وقد علق الشيخ على تلك ا ظاهر الشركية –السالفة الذكر- بأ ا أشياء قبيحة، لا تزال منتشرة، ولا يزال الناس يتعصبون ا – عهده-، حجة التقليد للآباء ومن كان قبلهم⁴.

وقد سلك الشيخ بيوض علاج شرك الذبح والنذر لـ ا ، عدة مسالك ونفذ إليه من مداخل ش ، كما رأينا النوء السالف من الشرك.

***/ دخل الأول: بيان ا قصد الشرعي للذبح**

ب الشيخ أنه ا يتمسك به أولئك الذين يذ ون لـ ا ؛ اشتراط ا كان عند الذبح، فلا يذ ون إ على قبور أوليائهم، وإذا دعوا إ الذبح حيث يذبح يع الناس رفضوا، عا الشيخ هــ ذه الشبهة ببيان ا قصد الشرعي للذبح، فقال – اطبا هؤلاء-: «... نقول لأولئك –لنختير نواياهم-: إن ا تعا يحدد و يشترط عليكم مكانا دودا للذبح أو النحر، فهو يقول: (لن يذـالـ الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) (ا ج: 37)، يع : إن هذه الأار من الدماء الـ تراق، والقنات ا قنطرة من اللحم الذي صلون عليه؛ لن يصل منها شيء، وإ ا يصلـمـمـنكم تقوى قلوبكم، وإذا كان ا تعا لا يناله كثرة الدم، ولا وفرة اللحم، أقينا له ديد ا كان؟»⁵.

إن هذا التحليل يدل على أن الشيخ مقتنع بأن كـ ا من الناس الذين وقعوا وطأة هذا اللون من

¹ - (م.س): ص 216.

² - (م.س): ص 217.

³ - (م.ن).

⁴ - (م.س): ص 218.

⁵ - (م.س): ص 213 وما بعدها.

الشرك؛ إا أعماهم عن ا ق؛ غفلتهم أو جهلهم با قصد الشرعي من الذبح وهو تقوى القا-وب،
ال لا تكون إلا وحده، فإذا أدركوا هذا لا شك أن أكثرهم سيؤوب إا ق.
ومع هذا البيان والإدراك للمقصد، فإن وجد من أصر على اشتراط ا كان ذبح ذبيحته، وه-و
ق و أو ثبة من القباب، فذلك دليل -عند الشيخ- «على أنه لا إخلاص قلبه مطلقا، وإا قصد
بقربانه هذا ا خلوق لا ا الق، لأن ا الق كل مكان»¹.

وبندرج ضمن هذا ا دخل؛ علاج الشيخ مسألة الإهلال لغ ا ، ببيان ا كمة من ره وه-ي
«اية الناس من زيف العقيدة»²، فقد وضع الشيخ الفرق ب ا انب ا ادي لما أهل لغ ا ب-ه،
وا انب الروحي منه، الذي تنصب عليه ا-رمة، ذلك لأن أصله طيب لا يخشى منه ضرر جسا³،
ولكن ا كان توجه ا رء به قلبيا لغ خالقه، صار محرما لأن ا تعا يريد العبادة خالصة له³.
هكذا اعت الشيخ التفقه حكم الشريعة وأسرارها علاجا فعالا، ذا الشرك وغ ه من مظاهره،
إا انا منه بأن «سبب الا راف هو أخذ الناس لأحكام الدين على ظواهرها، دون الغوص أسرارها
وحكمها، ولذلك سرعان ما يزول الدين، كالشيء ا هتر الذي لا يثبت»⁴.

***ادخل النا : ا كمة / العقل و ا نطق**

عند إنكار الشيخ لقضية الإهلال لغ ا ، ذكر صورة من التناقض العقلي عند اتمسك ب-ه
فقال: «والعجيب فعلا الذين معون ب ذكر ا وذكر غ ا ، أم يخفون ص-وتهم عند
ذكرهم ؛ ويرفعونه عندما يذكرون غ ا ... وإذا يكن هذا إهلالا لغ ا ، فماذا يك-ون إذن
؟!»⁵.

و علاج مسألة النذر لغ ا أو "الوعدة"، كان الشيخ ا دل اتمسك ب-ه، ويح-اجهم
با نطق العقلي؛ وبضعف ا نذور له الأصل، و ا جاء خطابه م: «وأنت عندما تقول: ه-ذه
وعدتك يا سيدي فلان، ترى سيدك هذا؛ هل لك ا نة فيدخلك فيها؟ أم لك جه-نم فينق-ذك

¹ - (م.ن).

² - (م.س): ص 221 وما بعدها.

³ - (م.ن).

⁴ - (م.ن).

⁵ - (م.س): ص 217 وما بعدها.

كـمه، وكان هذا إلا أن راسخا القلب¹؛ «حينئذ يكون ا رء مستعدا بطبيعته لقبول كل ما يأتيه من قبل ا ، > ولو يدرك حكمته، لأنه يثُلُّ جُرد أنه أمر ا ، أو يتركه رد أنه نهى ا ، مـن غ نقاش، أو أن يفرق بـ كون هذا قبيحا أو حسنا، لأنه يعتقد أنه ليس فيما يأمر ا تعا به قبيح، ولا فيما ينهى عنه حسن»².

وهذه الثمرة هي ما عـ عنه القرآن الكر بالتسليم ونفي ا رج عن النفس، اه تكاليف الشرع؛ قوله تعا : (قَلَّا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا) (النساء: 65)، فإذا كان يكفي لإثبات "الإسلام" -كما ذكر- سيد قطب- «أن يتحاكم الناس إ شريعة ا وحكم رسوله، فإنه لا يكفي "الإ ان" هذا، ما يصحبه الرضى النفسي، والقبول القل ، وإسلام القلب وا نان، اطمئنان؟»³.

2/ الأمن النفسي والطمأنينة القلبية:

إن إنسان العصر اديث هو دائم البحث عن العـلاج الذـاجع للـخـوف والـقلـق والفـزع والاضطراب؛ الذي يعا منه بصورة مستمرة، ذلك أن النفس تـعـ بقطر ا إ الأمن والاطمئـان، والعلاج الأ ع الذي قدمه القرآن لتحقيق الأمن النفسي؛ هو وصل الإنسان با تعا ، عن طريق قـ الإ ان به وبوحدانيته، لأن هذا إلا ان يشعـره بأن له سندا قويا اياة، فيبعثه هذا الشـعـور علـى التغلب على مشكلاته، وعلى وساوس قلبه، والنظر إ اياة بعـ راضية مطمئنة⁴.

وذلك ما أكدـه الشيخ بيوض نفسـه هـ، > وضح قيمة الأمن النفسي، حيث ذكر أن «عذاب الضمـ أصعب من تقييد الأيدي والأرجل، أما من كان مطمئن القلب فإنه يسبح الفضاء بقلبهـ هـ، ولو كان بطون السجون مقيدا»⁵.

كما بـ الشيخ أن ا سلم إذا وطن نفسه على الرضا بالقضاء -وهو ركن من أركان الإ ان با -

¹ - نفس سورة النمل: ص 92-93.

² - (م.س): ص 93.

³ - سيد قطب: مصدر سابق، ج 2/ ص 697.

⁴ - ناهد ا راشي: أثر القرآن الكر الأمن النفسي، دار الكتاب اديث، القاهرة، ط 4: 1423 هـ - / 2003 م، ص

161-163.

⁵ - نفس سورة ا ج: ص 357.

ون عليه مصائب الدنيا، مهما عظُمت، البدن أو المال أو الأهل؛ وتكون حالته مع ا دائماً راضية مرضية، متيقناً أنه تعا، إذا أعطاه شيئاً فمن فضله، وإذا انتزع منه شيئاً فهو له¹.

ويوجه الشيخ مستمعيه خطاب مباشر، إلى النفس على الرضا بالقضاء، مبيناً رته على النفس، فيقول: «... فَعُودُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الرِّضَى وَالْقَبُولِ، دُوا الرِّاحَةَ وَالنَّاءَ، وَالسَّلَامَةَ الْقَلْبَ وَالنَّفْسَ وَالسَّمَّ، وَالسَّلَامَةَ الدِّينَ وَالْعَقِيدَةَ»².

وبزید الشيخ للناس إغراءً بقيمة الإيمان والتوحيد، حيد م أن المؤمن ا ق؛ وهو حال التعب والكدح سبيل كسب المال، يعيش راحة ولذة وممتعة³.

3/ الشعور بالعزة والكرامة:

من آثار توحيد ا تعا على النفس شعورها بالعزة والكرامة، هذا الشعور يفيض عليها م - من اعتقادها بأن ا إماً واحداً، هو الذي ينبغي عليها أن تذل له وتتحنن ب يدي عظمته، فلا تذل لأحد سواه، وهذا ما وضحه الشيخ مناسبة قوله تعا: (... وَمَنْ يَهِنْ أَمَّا قَمَّا لَهُ، مِنْ مَكْرَمٍ إِنْ أَيْفَعْلُ مَا يَشَاءُ) (ا ج: 18)، حيث قال: «... فَاؤْمِنُونَ الدُّنْيَا؛ وَإِنْ أَهْنُوا وَطَلَمُوا وَاضْطَهَّدُوا، فَإِنَّ مَا قُلُومٍ مِنْ إِنْ وَطْمَأْنِينَةٍ وَرَجَاءٍ ا وَطَمَعٍ الْآخِرَةِ، عَلَيْهِمْ فَوْقَ النَّاسِ يَعْا، فَيَسْخَرُونَ مِنْ مَالِ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا وَآلَامِهَا»⁴.

يؤكد الشيخ مبعث تلك العزة نفوس المؤمن فيقول: «فهم أعزاء ولو كانوا على ا ش - إنق، وهم أعزاء لأن م رباً ميهم، ويأوبهم إليه؛ راض عنهم، وهم أعزاء لأن نظرهم متجه والأعلى إ مقعد صدق عند مليك مقتدر»⁵.

فمن مباعث العزة نفس المؤمن - كما ذكر الشيخ بيوض - استعلاؤه على نفسه - ه وش - هواته، وتعلقه بأثُل العلياء، كل كذلك عله يحيا «عَا - الرأس، أياً للضميم، عصياً على الذل وان، بعيداً

¹ - نفس سورة الكهف: ص 338.

² - (م.ن).

³ - نفس سورة طه: ص 438.

⁴ - نفس سورة ا ج: ص 381.

⁵ - (م.ن).

عن الشعور بالتفاهة والضياع والعدم والفراغ»¹.

4/ النجاة والنجاح:

إذا استقرت بذرة الإيمان والتوحيد القلب، و كنت منه، وشعر هذا القلب بـ الأمن والعـزة، صدر عن صاحبه كل خ ، لأنه ينطلق -مجتهدا متفائلا- ميادين العمل والهاد، فتكون تلك البذرة سبب النجاح والانتصار ا ياة².

كما تكون بذرة التوحيد سببا لنجاة اراء أحلك الظروف وأشد الصائب ال يتعـرض ـا، وذلك ما بينه الشيخ بيوض > كان لل قصة سيدنا إبراهيم ؤ مع قومه، والعبر استفادة منها، فتطرق إ مشهد اته من النار ال ألقى فيها، بعد أن جعلها ا تعا له بردا وسلاما (قُلْنَا يَا نـار كُونِي بردا وسلاما على إبراهيم) (الأنبياء: 69)، حيث بـ الشيخ أن اة إبراهيم إكراما له، إذ أبطل ا من أجله سنة من سنته، وهي سنة الإحراق النار، بـ الشيخ سيرهـ ذا الإكـرام؛ لأن إبراهيم يكرم لعبادة زائدة على الأنبياء الآخرين، وإا أكرمه ا للسلامة ال قلبه³، (إذ جـآ ربـه يقلى سليم) (الصافات: 80).

والسلامة اقصودة هي «الإعراض عن كل ما سوى ا ، يث لا يرى الوجود غـ ا ، ولا اف إلا ا ، ولا يرجو إلا ا»⁴.

لكن الشيخ عقب هذا التحليل نه إ سوء الفهم للسلامة القلبية، على أا تعا ترك الأسباب، بل اؤمن ا ق هو الذي مع بـ الاعتماد على ا وا اذ الأسباب ال دله إليها⁵. أشار الشيخ إ أمثلة واقعية أخرى من تاريخ الأنبياء، سد تلك الثمرة الإمانية وهي النجـاة، فسلامة القلب هي ال أنجت نوحا ومن معه السفينة من الطوفان، وهي ال كانت سبب انفلاق البحر ووسى وقومه؛ و ا م من فرعون وجنوده، وهي ال أنجت سيدنا مدو وهو الغار مع

¹ - الفرضاوي: الإ ان وا ياة، مؤسسة الرسالة، بـ وت-لبنان، ط 19: 1419 هـ / 1998، ص 59.

² - نفس سورة الكهف: ص 449.

³ - نفس سورة الأنبياء: ص 87-88.

⁴ - (م.س): ص 88.

⁵ - (م.س): ص 90.

صاحبه¹، «وهكذا إذ تتبعنا الرسل يعهم، دهم أخطر اللحظات ليس م إلا الالتجاء إ ا تعا ... و تلك اللحظات ل الرحمات»².

15 الثبات والاستقرار:

من أروع وأفضل ا التوحيد على الفرد اؤمن؛ مظهر الثبات على الإ ان والاستقرار النفس؛ مهما تقلبت به الظروف والأحوال، وذلك ما بينه الشيخ بيوض مناسبة نفسه لقوله تعا - ذكر طيع من طباع ا نافق وهو التذبذب - (ومن الناس من يعبد ا على حرفي قان أصابه، خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران الم) (ا ج: 11)، حيث وضع الشيخ مقابل تلك الصفة عند اؤمن ا ق، فقال: «واؤمن ا قيق لا يتزلزل إ انه، ولا يسيء الظن بربه مهما اشتد به بلاء الفقر، أو وصل به بلاء الغ ، فإن أعطاه ا تعا أكثر ا أعطى أهل زمانه، فإنه لا يغير من طبعه ولا من عقيدته شيئاً أبداً، يتمثل أوامر ا و تنب نواهيه، ولا يبطره غناه فيظلم و ور»³.

وإذا أصاب هذا اؤمن شيء من الضيق كالفقر -مثلا- كانت حاله مع ا ومع نفسه واحدة، - كما كانت من قبل - «يقول: "إن ا كر ، أبواب ر ته مفتحة، وفضله واسع، فأنا أرجوه"، فلا يستخفه فقره فيثور فيسرق ... وإذا ابتلي بظلم جبار فإنه يص ولا يستخفه هذا الظلم، فيلجأ إ ا داهنة دينه»⁴.

وقد أشار الشيخ إ الأمثلة ال ساقها القرآن من تاريخ الأنبياء لثبات اؤمن ا ق، ومن هـ -ؤلاء سيدنا أيوب ص، الذي ابتلاه ا بارض؛ ح صار مه يتفتت، غير ا حاله إ صحة وعافية - فلم يتغير إ انه و يتبدل، كما كان إبراهيم ص وسط النار؛ هو نفسه أيام عزه و ده، ويوسف ص صار عزيزاً -صر يتغير، بل كان ذاته يوسف الذي ألقى ا ب أودع السجن⁵. ولعل من أحسن ما ورد السنة بيان قيمة تلك الثمرة الإ انية؛ تعجب الرسول ص من حـ ال

1 - (م.س): ص 90-91.

2 - (م.س): ص 91.

3 - نفس سورة ا ج: ص 359.

4 - نفس سورة الروم: ص 355.

5 - نفس سورة ا ج: ص 361-362، أنظر هذه ا مسألة أيضا: نفس سورة طه: 430-433.

اؤمن اُسْتِقْرَة ح قال: «عجبا لأمر اؤمن إن أمره كله له خ ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إذا أصابته نعماء شكر فكان خ ا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خ ا له»¹، وقد استنتج الشيخ م-ن هذا اديث أن ا مسلم -فضلا عن ثباته- رابح للأجر وا مهما كانت حاله، ع-د ا -رض أو اوع، حضره أو سفره... والسر ذلك عدم غفلته عن ربه أبدا².
هذه أهم الآثار والثمار الإلانية ال وجدنا الشيخ بيوض يركز عليها تفسه ه، م-ن ا ا-ب الفردي، أما ا انب الاجتماعي فيكاد يكون ذكره منعما -كما ذكرنا قبل- ولعل طبيعة النفس- التحليلي، والأسلوب الشفهي الذي ميز دروس الشيخ؛ قرضا علي- ه ض- عف ال- ربط للمقوم- ات الاجتماعية بأصل الإل ان والتوحيد.

¹ - رواه مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب اؤمن أمره كله خ ، رقم 5318، «...عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»، ورواه أ د أول مسند الكوفي ، رقم 18175. موسوعة اديث الشريف.

² - نفس سورة ا ج: ص 600.

نتائج الفصل الثالث

من خلال ما سبق من علاجنا مسألة وحدانية ا تعالى عند الشيخ بيوض، كـ ن ا لـ و ص إ النقاط الآتية:

أولاً/ تع وحدانية ا عند الشيخ بيوض؛ تفرده تعا الذات والصفات والأفعال، يـ ث لا يشاركه فيها أحد، و ا كم والعبودية من دون سواه.

ثانياً/ ما ميز الشيخ عند تطرفه لوحداية الصفات، هو تنبيهه إ اُبائية ب معا صفات ا ـ الق وصفات ا لمق، وإن اشتركت التسمية اللفظية، ذلك لأن الأو حقيقة مطلقة، بينما الثانية مجازية ونسبية.

ثالثاً/ يرى الشيخ أن ا تعا هو الفاعل ا قيقى لكل أحداث وأفعال الكون. والنظام الكـ و القائم على السببية؛ متعلق بإرادة ا القادر على تعطيله م شاء، ومن أوجه ا كمة ذلك النظام -كما يرى الشيخ- هو تربية الإنسان على اـ و العمل.

رابعاً/ يل الشيخ إ التفسد التفاؤ لكل الأحداث وا صائب الكونية، مهما بدا ظاهرها من شرور، إذ يرى وجوب اعتبارها بلاءً، قد دفع ا به بلاءً أك منه، وذلك تـ يها عن الشـ رور أفعاله.

خامساً/ بيان الشيخ لوحداية ا ا كم والتشريع، كان يقنع مستمعيه بوجوب الاحتكـ ام إ شرعه تعا ملة من الدواعي لذلك، قسمناها إ اعتبارين؛ الاعتبار الأول: استشهاده بكمال الصفات الإية، أما الاعتبار الثا : فاستشهاده بصفات النقصان البشرية، لا تؤهلهم ـ الـ إ تشريع نظام شامل يا م يكفل م سعادة الدارين.

سادساً/ يسلك الشيخ ا سلك العقلي الذي سلكه القرآن إثبات وحدانية ا عبودية، إذ يعتـ توحيد ا العبادة والشكر؛ نتيجة منطقية لتوحيده ا لمق والرزق، والنفع والضرر.

سابعاً/ يع الشرك با تعا عند الشيخ بيوض: نسبة شيء من التصرف الغي الكون؛ لغـ ا مع ا ، اعتقاداً قوته على جلب النفع ودفع الضرر، أو طاعته فيما يدعو إليه طاعة عميـ اء دون تقيد بالشرع.

ثامناً/ لقد كان الشيخ بيوض ن تأثر با فهوم الشائع للشرك؛ وهو مرادفته مصطلح الكفر الذي

يع : إنكار أصل من أصول الإيمان، ولذا أدرج الشيخ الإلهادبا تعاضد ضمن أقسام الشرك، مع أن حقيقة الشرك هي إلهادآمة مع الله أو دونه، ونقيضه الإخلاص أو التوحيد.

تاسعا/ لقد كان الشيخ بيوض واقفيا تناول قضية الإلهادب-الله، فلم يعاها-الكتعريفات اصطلاحية جافة، بل انطلق من موارد ذكر القضية القرآن، أنزله على واقعه الذي كان ولا يزال يشهد مظاهر متجددة من الإلهاد، متمثلة في التيارات الفكرية الناشئة الغرب واستهوت معها طوائف من الشباب المسلم، وقد ركز الشيخ على تباري: الشيوعية والعلمانية، بتبني مضام كمال منهما، وأسباب انتشاره في الشباب المسلم، فقد العلاج الربا للقضية؛ بعودته إلى القرآن مرة ثانية.

عاشرا/ للشيخ بيوض منهج متميز معاملة تلف مظاهر الشرك، يتمثل انطلاقه من الحجج والدوافع التي تدفع إلى شرك في فعلهم، فيحللها بطلانها وتهافتها بقوة الحجج، إلى جانب وصفه الدقيق لطقوس الشرك، وبيان غرابتها ومتناقضاتها مع الشرع والعقل.

أخيرا/ لقد كان الشيخ يركز قيمة الإيمان بالوحدانية نفسه، ببيان آثارها حياة الفرد الاهتمام لآثار التوحيد على الجماعة أو المجتمع المسلم.

الفصل الرابع

منهج الشيخ بيوض

في بيان صفات الله تعالى

تمهيد: الصفات وأقسامها

• أولا/ مفهوم الصفات الذاتية

• ثانيا/ مفهوم الصفات الفعلية

المبحث الأول: الصفات الذاتية

• أولا/ صفة العلم

• ثانيا/ صفة القدرة

• ثالثا/ صفة الإرادة

المبحث الثاني: الصفات الفعلية

• أولا/ صفة الرزق

• ثانيا/ صفة الرحمة

المبحث الثالث: الصفات المتشابهة

• أولا/ ثبوت الصفات المتشابهة والخلاف في فهمها

• ثانيا/ موقف الشيخ بيوض من الصفات المتشابهة

• ثالثا/ نماذج من تفسير الشيخ بيوض لآيات الصفات

1. صفة النفس

2. صفة اليد

3. صفة الوجه

4. صفات اليد والقبضة واليد

5. صفة العرش والاستواء عليه

6. صفة رؤية المؤمن تعا

المبحث الرابع: منهج الشيخ بيوض في عرض الصفات

أولا/ تناسب الصفات في أسمائها مع مدارك العقول

ثانيا/ تناسب الصفات مع سياقها القرآني

ثالثا/ تناسب الصفات مع تجلياتها الكونية

رابعا/ أثر الإيمان بالصفات

نتائج الفصل الرابع

تمهيد: الصفات وأقسامها

يعتد إلا أن بصفات ا تعا من أهم مباحث عقيدة الألوهية، وذلك لآما تزيد اؤمن معرفته بربه تعا ؛ الذي احتجبت حقيقة ذاته عن عبادته، فبقي أن يعرفوه من صفاته و ليا ا لمواقته، و ا أن دراستنا تتعامل مع تفسر للقرآن الكر -والذي استغرقت فيه أاء ا وصفاته؛ حيزا غ يس - فقد وجدنا افسر لكتاب ا ، الشيخ بيوض -ر ه ا - أو عناية كبة ذا اوضع. وصفات ا ال ينبغي على اؤمن معرفتها والإ انا، هي صفات كثة، غ منحصرة ت عدد مع ، فقد حاول علماء العقيدة مؤلفا م أن يحصوها ويقسموها أقساما، لكنهم -حسب رأي عبد ا يد النجار- يكونوا يقصدون بذلك إلا أغراضا تعليمية، دون أن يقصدوا ا صر النهائي والتقسيم اللازم، ولذلك كان بينهم اختلافات عد الصفات وتس-ميتها، و طرائق التنوع ونتائج¹.

ا سبق نتساءل: ما مفهوم الصفات الإية عند الشيخ بيوض ؟ وهل اعتمد تقسيما معينا؛ وهو يفسر كتاب ا تعا ؟

لقد وجدنا للشيخ تعريفا جزئيا للصفات؛ وهو يعرف مع أاء ا ا س ، إذ اعتد ا ش-يئا واحدا فقال: «وأاء ا هي صفاته، وهذه الصفات ألفاظ عربية، ا معان معروفة معقولة، وهذه اعا تستعمل ويوصف ا أناس، فيقال: فلان رحيم، وفلان جبار، وفلان عزيز، وهذه الصفات إذا أجريت على ا تعا فهي حقيقية، فهو الرحيم حقا و بار حقا والعزير-ز حقا-، وأما إذا أجريت على غ ا تعا فهي غ حقيقية، وإا تدل على شيء بسيط من هذه اعا لا تقاس ولا توزن بصفات ا تعا².

إن هذا كل ما وجدناه تعريف الصفات عند الشيخ بيوض -من خلال ما اطلعنا عليه م-ن تفسر ه-، وما نلاحظه هذا التعريف أنه يز ب صفات ا تعا وأائه، وأنه ركز على التفرقة ب صفات ا وصفات خلقه، وال تشترك الألفاظ دون اعا-ا ، فص-فات ا -الق حقيقية مطلقة، وصفات ا لى غ حقيقية ونسبية.

¹ - النجار: مرجع سابق، ص 112.

² - نفس سورة مر : ص 151-152.

وقد ضرب الشيخ أمثلة واقعية؛ بين فيها ا فارقة ب النوع من الصفات، وأنه لا يوجد لأحد صفات كصفات ا ، فقد يوصف شخص بأنه ملك، لكن ملكه نس ، لأنه فوف با كاره، يكن كان، وهو بعد ذلك إ الزوال، وقد يوصف آخر بأنه عليم، لكن -يتساءل الشيخ- م-ا هو علمه إزاء علم ا ؟ فقد كان جاهلا لقنه إياه غ ه، فعلمه غ ذا ، ومهما بلغ في-ه م-ن درجات، فإنه لا يذكر أمام علم ا الذي يقول عن نفسه¹: (ولو أنما في الارض من شجرة أفلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) (لقمان: 27)، وهكذا انتهى الشيخ إ نتيجة صها بقوله: «فالألفاظ إذن تتشابه ب صفات ا وصفات عبادّه، ولكن يستحيل ا قارنة بينها»².

وما سب هذا التركيز على التفرقة ب النوع من الصفات؛ إلا حرصا من الشيخ على تثبيت مبدأ التيه النفوس؛ تيه ا عن مشاة خلقه له، أي صفة من صفاته العلا أو اس-م م-ن أائه اس .

أما عن تنوع الصفات، فقد تعددت تقسيمات العلماء ا، وا عروف منها عند علماء الإباضية ثلاثة هي:

1. تقسيمها إ صفات ذاتية، وصفات فعلية.
 2. تقسيمها إ صفات ذاتية، وصفات فعلية، وصفات ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار.
 3. تقسيمها إ صفات جائزة، وصفات واجبة، وصفات مستحيلة³.
- والتقسيم الأكثر شهرة واستعمالا عند الإباضية -كما يرى مصطفى ويند - ه- و التقس-يم الأول⁴، وقد أشار إليه الشيخ بيوض موضع من مواضع تفسه ه > كان يتحدث عن الأاء ا فقال: «... وكل اسم من أائه يدل على صفة يلة حسنة، إما صفة ذاتية، وإما صفة

¹ - (م.س)، ص152.

² - (م.ن).

³ - ويند : مرجع سابق، ص119-120.

وانظر: الساي، أبو مد عبد ا بن يد: مشارق أنوار العقول، طبع مطابع العقيدة، سلطنة عمان، ط2: 1398

هـ- /1978م، ص169-175. وإيلا : مصدر سابق، ج1/ ص7-9. وإعبي: مرجع سابق، ج1/ ص229-250.

⁴ - ويند : مرجع سابق، ص120.

فعلية»¹، ولذا سنعتمد هذا التقسيم و ن ندرس الصفات الإلية عند الشيخ بيوض، مع أن تقسيم الصفات أمر اعتباري، ولا يع التقسيم اللازم -كما ذكرنا ذلك عن عبد ا يد النجار س-ابقا- خاصة وأن دراستنا تنصب على تفس ليلي للقرآن، لا على مؤلف مستقل العقيدة مصنف على أبوا ومسائلها، فما هي صفات الذات وما هي صفات الأفعال؟

أولاً/ مفهوم الصفات الذاتية:

«هي الصفات ال لا أول ا، ولا يوصف ا تعا بضدها، أزلية لا تتجدد، ولا تمنع م-ع ضدها الوجود ولو اختلف ل تعلقها؛ فالعلم مثلاً: صفة تعا ذاتية؛ ع أنه ع-ا م-ذ الأزل، وعلمه لا يتجدد، ولا يكتسب مثل علم لموفاته، ولا يوصف بضد العلم وه-و ا ه-ل، سواء تعلق العلم بشيء واحد أو أشياء متعددة»².

وأهم الصفات الذاتية هي اياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والإبصار، والس-مع³، و ن نقتصر هذه الدراسة على صفات ثلاثة: العلم والقدرة والإرادة، نظراً ل وز ليلها أكثر-ر تفس الشيخ بيوض.

ثانياً/ مفهوم الصفات الفعلية:

«هي ما دل على أفعال ا تعا ، و تلف عن صفات الذات؛ أن صفات الأفعال -دودة البداية، مرتبطة بالزمان غ قدة، كن أن يتصف ا تعا بضدها، ومثل ذلك فعل ا لى: فـا خالق، و ا لى صفة فعل، وقع بعده الزمن، لى م شاء وكن ألا لى، وك-ذلك الإحياء والإماتة والرزق، فهي أفعال متجددة غ صورة»⁴.

و ن نقتصر هذه الدراسة على صف : الرزق والرقة، لننظر تصور الشيخ بيوض ما.

المبحث الأول: الصفات الذاتية

¹ - نفس سورة الإسراء، ص241.

² - ويند : مرجع سابق، ص120. وانظر: اطفيش: الذهب ا الص، ص29. والساي: مصدر سابق، ص172-175.

³ - ا عبي: مرجع سابق، ج1/ص230.

⁴ - ويند : مرجع سابق، ص124، وانظر: اطفيش: الذهب ا الص، ص29. والساي: مصدر سابق، ص172-175.

و ا عبي: مرجع سابق، ج1/ص245.

أولاً/ صفة العلم

نود أن نشد بداية إ أن الشيخ يكن نفسه ه يشرح صفات ا تعا شرحاً صـ طلاحياً دقيقاً، بل كان يهتم أكثر بذكر متعلقاً ا، وشواهدا الكونية، ومقاصدها العملية.

1/ العلم الإي ومتعلقاته:

يركز الشيخ -كلما تطرق إ العلم الإي- على الإحاطة المطلقة ذا العلم و واهـ لكـل شيء¹، مع أنه يذكر أنواع هذه الإحاطة باها وإن ضمنها حديثه، وقد وجدنا تقسيم هذه الأنواع عند عبد ا يد النجار، حيث قال: «وتتفرع إحاطة علم ا با معلومات إ إحاطة زمانية، يكون ا كل شيء معلوما له، كل الأزمان ماضيا وحاضرا ومستقبلا منذ الأزل وإ الأبد، وقبل أن يوجد وعند وجوده وبعد فناءه ... وإحاطة مكانية يكون ا كل شيء معلوما كل مكان كان فيه؛ سواء أكان ظاهراً أو خفياً، وإحاطة موضوعية يكون ا كل شيء معلوما له على تنوع موضوعه، سواء أكان أجساماً أو حركات أو أفكاراً وخواطر ونوايا - ا الصـ دور²، وإحاطة علم ا -حسب رأي النجار- تتنوع إ إحاطة زمانية ومكانية وموضوعية.

وقد تطرق الشيخ بيوض إ الإحاطة اكانية و موضوعية نفسه ه لقوله تعا -على لسان لقمان وهو يعظ ابنه-: (يا بني إنها إن تك مثقال حية من خردل فتكن فيـي صـ خرة أو في السماوات أو في الأرض يات بها الله إن الله لطيف خبـ) (لقمان: 16)، أما الإحاطة ا موضوعية فقال عنها الشيخ: «أراد لقمان أن يركز قلب ولده عقيدة كـون ا تعا ا عـ الغيب والشهادة، وكونه مطلعاً على ا غايا والأسرار، وكونه يعلم خائنة الأعـ وما في الصـ دور، وكونه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة السماوات ولا الأرض، ... بل ليس علمه ا فقـ ط، وإا بكونه يأ بالذرات الا را يظن أنه هل مكا³.

وأما الإحاطة اكانية لعلم ا فهو موضوع الآية؛ الذي استفاد الشيخ ليله، وهو عبارة عن مثال ضربه ا تعا -على لسان لقمان- لبيانولية علمه اكان، واستعمل اثال حبة

¹ - انظر: نفس سورة الكهف: ص 437-438، نفس سورة لقمان: ص 270.

² - النجار: مرجع سابق: ص 135.

³ - نفس سورة لقمان: ص 266.

ا ردل، جريا على أسلوب العرب التمثيل ا للشيء ا ق والقليل¹، وتشبها للمع علل الشيخ ذكر وجود حبة ا ردل ثلاثة أماكن: الصخرة و السماوات و الأرض. وذلك لبيان قصور علم الإنسان وإحاطته ذه الأماكن، حيث مثل تعا بالصخرة للصلاية، إذ لا كن التوصل إ ا بة داخل صخرة صلبة، ومثل بالسماوات البعد، لأن بعد اسافات بينها لا يط ا الإنسان تقديرا، ومثل بالأرض للظلمة ال جوفها²، يقول الشيخ: «فما نع م-ن الوصول إ شيء، إما كونه محاطا بشيء صلب م لا يخرق، وإما كونه مكان بعيد، وإما كونه مكان مظلم، وبا مع ب الصخرة والسماوات والأرض، ندرك أن الشيء مهما كان مكان بعيد، أو كان مكان مظلم، أو كان اطاصن أم ، فإن ا يعلمه ويا به و -ازي عليه»³.

ويستأنف الشيخ بيان ا قصد من تصوير هذا اثال قائلا: «وا ع ا راد هو أنه ليس هناك ما تنع عن ا تعا مهما صغر وحيثما كان، وهذا من بديع تصوير القرآن»⁴.

2/ ا قصد العملي من ذكر صفة العلم:

إن ا قصد العملي من الإ ان بصفة العلم الإي -كما ذكر الشيخ بيوض- هو جعل ا -ؤمن يستقيم على صراط ا ، ويستعلي على أهوائه ونزواته، فإذا تذكر ا رء أنه لا شيء من أعماله - مهما حقر ودق- كن أن ينساه ا ، أو ألا ضره يوم القيامة -لإحاطة علم ا به- «فكي-ف يتصور مع الإ ان ذا أن يعصي أحدا تعا طرفة ع ، ملأ أو خلاء، وليس هناك مك-ان يوجد فيه، إلا وا معه»⁵، كما قال تعا : (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هـ -و رابعه- م...) (ا ادلة: 07).

وقال الشيخ موضع آخر عن رة الإ ان بعلم ا : «فإذا رسخت هذه العقيدة قلب إنسان

¹ - (م.ن).

² - (م.س) ص 270.

³ - (م.ن).

⁴ - (م.ن).

⁵ - (م.س) ص 271.

وكان دائم التفك فيها، فلا بد أن يستقيم ولا ينحرف، وإذا أخطأ مرة فسرعان ما يعود»¹.
وقال أيضا: «وإذا كن هذا إلا ان وارتكز نفس اراء، فإنه يعينه على هواه وعلى شيطانه،
فيستقيم على الصراط ويسهل عليه عمل ا ، ويصعب عليه عمل الشر»².

3/ علم ا والفعل الإنسا :

قد يتبادر إ أذهان بعض الناس إشكال العلاقة ب علم ا تعا وفعل الإنسان، هل ا تعا يعلم أفعال عباده بعد صدورها منهم، كما يفهم من بعض الآيات³، فيكون علمه ا حادثا، بعد أن يكن؟ أم أنه تعا يعلمها قبل وقوعها، فتكون بسبب العلم اُسبق ا؛ واقعةً على سبيل والإكراه؛ فيكون الإنسان ا أفعاله؟⁴

ا حقيقة هذا الإشكال قد طُرح منذ القد ، ووقع حوله جدال كب ب اتكلم وعلم-اء الفرق، وسودت بسببه صحائف كثة كتب علم الكلام، فيما يعرف ب-ا والاختي-ار أو ا داية والإضلال أو غ ه من اصطلاحات، ورغم أن الشيخ بيوض كان يعيب كث ا على من-اهج اتكلم واسائل الفلسفية ال يطرحوا العقيدة، إلا أن بعضا من هذه اسائل كان يطرحها الشيخ مراعاة لآثارها ا تمتع أو الطبقة ا ثقفة -خصوصا- وال ثل طلبة معهده، وقص-دا إ تصحيح افاهيم حوا؛ انطلاقا من هدي القرآن، لا من أدلة علم الك-لام، واص-ملاحاته اُعقّدة، ومن ذلك هذه اسألة: علم ا وفعل الإنسان، ال وجد ويوجد كل بيئة و ك-ل عصر من قد يفهمها فهما منحرفا، بنظره القاصر ظواهر بعض الآيات افيدة للـج ، فيك-ون ذلك داعية إ التكاسل والتسوف العمل، اتكاء على القدر والعلم الإي، فكان طرح الش-يخ للمسألة -حسب رأينا- دف دفع الناس و الفاعلية العمل الديني والآخر-روي، وهج-ر مفاهيم العجز والتكاسل والتواكل.

ففيما ص شبهة كون علم ا اُسبق بأفعال الإنسان، علها واقعة على سبيل ا - ، فق-د

¹ - (م.س) ص266.

² - (م.س) ص277.

³ - كقوله تعا : (لنبؤهم أنهم أحسن عملاً) (الكهف: 7)، وقوله: (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذب) (العنكبوت: 3).

⁴ - النجار: مرجع سابق، ص137.

تطرق إليها الشيخ وهو يتحدث عن مسألة ا داية والإضلال؛ تفسه ه لقوله تعا : (ومن يـهـد الله فهو المهتدي ومن يـضلّ قلن تـجد لهم أولياء من دونه...) (الإسراء: 97)، فقد اعتـ الشيخ بداية؛ أمر القلوب وأمر ا داية والإضلال سيرا من أسرار ا تعا ، لا كن لأحد الاطلاع على كنهه، اما مثل مسألة الروح¹؛ ال قال فيها تعا : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربـي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) (الإسراء: 85)، وقد أشار الشيخ إ ا ـ دال الطوبـل الذي دار به علماء الكلام ا موضوع، والذي اعت ا وض فيه خط وغل لائق، لأنه ث سر من أسرار ا ، واعت أن كل الأقوال ال قيلت ا مسألة لا تصل إ ا د الذي تطمئن إليه النفس اثياً².

وللخروج من الإشكال انطلق الشيخ من أصول عقدية متفق عليها وب عليها لميلاته، اولا إ ا د الانسجام الفكري بينها > لا تضطرب فيها الأفهام، فا نطلق الأول الذي بادر به هـ و وجوب الإيمان بأن ا عدل لا ور، كما أخ عن نفسه آيات كثة: (إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) (يونس: 44)، فمن عدله تعا أنه العصاة على ا معاصي، و يرغم الكفار على الكفر³. أما / نطلق الثا فهو التأكيد بأن علم ا بعباده وأفعام لا يتخلف أبدا، لأنه خلقهم بيده، وهو أعلم بن خلق، (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخـي) (الملك: 14)، يعلم ما تار كل واحد منهم إذا مكن من الاختيار، فيعلم أن هذا الإنسان تصـله دعوة ربه وتقوم عليه ا حجة، لكنه يغلب على أمره من نفسه وشيطانه، ووت على ا عصية، ويعلم تعا من الآخر أنه يتقبل هداية ا ويتبع سنن الأنبياء، ووت مؤمنا، ولذلك كتب ا كتابه هذا سعيد، وذاك شقي، وهو ما يتحقق الواقع⁴. أما / نطلق الثالث للمسألة، فهو وجوب الإيمان بأن ا فعال ما يريد؛ لأن له الإرادة ا مطلقة، كما أثبت ذلك آيات عديدة، لكنه مـن جهة أخرى أعطى الإنسان نوعا من ا رية والاختيار⁵، والشاهد على ذلك أوضح من أن يستدل

¹ - تفسه سورة الإسراء: ص 189.

² - (م.ن).

³ - (م.س)، ص 190.

⁴ - (م.س)، ص 190-191.

⁵ - (م.س)، ص 190.

عليه، لأن كل إنسان يشعر به من داخله، فنحن -كما يقول الشيخ-: «نشعر من نفوسنا أننا مريدون، بل الشعور بالاختيار نفوسنا قد أوزحده إحد الاعتزاز والافتخار به؛ فإذا عصينا فإرادتنا عصينا، وإذا أطعنا فإرادتنا أطعنا، دون أن نكون مدفوعاً أو بورين»¹.

وإنطلق الرابع للمسألة هو أن ا تعالى يترك عباده خياراً، يتخبطون مسالكاً ياءة على غدى، بل تفضل عليهم داية السبيل، كما قال تعالى: (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) (الإنسان: 3)، فأرسل إليهم رسلاً وأنزل عليهم كتباً، بهم فيها طريقاً وطريقاً الشر،² إقامة للحجة عليهم (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة) (الأنفـال: 42).

إذا اسلك التوفيقى به النصوص؛ حاول الشيخ بيوض أروج من الإشكال، ا فظ إإن الناس ويقوم سلوكهم، مع دعوته إ التوقف عند هذا اء من الفهم دون تكلف فقـال: «... وهنا ب أن ينتهي علم البشر، هذا ر خضم لا نشغل به نفوسنا، ونصح للجميع ألا اول اوض فيه، فإنه لا يدخل فيه أحد إلا وتزل قدمه ويفرق ولا تكون له منجاة، وعلينا أن نؤمن أن (ومن يـهد الله فهو المهتدي ومن يـضل قلن تـجد لهم أولياء من دونه)، هذا أقل ما كن أن يقال > فظ عقيدتنا من الزيف، و فظ قلوبنا من الزلل»³.

وقد وجدنا بيان العلاقة به علم ا وأفعال العباد بصورة أوضح وأوجز عند الشيخ مـمـد الغزالي -ر ه ا-؛ > ذكر أن العلم الإي لا يتصل بالأعمال اتصال تصريف وريـك أي بصلة سببية، ولكنه اتصال انكشاف ووضوح، فعلم ا يتبع الفعل الإنسا، ولا يتبعه هذا الفعل، غاية ما تاز به العلم الإي أنه لا يكشف الأشياء على حاضرها فحسب، بل يكشفها أيضاً على ما كانت عليه، وعلى ما ستكون عليه سواء بسواء⁴.

إن وصف علم ا بأنه كاشف ومظهر للأعمال، هو اواب الذي أجاب به الشيخ بيوض على

¹ - (م.ن).

² - (م.ن).

³ - (م.س)، ص 191.

⁴ - الغزالي، مدد: عقيدة اسلم، دار الشهاب، باتنة- زائر، ط: 1985م، ص 100. وانظر مثل هذا الرأي عند: النجار: مرجع سابق: ص 138.

الإشكال الآخر الوارد على العلاقة ب علم ا وأفعال العباد، وهو وجود بعض الآيات ال قد يفهم من ظاهرها، أن ا يعلم أفعال عباده بعد صدورها، وبالتالي فعلمه تعا ا حادث بعد أن يكن؟!، فبمناسبة نفسه لقوله تعا : (إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبأهم أيهم -م أحسن عملاً) (الكهف: 7)، ودفعاً للإشكال السابق قال الشيخ مع (لنبأهم أيهم أحسن عملاً): «ليظهر من الناس ما علمناه فيهم»¹، استأنف قائلاً: «فليس ا جاهلاً يطلب علم -ا بالابتلاء -حاشاه - و ا ليظهر فيهم مكنون علمه»².

و نفس الشيخ لآية أخرى موضوع الابتلاء وهي قوله تعا : (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذب) (العنكبوت: 3)، ب الشيخ أن علم -م ا أز قد ، لأنه يعلم من يصدقه ومن يكذبه قبل الاختبار، لكنه لا اسب عبده على أساس علمه القد فيه -ولو أنه لا يتخلف - و ا اسبه على ما ينجزه من عمل الواقع، فقاً ب -ه علم -م ا الأزل³.

ثانياً/ صفة القدرة

1/ القدرة الإلية ومتعلقاتها:

القدرة الإلية «هي صفة قائمة بذاته تعا ، ا يكون كل ما تعلقت به مشيئة ا من خلق وإفناء، ومن تدبير الوجودات ب ا لمق والإفناء»⁴. هذا تعريف من تعريفات القدرة، إلا أننا قد عند الشيخ بيوض مثلاً هـ -ذا التعريف الاصطلاحي، لكنه كان يهتم أكثر بتعلقات القدرة وشواهدنا، فقد وصفها بأ: عامة شاملة لكل شيء، ولا يشذ عنها شيء، كما لا يعزب عن علم -ه مثقال ذرة الس -ماوات ولا الأرض⁵، هكذا فهم وعرض الشيخ صفة القدرة وتعلقها، ببساطة عرضها القرآن الكر : (إن ا على كل شيء قدير) (البقرة: 20)، فقدرته تعا يطة بكل شيء، هك -ذا ب ا -ال دون

¹ - نفس سورة الكهف: ص52.

² - (م.ن).

³ - نفس سورة العنكبوت: ص12-13.

⁴ - النجار: مرجع سابق: ص139.

⁵ - نفس سورة الكهف: ص200.

تفصيل، لكن بعض علماء العقيدة، تكلفوا فهم تعلق القدرة، فأفحموا فيها أفسام اعلا-وم: الواجب، امكن، واستحيل، ومدى تعلق القدرة ا، فقالوا إن القدرة ليست حيطة؛ ك-العلم با مكنات والواجبات واستحيلات، بل هي متعلقة با مكنات فقط، وهي ما -وز- حق-ه الوجود والعدم على حد سواء، فهذه يطة ا القدرة إحاطة مطلقة كل زمان ومكان، وأم-ا استحيلات ال لا كمن أن توجد ال، والواجبات ال لا كمن إلا أن تكون موج-ودة على الدوام، فإن القدرة الإلية ليس ا فيها أثر، بل ليس ا ا تعلق أصلاً¹.

ويقرب من هذا الرأي ما ذهب إليه الشيخ اطفيش، حيث رأى أن قدرته تعا تتعلق با مكن لا باستحيل، فلا يقال إنه قادر على استحيل ولا غ قادر عليه، لأن استحيل لا يصدر منه، ولا يع ذلك أنه عاجز عنه، ولذا لا يقال إنه قادر على ا اذ الصاحبة والولد ولا غ قادر، لأنه مستحيل حقه أن يتخذ ا، وم ه عن العجز وعدم القدرة².

إن مسألة تعلق القدرة با ا استحيل -كما يلاحظ- مسألة دخيلة على بساطة العقيدة كما يعرضها القرآن، وبعيدة عن مدارك عامة الناس، وليس من ورائها بعد إا ولا عملي، ولذلك يتطرق إليها الشيخ بيوض أصلاً؛ بيانه تعلقات القدرة، ولقد علق مصطفى وين -ال-دارس لآراء الشيخ اطفيش العقدية- على تلك المسألة ال طرحها شيخه بأا ع للمتناقضات، واعت إا ا استحيل أمرا متناقضا مع الكمال الإي، والكمال ا قيقى هو إا ا الانسجام الوجود، فا اذ الصاحبة والولد -مثلا- مناقض للألوهية، وطلب إا ا يدل على عدم التفرقة ب-ع-ا ا وجودات ا خلوقة، والعال الغي، وصفات الألوهية ا قة، ولا يتعلق الأمر فيهما بقدرة ا تعا وعدم قدرته³.

2/ القدرة الإلية وشواهدا:

إن مبدأ ول القدرة الإلية وإحاطتها بكل شيء، قد جسده الشيخ بيان شواهدا، إم-ا الآفاق والأنفس أو تاريخ الأنبياء أو الأخبار الإلانية الغيبية؛ الوارد ذكرها القرآن، فلا ر

¹ - النجار: مرجع سابق، ص139، وانظر ا مسألة أيضا: البوطي: مرجع سابق، ص122.

² - وين: مرجع سابق، ص122، نقلا عن: اطفيش: بان الزاد إا ا اعداد، نشر وزارة التراث القومي، عمان، ط2:

1980م، ج1/ص324- الذخر الأس شرح أاء ا اس، (د.م)، ط حجرية: 1326هـ، ص203 وغها ...

³ - (م.ن).

الشيخ على واحدة من تلك الموضوعات، إلا ويستنتق منها القدرة الإلية، ويشتهت النفس-وس الاعتبار منها وتقوية الإيمان¹.

(أ) من شواهد القدرة في الأنفس:

من شواهد مراحل لُق الإنسان، ال استفاض الشيخ ليلها أكثر من موضع، مشا إ ا قائق العلمية الواردة فيها حديثاً، ومخللاً كل ذلك بلفت الأبواب إ مظاهرة عظيمة ا وقدرته، وداعياً إ ترسيخ الإيمان¹.

فبمناسبة قوله تعا : (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً) (الفرقان: 54)، علّق الشيخ على قيمة الآية، فبدأ بأبسيطة وصغة حروفها، ولكن لعظم مدلولها؛ لن يستطيع البشر تمتع من أوم إ آخرهم إدراك أسرارها²، وأشار إ أنه من السهولة كان «أن يقول أحد: لمت امرأة وولدت، هكذا بكل بساطة، ولكن العجب كل العجب يكمن ذلك؛ سبحان ا ؟ ولذلك عقب بقوله: (وكان ربك قديراً)»³.

وكان الشيخ وهو لل حقائق تلك الآية، يستعمل أسلوباً تعجبياً، فيكثر من ألفاظ التعجب، كل ذلك قصداً منه إ إثارة مشاعر الإيمان بعظمة ا وقدرته نفوس مستمعيه، يقول الشيخ: «ولا يوجد الكون أجهزة؛ إلا و الإنسان أدق منها، لا يدرك دقتها إلا تعا ، والعجب كل العجب أن تكون يبع تلك الأجهزة منطوية السلالة النطفة، تلك القطرة من الماء ال رج من صلب الرجل فتلقح بويضة امرأة، تستقر قرار مك ، تتخلّق بشرا سوياً»⁴.

و موضع قرأ آخر ذكر ا فيه باختصار مراحل ا لق عند الإنسان إذ قال تعا : (ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) (السجدة: 9)، فبمناسبة تفسد الشيخ ذه الآية، أبدى تعجبه إ ا من زخم الآية معانيها، مع صغرها

¹ - انظر مثلاً: نفس سورة ا ج: ص310-340، نفس سورة ا ومنون: ص93-101، نفس سورة الفرقان: ص184-

188، نفس سورة السجدة: ص51-69.

² - نفس سورة الفرقان: ص186.

³ - (م.ن).

⁴ - (م.س)، ص185.

مبانيها فقال: «ما أيسر وأصغر كلمة "سواه"، ولكن ما أعظمها وأوسعها، فكم هي اسافة يا ترى بـ اء ا هـ ، و الة التامة للإنسان، بعد أن يسويه ا تعا¹.

(ب) من شواهد القدرة في تاريخ الأنبياء:

ونقصد من تاريخ الأنبياء - خاصة - معجزاتهم ال أيدهم ا ، فكان الشيخ كلما بلغ قصة من قصصهم، يتوقف كثا بالتحليل معجزة الله واقصد الإا الذي يريد بعثه النفوس، وهو الإا أن قدرة ا تعا هي الفاعلة واؤثرة كل أحداث الكون وموجوداته، من دون حاجة إا أسباب²، وأن القدرة الإية صا لة لكل شيء، لا يعترض طريقها فلسفة ولا علم ولا فن ولا قانون، وأن أمر ا إذا جاء - رة كان أو عذابا - ظهرت به قدرته، وتأثرت الأشياء بإرادته وقوله: "كن"، فتكون³.

ولا يع هذا - كما ذكر الشيخ - وجود أشياء الكون عن طريق الصدفة والاتفااق، بل اقتضت حكمة ا أن عل ذا الكون سنة ونظاما وقانونا لا يتبدل، وعلق تعا بعـض أمـوره بأسباب كلّف ا البشر، فأُسببات ا وجوده إا مثل قدرة ا ال قرا بالأسباب⁴. وقد تساءل الشيخ بعد ذلك تساؤلاً جوهرياً يتعلق بصلة القدرة بالأسباب الكونية فقال: «ولكن هل ا تعا مقيد ذا النظام، و ذا القانون ؟ أنه لا رقه أبدا؟ وإذا أراد تغير هذا النظام فهل يفعل؟»⁵، فأجاب الشيخ بأن السنن ال وضعها ا ، إذا اطردت وعرفها الناس أجيالا بعد أجيال، فإم يغترون ويلحدون آيات ا بعلومهم وعقو م، معتقدين ألا قدرة صا لة لتبديل ذلك الذاموس ا طرد، وأن ا تعا عاجز عن ذلك، وأنه من الواجب على الكون الاطراد على نظامه!! من أجل هذه ا اذير - كما يرى الشيخ - أراد ا أن عل كث من السنن ال يشهدها البشر خرقا وقتٍ ما - وهو ما يتمثل معجزات الأنبياء-، يؤمنوا أن ا الق إذا سن سنة مطردة؛ فتلك إرادته، مع العلم بأنه قادر على خرقها وتغيرها⁶، أو بعبارة أوضح: أن يؤمنوا بـ أن "قدرة ا

¹ - نفس سورة السجدة: ص 63.

² - نفس سورة القصص: ص 340-341.

³ - نفس سورة الإسراء: ص 217، وانظر: نفس سورة مر : ص 34-35.

⁴ - (م.ن)، وانظر: نفس سورة القصص: ص 340-341.

⁵ - نفس سورة مر : ص 34-35.

⁶ - (م.ن).

صا ة لكل شيء"، وهي عبارة أو مبدأ طالما أكد الشيخ على وجوب الإيمان به، لا يـد ـيما عـد ـد تطرقه إ أخبار الأمم السابقة، أو أخبار الغيب الواردة القرآن¹.

فبمناسبة قصة مر بنت عمران؛ ال وردت تصرة قوله تعا : (والتى أحصنت فرجها ـا قَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِ) (الأنبياء: 91)، وبعد أن سرد الشيخ شيئاً من قصتها، نشأ ا وتنسكها، معجزة لها ووضعها لعيسى ؤ من دون أب، تساءل الشيخ عن ا كمة واقصد من القصة ؟، فأجاب بأن حكمة ا اقتضت أن يكون التوالد كل شيء بالتلاقح ب زوج : ذكر وأنثى، وهي سنة ب آدم أيضا، واطراد هذا النظام مذ ـد ملايـ السنـ²، «قد يوهـم الناس أن ا لا يقدر على غ هذا، فأراد ا أن رق هذه السنة ولو مرة تاريخ البشرية، فولد مولود من أنثى دون ذكر ليكون آية للعا ، ليد م أنه غ مقيد ـد ـذه السنة، وأنه قادر على ما يشاء م يشاء، بالكيفية ال يشاء»³.

(ج) من شواهد القدرة في الأخبار الإيمانية الغيبية:
ونقصد بالأخبار الإيمانية الغيبية، كل ما يتعلق بأحداث اليوم الآخر بدءا من اوت والبعث وما بعد ا، وال كانت ل إنكار الكثر من الكفار، الذين استصعبوا على ا —مثلاً- إعادة خلاـق الناس وإحيائهم من جديد بعد اوت؛ من أجل ا سباب، وقد جاءت الآيات القرآنية تلو الآيات إثبات ذلك العا الغي "اليوم الآخر"، حج عقلية مينة، ترد ا احد إ جادة ا ق، وتوقظ الغافل من غفلته.

وقد كان الشيخ بيوض يوظف تلك الآيات الاستشهاد على قدرة ا تعا وعظمته وترسيخ الإيمان ا، ومن ذلك مثلا قوله تعا : (وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وأـه المثل الأعلى¹ في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم) (الروم: 27).
فقد استهلّ الشيخ نفسه ه لتلك الآية ببيان أن ا تعا قد كرر القرآن مـرات عـدة-

¹ - أنظر مثلا: نفس سورة الأنبياء: ص 139، 140، 196، 230، 273، 274، نفس سورة ا ج: ص 322، نفس سورة الفرقان: ص 64، نفس سورة مر : ص 34-35.

² - نفس سورة الأنبياء: ص 190-196.

³ - (م.س)، ص 196-197، أنظر أيضا: من شواهد القدرة تاريخ الأنبياء؛ ليل الشيخ معجزة إبراهيم نفس سورة الأنبياء: ص 84-85 وغ ها من ا واضع ال حلل ا الشيخ معجزات الأنبياء.

حديثه عن بدء ا لمق وإعادة أو عن البعث، وا قصد من ذلك أن يذكر عباده بقدرته وسلطانه¹، و مرات كثرة ا دل ا انكرين مباشرة، ويسجل حجتهم ومستندهم بصيغ تلفة: (قَالَ أَلَا أَدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إنا لَمُبْعُوثُونَ) (اؤمنون: 82)، (وَقَالُوا أَدَا ضَلُّنَا فِي الْأَرْضِ إِنْ أَلْفِي خُلِقَ جَدِيدٌ بَلْ هُمْ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ كَافِرُونَ) (السجدة: 10)، (وَقَالَ الْإِذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَيْدِيًا لَمُخْرَجُونَ) (النمل: 67)، وفحوى تلك ا حجة هـ والتشكيك قدرة ا على بعث الناس بعد فناء أجسامهم التراب !

وبعلق الشيخ على حجة هؤلاء بقوله: «هذه هي كل حجتهم، وهي حجة صيانية، وحجة لا يتفوه ا إلا ا ا ا ، ولا يقوا إلا ا اهل بقدره ا ، والذي عَمِيت بص ته عن آيات ا ا يطمة به»².

وتأكيدا للحجة على التصديق بالبعث، خاطب ا هؤلاء والناس يعا ا آية الروم السابقة، بقضية توائم منطق عقوم وطباعهم، وهي أن إعادة ا لمق أهون عليه تعا : (وهو الذي يبدو الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)، إذ أن طبيعة ا خلوق - كما ذكر الشيخ - تقتضي أن الإعادة أسهل من ا لمق الأول، فمن قدر على خلق شيء من عدم - على غ مثال سابق - تكون الإعادة بالنسبة إليه أيسر وأسهل³.

إن ذلك الاعتبار ا هو منظور البشر وواقع معاشهم، «لكن الأمر بالنسبة تعا سـ واء، سواء ا لمق من غ مادة ولا مثال، أو ع ا لمق بعد أن تتفكك أجزاؤهم وذرا م، وكذا لا فرق ب خلق الفرد الواحد، وخلق البشر كلهم، فليس ا لمق الثا أسهل من الأول، أو الأول أصعب من الثا ، وإا هكذا جاءت الآية وفق إدراكنا وإلفنا»⁴.

فقدرة ا تعا لا يعجزها شيء، والذي أوقع انكرين ضلام، كوم يقيسون قـ درة ا بقدر م، فما يبدو م مستحيلا حكموا باستحالته على ا ! ولا قياس ب ا ا لمق وا خلاـ وق⁵،

¹ - نفس سورة الروم: ص 216.

² - نفس سورة النمل: ص 156.

³ - نفس سورة الروم: ص 216.

⁴ - (م.ن)، وانظر ا مسألة أيضا: نفس سورة الأنبياء: ص 186-187.

⁵ - نفس سورة الروم: ص 216-217.

ولذلك جاء التعقيب الآية: (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، فذلك شاهد آخر على قدرة الله أن أراد أن يؤمن ويهتدي.

ثالثاً/ صفة الإرادة

1/ حقيقة الإرادة ومتعلقاتها:

لقد اقتصر الشيخ بيوض على ذكر متعلقات الإرادة الإلهية من دون تعريفها تعريفاً اصطلاحياً، وقد وجدنا بياناً مفهوماً، قريباً من مذهب الشيخ وتصوره، نقله البغدادي¹ إماماً عن الأشاعرة؛ فقال: «أع أصحابنا على أن إرادة الله تعالى؛ مشيئته واختياره، وعلى أن إرادته للشيء كراهيته لعدم ذلك الشيء»²، كما نقل عنهم تعريفهم للإرادة الإلهية ومتعلقاتها بأنها «إرادة واحدة مطلقة مبيح مراداته على وفق علمه تعالى، فما علم منها كونه أراد كونه، فما علم أنها لا يكون أراد أن لا يكون، ولا حدث العالم شيء لا يريد أن لا يكون، ولا ينتفي ما يريد أن لا يكون، وهذا مع قول المسلم: ما شاء الله كان، وما يشأ الله يمكن»³، وإذ ذات الله -تقريباً- ذهب الشيخ أطفيش من الإباضية⁴.

وقد حدث الشيخ بيوض عن متعلقات الإرادة مناسبة قوله تعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (القصة - ص: 68)، إذ قال الشيخ: «فمن تدبر الآية وتفقه فيها يؤمن إنا يقيناً لا يتزلزل بكون الله فعالاً ما يريد، تاراً خلقه واختياره، وما من شيء الوجود إلا ويدخله الملق والاختيار، مهما كان أو صغراً، خلق الدنيا والآخرة، وكذلك الكيفيات، وتفضيل البعض على البعض، لا يستشعر ذلك أحداً من خلقه»⁵.

نلاحظ بيان الشيخ متعلقات الإرادة وحقيقتها، ببساطة الطرح ويسر الفهم، الذي يتلخص

¹ - ترجمة:

² - البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر: كتاب أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3:

1401هـ - 1981م، ص 102.

³ - (م.ن).

⁴ - انظر ويند: مرجع سابق، ص 121-122.

⁵ - نفس سورة الفصص: ص 469.

أن إرادة ا هي النافذة الكون، من دون دخول التعريف الكلامي هذه الصفة، الـذي يشرحها بأ ا صفة من شأ ا صيص ا مكينات ببعض ما وز عليها من وجود وعدم ووجـوه تلفة¹، ذلك لأن الشيخ -كما ذكرنا سالفا- كان يبتغي من وراء تفسده عرض هداية القـرآن على الناس يعا، بأبسط عرض وأيسر أسلوب، > يغ وا ما بأنفسهم، فأنى لعامة الناس فهـم التعريف الآنف الذكر، لصفة الإرادة؟!

2/ صفة الإرادة أو ا شئنة وبعدها التربوي:

وقد أعطى الشيخ بيوض لصفة الإرادة أو ا شئنة الإية بعدا تربويا، مناسبة قوله تعا - اطبا نبهه p-: (وَلَا تَقُولْنَ لشيءٍ اِنِي فَاعِلٌ ذَلِكْ عَدَاِلَا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ) (الكهف: 23-24)، إذ به الشيخ وسيلة من وسائل تقوية الإ ان با شئنة الإية القلب، وهي ربط اراء كل أفعاله بشـئنة ا ، فينبغي أن يقول كل منها: سأفعل كذا -إن شاء ا -، مع اعتقادها القلب. ونبه الشيخ إ ا طبا الذي قد يقع فيه البعض، بظنهم أن التلفظ بكلمة "إن شاء ا " لا يكون إلا الأمور الصعبة الشاقة ال يظن عدم القدرة عليها، وأما الأمور السهلة البسيطة، فلا يقـال فيها: "إن شاء ا ". فصح الشيخ هذا افهوم، ببيان أن الأمر بالتلفظ با شئنة عام، (وَلَا تَقُولْنَ لشيءٍ) يستغرق كل الأشياء والأفعال، مهما بدا للمرء ا حقة أو صفة، وأنه قادر عليها². والسبب ذلك -كما به الشيخ- أن الإنسان لا ملك غده، ولا ملك روحه ولا حياته ولا ملك من أمره شيئا، إذ لا يضمن ولو نفسا واحدا بعد اللحظة ال نطق فيها بقوله: سأفعل ذاك غدا! وما يدر به لعله بعدها عداد ا وتى! لأن ناصيته بيد ا ، وكل نفس له هو مدد مـن ا إنعاما وتفضلا منه تعا ، ولو شاء لقطعه عنه³.

هكذا ير الشيخ شدة احتياج اؤمن إ التمسك بشئنة ا ، اعتقادا بقلبه وتلفظـا بلسـانه؛ وذلك مناسبة الآية السابقة، وتأكيدا هذه الفكرة ساق الشيخ - ذات ا وضع- مثال من القرآن فيهما ذيب لنفوس اؤمن وتربية ا على التمسك با شئنة دوما:

¹ - انظر: مد عبده: رسالة التوحيد، ديوان المطبوعات اامعية، ا زائر، ط: 1988م، ص35، ا عبدي: مرجع سابق، ص236، البوطي: مرجع سابق، ص120.

² - نفس سورة الكهف: ص 129.

³ - (م.س)، ص129-130.

اثال الأول:

قوله تعا : (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَافِينَ مِنْ حَتِّهِمْ وَرُءُوسِكُمْ وَمَقْصَعِينَ) (الفتح: 27)، حيث بـ الشيخ أن الآية فيها إخبار من ا ووعد لنبه م بأن يـرده إـ مكة، فيدخل المسجد ا رام هو وأصحابه لأداء العمرة آمـ بعد أن صدّهم ا شركون عنـها عـام ا ديبية- ومع ذلك يقول ا تعا بنفسه: إِنْ شَاءَ ا ، -مع أن ا شيئة ا طلبة له وحـده- و هذا -كما يقول الشيخ- تأديب من ا لنبه ولأمته، على أن ذلك لا يكون إلا شيئة وإرادته¹.

اثال الثاني :

وهو ذكر ا تعا لمود أهل ا نة ا نة، وأهل النار ا نة و كلا النوع من ا لمود، يؤكد ا شيئة والاستثناء، حيث يقول تعا كليهما: (خَالِدِينَ فِيهَا مـ ا دامـت السـماوات والأرضـ إلا ما شاء ربـك) (هود: 107 و108)، ففي هذا السياق بـ الشيخ بـ أن الاسـثناء با شيئة؛ ليس على حقيقته، إذ را يفهم البعض منه أنه قد يـأ زمان تف فيه ا نة وتفـ فيه النار²، «إـ ا قوله: (إلا ما شاء ربـك)، ذيب لنفوس اؤمن وتربية م، وملء قلوب م، حـ يعلموا أن ذلك ا لمود، إـ ا هو شيئة ا ، ولو شاء ما فعل، ليس بـورا أو مكرهـا أن يتـرك أصحاب ا نة ا نة خالدين، أو أهل النار ا نة خالدين فيها أبدا، أو عاجزا على إفناء ا نة أو النار إـ ا مشيئة اقتضت، وهذا سر هذه ا شيئة»³.

وقد صـ الشيخ رة الآيات الـ ساقها ا شيئة، مناسبة الآية 24 من سورة الكهف، بقوله: «فمجموع هذه الآيات تركـز وتقوي قلب اؤمن تفويض الأمر إـ ا»⁴.

ذا ا نهج العملي يطرح الشيخ بيوض صفة ا شيئة، ا عل اؤمن ا يفوض كـل أمـوره وشؤونه لإرادة ا تعا -بقلبه ولسانه-، دون أن يلغي إرادته الشخصية فيما كُلف به وابتلي فيه.

المبحث الثاني: الصفات الفعلية

¹ - (م.س)، ص 131.

² - (م.ن).

³ - (م.ن).

⁴ - (م.ن)..

190

فحسب، وليس رزق الأرض هو النبات فقط، كما سب ذلك بعض الناس¹، بل رزق الله أعظم من ذلك بكثير، فمن أرزاق السماء: الأشعة المنبعثة من الشمس والقمر والكواكب الأخرى، والحرارة الموهجة منها أيضاً، فلولاً تلك الأشعة والحرارة ما نبت على الأرض نبات، ولا استطاع أن يعيش على ظهرها حيوان، أو أن تتكون جوفها معادن وطاقات²، «ما ينبت الأرض من تلاف النباتات، وما ينبع منها من ماء، وما يعيش فوقها من حيوان، وما يرج من بطنها من معادن، كل هذا رزق من الأرض»³.

وقد تطرق الشيخ بيوض إلى الحكمة من كون الله تعالى هو وحده الرازق لجميع المخلوقات. كما وصفها؟! ذلك - كما به الشيخ - لأن المخلوقات لا تعيش على الأرض إلا نسكنها، تعد وحدها بالأيام! لا صيها إلا خالقها، ولا يعلم ما يليق بغذائها ورزقها - مودة حيا - إلا خالقها - جل شأنه - إذ هي لا تتغذى بنوع واحد من الغذاء، بل قد يكون ما يتغذى به بعض المخلوقات سبباً وفاء الأخرى، كالسم الذي مله العقرب جوفها هو سبب لوفاء الإنسان لو دخل جوفه؟⁴.

وبصف الشيخ قول رزق الله وضمانه لكل المخلوقات، بقوله: «والأرزاق تصل إلى المخلوقات بطرق متشابهة لا يعلمها إلا الله، يوصلها إلى أيتان قعر البحار، وإلى إوام وأشجار أحواف الأرض، والطيور أجواء الفضاء، والإنسان إلى سعيه الواسع الشرق والغرب»⁵. هذه الطريقة الواقعية مد الشيخ بيوض، يشرح صفة الرزق، إذ يقول اهتمام الله بخلقها الاصطلاحية بقدر ما اهتم بتوضيح لميات تلك الصفة آفاق الأنفس والكون، ولفت العقول إلى التأمل فيها، ما يستشعر عظمة الله والقلوب، ويثبت الإيمان به وبصفاته.

2/ الحكمة من وصف الله تعالى نفسه بأنه "الرازق":

من الأصول الثابتة أنه: لا رازق إلا الله، كما أنه لا خالق إلا الله، فهو تعالى اتفرد به الملق

¹ - نفس سورة النمل: ص 141، نفس سورة سبأ: ص 233-234.

² - نفس سورة النمل: ص 141، نفس سورة سبأ: ص 233-234.

³ - (م.س)، ص 234.

⁴ - نفس سورة العنكبوت: ص 250.

⁵ - (م.س)، ص 251.

والرزق - كما ذكرنا عن الشيخ سالفا-، لكن من جهة أخرى د ا تعا يصف نفسه بعض الآيات بأنه خ الرازق، فما ا كمة من هذا الوصف؟ أو ما هو وجه ا مع ب القضية ؟. لقد تطرق الشيخ إ ا كمة من ذلك، مناسبة نفس ه لآيت : الأو / قوله تعا : (أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازق) (المؤمنون: 72)، أما الثانية/ فقله تعا : (ومـ آ أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازق) (سبا: 39).

أما وجه ا كمة الذي ذكره الشيخ، فهو أن صفة الرزاق يستعملها البشر بعضهم لبعض، وأن اللغة قد صحت بذلك، فيقال فلان رزق فلانا إذا أعطاه شيئا، لذلك قال تعا شأن نفس ه: "وهو خ الرازق"، ووجه التفضيل يكمن أنه تعا يرزق من خزائنه ال لا تنفـ ذ، ويعطـ ي تفضلا؛ بغ حساب ولا سابق عمل أو طاعة، إذ ضمن أرزاق عباده قبل أن يصلوا أو يصـ وموا، كما قال تعا ¹: (وما من دابة في الأرض إلا على الله يرزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتابٍ مبـ) (هود: 6)، بل ويرزق الناس وهم منهمكون اعاصي² و الكفر. أما العباد فهم لا يرزقون بعضهم بعضا إلا ازا التعب، فإذا أعطي أحد رزقا على يد آخر - قطعام أو شراب- فهو ا قيقة رزق ساقه ا الق له - كما ذكر الشيخ - ومـ ا ا خلا- وق إلا واسطة وآلة موصلة، وضرب الشيخ مثلا لذلك، وهو أن ا رء إذا أطعم أباه أو أمه، فلا يس هـ و الذي خلق م الرزق، وإ ا ا تعا هو الذي بعث إليهما الرزق على يد ابنهما، كما أن هـ ذا الابن بدوره يرزقه ا على يد آخرين وهكذا، وما من رزق يرزقه ا لعباده؛ إلا و ر على أيـ د كثة ويطوف حول أوطان عديدة، ح يسوقه إليهم³.

هذه هي أوجه تفضيل ا ذاته على غ ه؛ صفة الرزق - كما ذكرها الشيخ - وقد ختمها بيان ا قصد من ذكرها فقال: «ولذلك فا تعا هو الذي يستحق الشكر أولا وأخ ا، لأنه خ الرازق»⁴.

3/ سر تفسيم الأرزاق ب العباد !!

¹ - نفس سورة سبا: ص 298-299، وانظر أيضا: نفس سورة المؤمنون: ص 223.

² - (م.ن).

³ - نفس سورة العنكبوت: ص 250.

⁴ - نفس سورة سبا: ص 299.

لقد تطرق الشيخ نفسه إ قضية تقسيم ا للأرزاق ب عبادته، على أي مقياس يتم؟، إذ أنه ا تشهده البصائر ا ياء، أن الناس متفاوتون الرزق أيما تفاوت، فما هو أسـاس هـ ذا التفاوت؟ هذا سؤال جوهري، يتناوله الشيخ ترقاً، بل لما يتبغي وراءه من مقصد عملي. وقد أجاب الشيخ عن هذا السؤال ناسبة قوله تعا : (قُلْ إِنْ رِـي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سبأ: 36)، فالآية بيان حقيقة من حقائق صفة الـرزق عند ا تعا ، وهي أنه يوسع فيه ن يشاء من عبادته، ويضيق فيه على من يشاء. وجواب الشيخ عن السؤال هو أن سنته تعا بسط الرزق وتقديره، أو تقسيم الأرزاق، سر اخـتص بهـ وحده، لا يعلمه إلا هو، وكل أرزاق الدنيا -كما وضع الشيخ- من صحة ومال ونفوذ وعلاـم وسلطان...يتضمنه قوله تعا ¹: (نحن قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا) (الزخرف: 32)، فتقسيم اعائش ب الناس وتفاوت م فيه؛ شيء معلوم، لكن كيف هول.

إذ يـد ا تعا -كما ذكر الشيخ موضع آخر- من هم الذين رفعهم درجات، أو الذين أراد أن يعطيهم قليلا، أو الذين أراد أن يعطيهم كذا، كما يـد أبدا أساس التقسيم، أهو على أساس العلم، أم الصحة أم العمل؟ كل ذلك أمر مغيب عن البشر²، ولذلك جاء التعقيب على هذه الحقيقة آية سبأ السابقة³، بقوله تعا : (وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)، أي: لا يعلمون سـر البسط والتقدير الرزق، ولا يأخذ ا برأيهم فيه، ولا يطلب رضاهم به -كما فسـر ذاكـ الشيخ-⁴.

وقد ساق الشيخ أمثلة واقعية -من دون ذكر الأء- يشهدها الداء والقاصي؛ علاـى عـدم وضوح أساس التقسيم الإي للأرزاق، لدى عقول الناس، وقد ذكر الشيخ من ذلك مثلاً؛ أنه كم من عا غزير العلم؛ يطلب الرزق كل مكان، ولا يترك مسلکا لا يسلكه، لكن لا نـيـه إلا

¹ - (م.س)، ص 281.

² - نفس سورة طه: ص 461.

³ - الآية 36 من سورة سبأ.

⁴ - نفس سورة سبأ: ص 282.

بالقطرة؛ قدر ما يسد الرmq¹، «ومن الغريب أن نرى جاهلا ون عاا، أو را نونا ون عاقلا، وقد يكون هذا العاقل هو الذي يوجه الناس ويرشدهم إ الطـرق السـلمية فينجحـون، وإذا استعملها هو نفسه فإنه فق»².

ذه الأمثلة اية الـ لفت إليها الشيخ بصائر مستمعيه، أراد أن يرسخ قلوبم إلا ان بصفة من صفات الكمال وهي الرزق، وأن تقسيمه بـ ا لمق لا يضع أبدا قاييس البشر، وإا هو سر إي، واقصد العملي الذي أراد الشيخ تشيته النفوسـمن وراء تساؤله عن سر التقسيمـ هو إراحة النفس عن حب الدنيا وارص عليها، والإقبال على الآخرة، يقول الشيخ ـ ذا الصـدد: «وإذا كان الأمر كذلك فلماذا العناء والشقاء سبيل الدنيا؟ إا عليك أن تبتغي فيما آتـاك ا الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا»³.

ثانيا/ صفة الرحمة

من أعظم الصفات الإية؛ صفة الرمة، الـ وسعت كل شيء، وملت اؤمن والكافر، والبـر والفاجر، واستوعبت الدنيا والآخرة، وقد اشتق او تبارك وتعا لنفسه من هذه الصفة؛ ا ـ من أبرز أائه اـسـبعد لفظ الالة: اـ و ا: الر بن والرحيم⁴، وجعلهما الديباجة الـ يفتح ا كل سورة من سور القرآن الكر؛ وهي البسملة: بسم ا الر بن الرحيم. ولصفة الرمة متعلقات كثرة، ومظاهر عديدة، ذكرها ا تعا القرآن، وتناوـا الشـيخ بيوض بالتفـسـ والتحليل، نتطرق إ ثلاثة مظاهر من أها وهي:

1. الرمة العامة للخلق أ ع .
2. الرمة الخاصة بأؤمن .
3. رمة العفو عن اقصرين وا ذنب .

1/ الرمة العامة للخلق أ ع :

من ررات ا تعا : رته العامة الـ ملت ا لمق أ ع ، بأن بلغهم رسالاته، عن طريقـق

¹ - نفس سورة سبأ: ص 281.

² - نفس سورة طه: ص 461.

³ - (م.ن).

⁴ - القرضاوي، يوسف: إلا ان وا بآه، ص 243-244.

إرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، دأيتهم إ ما فيه صلاحهم وسعاد م -الدارين، فمن لطفه تعا م أنه يتركهم ظلمات ا هل حائرين، ولا ب أهواء قلوب متخبط ، و يكلمهم إ أنفسهم، إذًا لهلكوا يعا و ا صلحت م حياة، بل زادهم ر ا ب -إنزال الق-رآن عليهم؛ خالدا مستوعبا لكل زمان ومكان، وبعث خا الأنبياء إليهم؛ الذي وصفه تعا بقول-ه: (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالم) (الأنبياء: 107).

وقد تطرق الشيخ بيوض إ هذا اظهر من رة ا ، سياق نفس لقوله تعا : (إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلّوهم أيهم أحسن عملاً وإنا لجاعلون ما عليها ص-عيدا ج-رزا) (الكهف: 7-8)، إذ ب الشيخ أنه من لطف ا بعباده أنه يأخذهم على غرة، وإ ا ن-بهمم إ أنه خلق م الأرض وما عليها من زينة، ليخت هم أيشكرون أم يكفرون، وأنه يدع شيئاً يقرّ م إليه إلا ودعاهم إليه، و يدع شيئاً يبعدهم منه، إلا و ا هم عنه - ا شرع م-¹، وهذه الرة - من جهة أخرى- هي إقامة للحجة عليهم وإعذارا م، كما أعطى الشيخ بذلك مثالا فقال: «... ومن أبلغك وأخ ك بأنك تمتحن وتخت ، ما ترك لك من حجة، وأبلغ الإعذار من تق-دم الإنذار، وهذا لطف من ا ورمة وكرامة؛ وهو الذي يقول: (وما كُنّا معذِر حتى ا نبعث رسولا) (الإسراء: 15)»².

2/ الرة ا اصة باؤم :

قبل أن نتناول رة ا ا اصة باؤم ، نتناول رة ا الأخص بآخر الأنبياء سيدنا مد م - كما يراها الشيخ بيوض- إذ ب نفس ه أن رة تعا بنبيه م لته وعنايته لاحظته من عدة أوجه: فاصطفأه من ب الناس رة إية، واختياره لا للوحي ا ا -مبلغا له- رة إية، وإنزال القرآن عليه رة، و فيظه إياه وتثيته قلبه رة³.

و ناسبة قوله تعا - اطبا نبه-: (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك-يه علينا وكيلًا) (الإسراء: 86)، حلل الشيخ بعمق؛ وجهها من أوجه الرة ا الأنبياء، وه-و تثبت القرآن قلبه يث لا ينسى منه شيئاً، إذ ذكر الشيخ بداية أن ا وعد نبه، بأنه تعا هو

¹ - نفس سورة الكهف: ص 56.

² - (م.ن). وانظر هذه الرة أيضا: نفس سورة الإسراء: ص 201، نفس سورة الأحزاب: ص 388.

³ - نفس سورة الإسراء: ص 168.

ا تكفل بإقراءه فلا ينساه، (سنقرُك فلا تنسى) (الأعلى: 6)، وقد كان الذ حريصا على ريك لسانه بالقرآن وتكراره > يلقيه إياه > يل، وذلك خشية أن يفلت منه حرف أو كلمة؛ فيعاقبه ا على عدم التبليغ، > طمأنه تعا وضمن له معه صدره، ليؤديه للناس كاملا غ منقوص، إذ قال له تعا ¹: (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وُقِرْأَناه قِادًا قِرْأَناه قَاتِيع قُرْأَناه ثُمَّ إن علينا بيانه) (القيامة: 16-19).

ومع كل تلك الضمانات -كما ب- الشيخ- قال ا لنبه p: (وَلِئِنْ شِئْنَا لَنُدْهِبَنَآ-بِالَّذِي أُوحِينَا إِلَيْكَ)، ع: أنه تعا قادر على ألا يل عليه القرآن من الأساس، و ا ك-ان ا قد اصطفاه مبلغا ذا الوحي، فهو تعا قادر أيضا على أن حوه من صدره طة، أو من صدور الناس، فتصبح قلوبهم خاويةً منه، لكن إرادته تعا تعلقت بتثبيت كلامه قلب نبيه، وليس شيء من هذه الأمور واجبا على ا، -كما وضع الشيخ- إ ا هو تفضل منه تعا ومنة ومزية لنبه ²، ولذلك جاء بعد تلك الآية السابقة مباشرة قوله تعا: (إلا رحمةً من ربك-ك-إن قَضَ-لَهُ ك-انَ عَلَيْكَ كِ-ا) (الإسراء: 87).

أما رة ا ا اصة باؤمذ -عموما- فلها أوجه عديدة، تعرض إليها الشيخ تفسه ه، من بينها صلاة ا وملائكته على اؤمذ ال ورد ذكرها قوله تعا: (هو الذي يصلي على-يكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمومنين رحيمًا) (الأحزاب: 43)، فق-د اعت الشيخ صلاة الملائكة؛ فضلا كبا ومنة عظمى ذه الأمة، فهؤلاء الملائكة م-ع فض-لهم وشرفهم عند بارئهم، يأمرهم ويأذن م بأن يصلوا على عباده اؤمذ !، وتفسه ه-ذه الصلاة اعتمد فيه الشيخ ³ أثرا نسبه إ ابن عباس ؓ وهو قوله: «الصلاة من ا الرة، وم-ن الملائكة الاستغفار» ⁴، إلا أن الشيخ اعت تفسه صلاة ا بالرة، هو تقريب للمع إ أفهام العامة، وإلا

¹ - (م.س)، ص 165.

² - (م.س)، ص 165-166.

³ - تفسه سورة الأحزاب: ص 382.

⁴ - د هذا القول منسوباً إ ابن عباس، ووجدنا عند ابن كثر قولان تفسه تلك الصلاة، الأول: الصلاة من ا ثناؤه على العبد عند الملائكة، الثا: الصلاة من ا عز وجلّ الرة، أما صلاة الملائكة فبمع الدعاء للناس والاستغفار م. بن كثر: مصدر سابق، ج 3/ص 654.

فهي ألطاف إية ونفحات ربانية، لا يعلم حقيقتها إلا هو، لا شأن من شأنه¹.
والوجه الآخر لربة المؤمن، هو حام يوم يلقون ر م: (تحتيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كبيرا) (الأحزاب: 44)، فقد قال الشيخ تفس ها: «فإذا ذهب المسلمون وفؤدا إ ر م، فإن ملك الملوك -و اثل الأعلى- يتلقى عباده المؤمن الذين قضوا أعمارهم ألفة شهوا م، وعصيان شياطينهم، و ملوا كل شيء سبيل مرضاة ر م، فإنه يتلقاهم بالسلام، و يذكر كلمة غ ها»².

وقد سجل الشيخ ضوره؛ إعجابه لآوة عبارة (تحتيتهم يوم يلقونه سلام)، فمن رة ا بعباده المؤمن يوم لقائه، أنه ييهم بالسلام، والسلام من ا -كما ذكر الشيخ- يعم كل شيء، فلا خوف عليهم ولا حزن، ولا عذاب ولا نصب ولا جوع ولا عطش³، فإذا قال ا لعباده حينها "سلام عليكم" اطمأنت نفوسهم بأ م لن يروا بعد ذلك سوءا أبدا⁴.

13 رة العفو عن اقصرين واذنب :

من رات ا على خلقه اوزه وعفوه عن اقصرين عبادته، واذنب عصيته، أم ا اقصرون عبادته، فاقصود م عموم ا لى ح المؤمن منهم، وتقص هم من جهة عدم معرفتهم بر م وكمال صفاته حق اعرفة، وعدم طاعتهم له حق الطاعة، مقابل إحسانه إلبهم وإسباغ نعمه عليهم ظاهرة وباطنة، ورتة تعا م تتمثل عفوه عن تقص هم.

وذلك ما تطرق إليه الشيخ بيوض على أعقاب تفسه للآية الأولى من سورة سبأ: (الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما يزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور) (سبأ: 1-2)، والآيتان ذكر الأوصاف الإلية العظيمة، كسعة ملكه وسلطانه، وإحاطة علمه بكل شيء، واستثنائه بما مد وحده، وجاء تذييل الآية الثانية بوصفي الرية والغفرة، (وهو الرحيم الغفور)، وهنا توقف الشيخ ببيان مناسبة هذا التذييل ا قبله، وإا ما يش إلبه م-ن

¹ - نفس سورة الأحزاب: ص 382-383.

² - (م.س)، ص 391.

³ - (م.ن).

⁴ - (م.س)، ص 393.

معاني¹.

قال الشيخ بيان اناسبة: «فما من إنسان أينما كان، إلا ويرى ويعلم بعـض مـا يـلـج الأرض وما رج منها، وبعض ما يـل من السماء وما يعرج فيها، ولكنه لا يقدر ا حق قدره، ولا يطيعه حق طاعته، ولولا أن ا غفور رحيم لأهلك العباد كلهم، اؤمذ ، إذ مـا هـي نسبة عبادتنا إـ ما ب علينا و ا ؟»²، وكم هو مقدار دناله مقابل جزيل آلائه وأفضاله. وقد أشار الشيخ بدقة إـ وجه تلك الـة الربانية وعظمتها، أ لا ضع قاييس البشر. الذين يعاملون بعضهم بعضا باثل، فقال: «لو كان ا تعا اسب العباد سب ما أنعم عليهم، فإن عبادة إنسان -لو عاش عمر نوح- لا تساوي نعمة واحدة طة من اللحظات، فضلا عن العمر كله، فالآية تش إـ التجاوز عن التقص جنب ا»³.

فا تعا -كما يد الشيخ- يعلم ما البشر من تقص وقصور، كيـف لا وهـ و الـذي خلقهم، لكن ر ته سبقت غضبه -كما جاء ا ديث⁴- ور ته هـ ذه ومغفرة هـ مشـ روضة بالتقوى -كما ذكر الشيخ- فهي للمتة ، الذين تأملوا آيات ا فعرفوه وآمنوا به، واجتهدوا طاعته؛ سب وسعهم وطاقاتهم⁵، وذلك مصداقا لقوله تعا : (ورحمتي وسعت كل شـيء فسأكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين هم بـئياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي... (الأعراف: 156-157).

فر ته تعا هذه -كما بـ الشيخ- تتجلى أنه لا اسب عباده اتق على مـا فـوق طاقاتهم، وإ ا يتفضل عليهم بتقبل اليس والعفو عن الكثر ، وإاثبتهم بالأجر ا زيل⁶.

¹ - نفس سورة سبأ: ص 19.

² - (م.ن).

³ - نفس سورة سبأ: ص 20.

⁴ - ا ديث رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على اء... رقم 6872، «...عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي». ورواه مسلم، كتاب التوبة، باب سعة رة ا تعا وأا سبقت غضبه، (دون رقم).

شركة الامج الإسلامية الدولية: موسوعة ا ديث الشريف، الإصدار الثا ، (1991-1997).

⁵ - نفس سورة سبأ: ص 20.

⁶ - (م.ن).

وأما النوع الثالث من رة العفو، فهي رة تعا با ذنب العصاة، اتمثلة مـرحلة :
الأو ؛ إمها م وعدم تعجيل العذاب مـ. الثانية؛ التوبة عن التائب منهم، وذلك ما سنرى تصور
الشيخ بيوض له، بالتفصيل.

أ/ مرحلة الإمهال وعدم تعجيل العذاب:

من كرم ا تعا على عباده، أنه ليس من سنته أن يؤاخذ كل واحد منهم جرد أن يرتكب
ذنبا -أي ذنب- ويعجل له العقاب تلك اللحظة، بل هله ولا يهمله، ويرخي له العنان و دله
الأجل رة به، وذلك ما جاء ذكره عدد من الآيات، كقوله تعا : (وربـك الغفور ذو
الرحمة لو يواخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه مؤثلاً)
(الكهف: 58)، و ذات الرة جاء قوله تعا : (ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا مـا ترك
على أظهرها من دآية ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان يعـاـده
بصـا) (فاطر: 45).

والشيخ بيوض -ر ه ا - طالما فصل مظهر الرة ذاك، سواء تفسه للآيات ا شهـة
إليه من قريب -كالآية السالفة - أو الآيات ال تش إليه من بعيد، كقوله تعا -حـ دـا
نبه إ تذكر اشرك صدر القرآن-: (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) (الفرقان: 6)، وهذا رد على مشركي قريش؛ اسـ تهزئ بـالذ وكتابـه
(القرآن)؛ الذي وصفوه بأنه أساط الأول اكتبها، وأنه إفك افتراه.

وقد توقف الشيخ عند ذيل الآية "إنه كان غفورا رحيمًا"، متسائلا عن مناسبة وصف ا تعا
نفسه با غفرة والر ه؟ فأجاب الشيخ بأن مقام ا ديث عن خطر شرك هؤلاء، يقتضي إخبارهم
غفرة ا ور ته، أنه لو شاء لعجل م العقوبة جرد أن ينطق أحدهم بقوله: (إن هـ ذآ إـلآ
إفك افتراه) (الفرقان: 4)، أو قوله: (أساط الأول اكتبها فهي تملأ عليه بكرة وأصـيلاً)
(الفرقان: 5)، فيخرص لسانه، أو يرل عليه صاعقة من السماء، أو يتليه بأشد أنواع البلاء، لكنه
تعا غفور رحيم، ووجه تلك الر ه-كما بـ الشيخ- أن ا هـ لهم ليتوب منهم من يتوب، أو
يخرج من أصلام من يوحد ا ويعبده، كما وقع فعلا التاريخ، إذ خلف الوليد بن ا غـة
"خالد"، وأبو جهل "عكرمة"، والعاصي "عمرو"، وكل هؤلاء من أبطال الإسلام وقادة فتوحاته،

وناشري تعاليمه أقطار الأرض¹.

و مناسبة قوله تعا : (وربـك الغفور ذو الرحمة لو يواخذهم بما كسبوا...) (الكهـف: 58)، بـ الشيخ سياق ذكر تلك الـة، وهو وصف الكفرة -استهزئـ بالـ p وأصـحابه، ا تقريـن مـ وأنـ ذو م تلك تستحق التعجيل بالعذاب، لكن ا غفور رحيم، يؤاخذهم نـمـ، لكن مؤاخذته م لطف -كما ذكر الشيخ- هذا اللطف هو الإمهال وإرخاء العنان م زمـا معينا لـلهم يرجعون، وقد يقصر هذا الزمن وقد يطول، كما طال على عهد نوح (عليه السـلام) الذي لبث دعوة قومه ألف سنة إلا سـ عاما، ويتمثل الإمهال إطالة حيـا م، وإسـ باغ النعم عليهم؛ من عز وجهه وسلطان، وكل هذا لا يهـم لأ م لن يفلتوا من قبضة ا ؛ الذي بيـده النواصي والأقدام، ولأن م موعد آتٍ لا مفر م منه، و ذا يتحقق وصف ا تعا نفسـه با غفرة والـة².

و مناسبة قوله تعا : (ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة... (فاطر: 45)، قال الشيخ: «ولو أن كل أحد عصى ا ، يهلكه يـنه ما ترك على ظهر الأرض من دابة، لا إنسانا ولا حيوانا، يهلك الناس بسبب معاصيهم، ويهلك ما الأرض يـعا من دابة، بسبب هلاكهم [أي الناس]»³.

وقد بـ الشيخ أن خلقه سنن، ولنفاذ أحكامه أزمنة وأمكنة وكيفيات معنية، إذ لا يتعجل لتعجل عباده، (ولو يعجل الله للـاس الشـر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم) (يونس: 11)، لأن القوة بيده، لا يعجـزه شـيء، ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة، لكنه تعا لمـه ور ته يؤخر عباده إ أجل مسمى عنده؛ باعتبار الأفراد واماغات، فلكل فرد أجل ينتهي إليه ويصـ إ ربه، ولكل دولة وحضارة آجال ددة الـ تنتهي عندها⁴.

وبعقب الشيخ على آية فاطر السابقة، ببيان متعلق رة ا -الـ ن بصـددها- فيقول:

¹ - نفس سورة الفرقان: ص 39.

² - نفس سورة الكهف: ص 253-255.

³ - نفس سورة فاطر: ص 555-556.

⁴ - (م.س)، ص 556-557.

«وهكذا اقتضت حكمة الله تعالى أن لم بعباده، ومن تتمتع بـ الله، نبارزه بالعاصي ولا يعجل لنا العقوبة، وهذا فضل منه ورعة، ولكنه فضل ورعة من وقته الله إيا التوبة بعد ذلك، أما من اغتر وطن أن الله راض عنه وهو يعصيه... فالويل للويل له»¹، ورعة التوفيق إيا التوبة هي المرحلة الثانية التي سنتحدث عنها بعد ذلك.

ب/ مرحلة التوبة عن التائبين:

من رعة الله الواسعة، أنه تعالى لا يتعاطمه مغفرة ذنب؛ ارتكبه عبده مهما كان كبيراً²، فيغفر الذنوب، ويتقبل التائب إليه، ولو جاء أحدهم لئلا الأرض خطايا، على شرط أن يتوب منها قبل الغرغرة توبة نصوحاً، - كما ذكر الشيخ³ - وللتوبة شروط بسطها القرآن مواضع ٤-٥، واستفاض شرحها العلماء، كما فعل ذلك شيخنا مواضع شديدة من تفسيره، وليس المقام مقام ذكرها.

وأيضاً لسعة الرحمة الإلهية، مغفرة كل الذنوب وتقبل كل الذنب، بل الشيخ أن الذنب يرعه الله، «ولو كان واحداً من الذين كفروا به وأذوا له شريكاً وصاحبة وولداً، وكذب بأنبيائه ورسله، كحال الكثر من الصحابة ٨٢، الذين كانوا يعبدون الأصنام ويؤدون البنات، ويرتكبون الفواحش، أسلموا وتابوا وأنابوا، فأوهم الله إليه، وجعلهم أفضل خلقه، إذ اختارهم أصحاباً لآخر وأفضل رسله، فهل هناك رعة أكبر من هذه؟؟»⁴.

هكذا أتينا على تصور الشيخ بيوض لبعض وأهم الصفات الإلهية - الذاتية والفعالية -، لننتقل بعدها إلى الصفات الإلهية أو التشابهية، لننظر تصور الشيخ الله؛ وذلك ما سنتناوله في بحث الثالث - إن شاء الله -.

المبحث الثالث: الصفات المتشابهة

أولاً/ ثبوت الصفات المتشابهة والخلاف في فهمها

وردت نصوص الكتاب والسنة صفات الله؛ هي من نوع التشابه الذي خفي معناه

¹ - (م.س)، ص 559.

² - تفسير سورة الفرقان: ص 253.

³ - (م.س)، ص 203.

⁴ - (م.ن).

وأوهم بظاهره ما قامت الأدلة على نفيه، وهي صفات ليس من شأن العقل الاستقلال بإدراكها، فمصدر العلم ا هو ا الشرعي، ولذا سميت أيضا بالصفات اية، واما ما ثبت حق ا تعا ؛ ما ظاهر لفظه أعضاء وأوضاع مادية، كال تسند للإنسان¹، وم-ن ه-ذه الصفات: اليدان كما قوله تعا : (بل يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء) (الأنعام: 64)، والوجه، كما قوله: (وبقي وجه ربك ذو الجلال والإكرام) (الرحمن: 27)، والأصابع كما اديث: «إن قلوب آدم كلها بإصبع من أصابع الرحمن»²، والاستواء، كما قوله تعا : (الرحمن على العرش استوى) (طه: 5)، والاول، كما قوله p: «يرى ل ا تعا إ السماء الدنيا كل ليلة عة، ويقول: هل من تائب فأتوب عليه»³.

وانطلاقاً من وحدانية ا تعا و الفقه للحوادث، وته عن مشاة خلقه، وبالنظر إ م-ا مله تلك الصفات ظاهرها من مشاة ا لى، فإن ديد مفهومها اللائق به تعا ، كان مناط خلاف شديد ب علماء العقيدة، ا نتج عنه وجهات نظر تلفة، تعود ملها إ وجه-ة أساسية : وجهة التفويض ووجهة التأويل⁴.

1/ وجهة التفويض:

هي وجهة أهل الأثر من السلفية، الذين ذهبوا إ إثبات ما أثبت ا لذاته من تلك الصفات، وعدم صرفها عن ظاهرها بأي تأويل، مع تيهه تعا عن مشاة ا وادث تلك الصفات، وتفويض العلم بكيفيا ا وحقائقها إ ا تعا ، لقصور الإنسان عن إدراكها⁵. وقد روى أبو داود الطيالسي مسألة الصفات اية؛ عن اعة م-ن السلف أ-م «لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون اديث ولا يقولون: كيف، وإذا سئلوا بالأثر»⁶.

¹ - البوطي: (م.س)، ص 137، النجار: (م.س)، ص 158، وانظر أيضاً: مد عبده: (م.س)، ص 39.

² - رواه مسلم، كتاب القدر، باب تصريف ا تعا القلوب كيف شاء، رقم 4798، موسوعة اديث الشريف.

³ - رواه البخاري، كتاب ا معة، باب الدعاء الصلاة من آخر الليل، رقم 1077، «...عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا > يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» موسوعة اديث الشريف.

⁴ - النجار: (م.س)، ص 158-159.

⁵ - انظر: ابن أ العز، مرجع سابق: ج 1/ص 260-263، البوطي: مرجع سابق، ص 138، النجار: مرجع سابق، ص 159.

⁶ - ابن أ العز: مرجع سابق، ج 1/ ص 262-263.

2/ وجهة التأويل:

وهي وجهة الإباضية والأتريدية والأشاعرة والمعتزلة والشيعة، وقد ذهب هؤلاء إ أن إمارار تلك الصفات على ظاهرها يلحق النقص به تعا ، ولذلك ينبغي تأويلها ما يضعها على نسق واحد مع النصوص الكمية التي تعا عن مشاة الملق، استعمالاً ذلك لقانون اللسان العرفي فيما يسمح به من التأويل حسب قواعد الماز، وعلى سبيل المثال: فإن الإستواء يكون معناه الاستيلاء والغلبة، والأء معناها العناية والفظ، والإصبع المديث؛ والإرادة والقدرة¹. وصوص منهج الإباضية التعامل مع الصفات المية؛ يقول الشيخ فرحات الم-بي: «فلسفة الإباضية فهم ما دل ظاهره على التجسيم من القرآن والسنة؛ واضحة غاية الوضوح، إذ تعتمد على سياق النص، وعلى ما اللغة من المازات والاستعارات»². وبعد هذا نتساءل؛ هل كان الشيخ بيوض على طريقة مذهبه التعامل مع الصفات المتشابهة، أم كانت له وجهة أخرى؟

ثانياً/ موقف الشيخ بيوض من الصفات المتشابهة

إن موقف الشيخ بيوض من الصفات المتشابهة يندرج تحت موقفه العام من النص المتشابه؛ والذي درسناه الفصل الأول من هذا البحث، حيث رأيناه يعترف بتشابه ضمن أصعب مواضيع القرآن ثامناً ومعاملاً، خاصة تلك التي تتعلق بشؤون الماعا، إذ يغلق الشيخ باب التأويل أماما، لكنه دعا إ المذر والتورع عند ولوجه، لكون الموضوع الذي يتعلق به؛ من الغيب الذي ينبغي التقيد فيه بالشرعي، ذلك لقصور العقل عن إدراك حقيقته³. وقد جاء موقف الشيخ من الصفات المتشابهة -مثل موقفه العام من التشابه- موقفاً وسطاً، يتأرجح بين وجهة التفويض ووجهة التأويل، وكن تلخيصه النقاط الآتية:

(أ) التمسك بعقيدة السلف كل ما يتعلق بشؤون الماعا وأما صفاته وهي: تفويض

¹ - انظر: أطفيش: **الذهب المص**، ص8. البغدادي: **كتاب أصول الدين**، ص110-114. أبو الماعا عبد الملك: **كتاب الإرشاد إ فواعل الأدلة أصول الاعتقاد**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ط1: 1405هـ/1985م، ص146-153. البوطي: مرجع سابق، ص140-141. النجار: مرجع سابق، ص160.

² - المبي: مرجع سابق، ج1/ص274.

³ - انظر: موقف الشيخ بيوض من تأويل التشابه؛ الفصل الأول من البحث، ص30-32.

أمرها وحقيقتها إ ا ا تعالى¹ ، باعتباره منطلقا عاما.

(ب) ا كان ا تعالى قد أخذ بشؤونه وصفاته كتابه -وقد أنزله لفهمه والتدبر فيه-
فللعلماء حق البحث شؤونه تعالى ؛ قدر استطاعتهم، للوصول إ شيء تطمئن إليه النفس -إن
أمكن- وإلا قوضوا الأمر إ ر م²، لأن اراء لا ملك ا رية التامة التأويل، كما يصنع بكلام
البشر³.

(ج) ينبغي اعتماد اللغة تأويل الصفات ا تشاء، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، يس -تعمل
الكنايات وا ازمات والاستعارات، وكل ما تستعمله العرب لغتهم لتقريب اعا إ الأفهام⁴،
وذلك ما استعمله القرآن آيات الصفات و غها من الأمور الغيبية.

(د) ألا يؤدي تأويل الصفات إ سيم ا تعالى ، أو تحييزه مكان أو زمان⁵، لأن ا قصود
من التأويل هو تيه ا و عن كل نقص.

(هـ) ألا يعتقد تأويل من تأويلات الصفات؛ أنه ا ق و غ ه باطل، لأ ا كلها اجتهادات
تملة للخطأ والصواب⁶، وبالتالي لا وز تضليل الآخر أو تكفه، إذا استو رأيه شروط التأويل
الشرعي.

وليتضح -بصورة أدق- موقف الشيخ من صفات ا ا تشاء، نعرض فيما يلي بعض النماذج
من نفسه ه لآيات الصفات، لننظر كيف يتعامل معها.

¹ - نفس سورة القصص: ص 359.

² - نفس سورة السجدة: ص 30.

³ - (م.س)، ص 36.

⁴ - نفس سورة طه: ص 225، وانظر أيضا: نفس سورة الكهف: ص 158.

⁵ - نفس سورة السجدة: ص 37.

⁶ - (م.ن).

ثالثا/ نماذج من تفسير الشيخ بيوض لآيات الصفات

1/ صفة النفس:

جاءت هذه الصفة قوله تعا : (واصطنعتك لِنَفْسِي) (طه: 41)، اطبا نبيه موسى عليه السلام وذلك على أعقاب ذكر مشاهد سريعة من تاريخه وقصة حياته، وما لامسها من ألطاف إلهية، حيث قال تعا قبل تلك الآية: (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ تَتَرَفَّعُ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَوَقَّلْتُ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ) (طه: 40).

والشيخ تفسر هذه لصفة النفس "لِنَفْسِي"، يتكلف بيان ماهيتها، بل أو ما يوحي إليه التعب من ظلال ومعان؛ مستعينا بمهود العرب الكلام والبيان، فقال تفسر (واصطنعتك لِنَفْسِي): «اتخذتك صنيعا» فيه مع الاختيار والاصطفاء، يقال: اصطنع فلان فلانا، إذا أحسن إليه وضمه إليه، وجعله من خاصته، ومن جلسائه وأقربائه. وأنت يا موسى عمرك ما غمرتك به من الإحسان والفضل، لتكون خادما، لا لنفسك ولا لأهلك، ولا لأحد آخر، وهذه الآية الإكرام، أعلى ذراه¹.

استأنف الشيخ توضيح بلاغة التعب القرآني، ودقة الوصف لتلك الصفة الإلهية وإعلاء شأنه، إذ قال: «يقل له: واصطنعتك لرسال أو لأمر، وإما قال: "لِنَفْسِي" وهذا التعب ما فيه من عمق البنية والإكرام، وفيه أيضا مع قوم: ومن شرط كل شرط جزاء، فكأن قوله تعا: (واصطنعتك لِنَفْسِي)، نتيجة لقوله: (وَقَتْنَاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ) لتصنع عبدا، متضرعا، يفكاه، وتنفيذ أمرا من تلك اللحظة النبوية وأرسى فيها².

هكذا يد الشيخ بذل وسعه بيان ما توحى إليه صفة النفس، من معاني الرقة والفضيلة الإلهية، تأكيداً لكمال صفاته تعالى، وتوحيها له عن مشاة خلقه تلك الصفة، أو فهمها على ظاهرها.

¹ - نفس سورة طه: ص 280.

² - (م.س).

2/ صفة الع :

وردت هذه الصفة القرآن بصيغة ا فرد، كما قوله تعا - اطبا نبيه موسى - :
(وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي) (طه: 39)، ووردت أيضا بصيغة ا مع، كما جاء الآلة ال كي فيها تعا وحيه لنوح ص بصناعة السفينة، (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا) (اؤمنون: 27).

و مناسبة تفسد الشيخ للآلة السابقة، أول صفة "أعيننا" با فظ والرعاية، حيث قال: «إذن ا تعا لنوح صناعة الفلك وتعهد له فظه، إذ لو استطاع قومه لأفسدوا عمله، فهو إذن يصنع السفينة، وء ا ترعاه و فظه»¹.

وبنفس الصيغة: صيغة ا مع، وردت صفة الع قوله تعا - يصف حال سفينة نوح ف- وق الطوفان-: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا) (القمر: 14)، وقال الشيخ تفسد الآلة: «وهنا يتجلى حفظ ا ذه السفينة ال صنعها نوح من ألواح ودر، وسط هذه الأمواج العاتية، ولذلك ء ا تعا عن هذا ا فظ بقوله: " ري بأعيننا" (القمر: 14)، ري فطنا ورعايتنا... عناية ا رعنها وحفظتها، > أراد ا ا الرسو على ا ودي»².

3/ صفة الوجه:

وردت صفة الوجه مثل قوله تعا - اطبا نبيه: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) (الكهف: 28)، فقد أول الشيخ إرادة وجه ا ، بطلب رضاه، حيث قال تفسد "يريدون وجهه": «يدعون ر م ويذكرونه ابتغاء لوجهه، ع لا مطمع م عرض من أعراض الدنيا، وليسوا مدفوع بشيء آخر... وإا غايتهم وجهه ا ورضاه، واستعمال كلمة: وجه ا ؛ معروف، نقول: أعط كذا لوجه ا ، أسألك لوجهه ا أن تفعل كذا، و اراد طلب رضا ا تعا ، وطلب ا لة عنده»³.

نلاحظ هذا التحليل؛ أن الشيخ ينفي عن الأذهان توهم ا ارحة، صفة "وجه ا " بيدان أا تعب ازي عن إخلاص القصد ، والشاهد على ذلك استعمال العامة حديثهم اليومي،

¹ - نفس سورة اؤمنون: ص 129.

² - نفس سورة الأنبياء: ص 113.

³ - نفس سورة الكهف: ص 158.

وهم لا يتصورون أذها م أبدا ا اراحة حقّه تعا ، لا اتكلم ولا استمع.

14 صفات: اليد والقبضة واليم

ناسبة قوله تعا : (وما قَدروا الله حقَّ قَدْرِهِ والارض جميعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسموات مطوَّياتٌ يُبْمِئُهُ) (الزمر: 67)، أخذ الشيخ تأويل صفات: اليد والقبضة واليم ؛ على أ ما تعب ازي عن قدرة ا وإرادته، حيث قال تفسر الآية: «كل هذا الاتساع [أي الاتساع الكو] يطوى كما تطوى الصحيفة، ويكون بيم ا ، وتعا ا عن اليد والقبضة واليم ، وإا ا اراد هي قدرته، وأنه هو الذي ملك هذه الأجرام وهذه ا خلوقات على يد-معتها، وهي مسيرة بقدرته وإرادته»¹.

15 صفة العرش والاستواء عليه:

ورد القرآن عدد من الآيات تصف ا بأنه صاحب العرش، كقوله تعا : (قَسَمَ بِحَاجَاتِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنبياء: 22)، وقوله: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (النمل: 26)، كما وردت آيات أخرى، تصف ا تعا بأنه على العرش استوى، كقوله تعا : (الرحمن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى¹) (طه: 5)، وقوله: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَيْءٍ فِيعِ أَقْصَا تَتَذَكَّرُونَ) (السجدة: 4).

وقد أول الشيخ "الاستواء على العرش" عند تفسر ه لثلاث سور: طه والفرقان؛ اللتان أول فيهما الاستواء تأويلا إاليا، و تفسر ه لسورة السجدة أوله تأويلا تفصليا، وس-نعرض - بالترتيب- تأويله للاستواء على العرش ا واطع الثلاث، لنرى مدى تطور فهمه وعرضه لتلك الصفة ا تنشأة.

(أ) تأويل الاستواء في تفسير سورة طه:

قال ا تعا تلك الصفة: (الرحمن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى¹) (طه: 5)، وأو -الش-يخ: «بالقهر والغلبة والاستيلاء على الملك كله»²، وب أن «الاستواء على العرش، عبارة مألوفة على

¹ - نفس سورة ا ومنون: ص 245-246.

² - نفس سورة طه: ص 225.

لسان العرب، والقرآن جاء بلسان عرب مبدئ، يستعمل الكنايات وا ازمات والاستعارات وكل ما استعمله العرب لغتهم تقريبا عا، فهم يطلقون على املك إذا كان متمكنا من ملكه: استوى على عرشه، فلا تقع حركة ولا سكون إلا بإذنه»¹.

يعقب الشيخ على هذا التحليل متسائلا، و يبا ذات الوقت: «فمن ا هيمن و اسيطر على الكون كله؟ ا تبارك وتعا؛ الكل قبضته، والكل ت تصرفه... فهـ و علـى العـرش استوى»².

نلاحظ ا سبق؛ أن الشيخ يؤول الاستواء انطلاقا من معهود العرب كلامهـ م وتعاـ ا هم ا ازية، لأن القرآن نزل بلغتهم ويا م، ففسر استواء الرحمن على العرش؛ باستيلائه على ملكه وسلطانه -الذي وسع السماوات والأرض- وهيمنته عليه؛ اما كما تعا العرب عن كملك من ملكه، باستوائه على عرشه، وذلك تقريبا للمع ا الأفهام ليس إلا.

(ب) تأويل الاستواء في تفسير سورة الفرقان:

قال ا تعا تلك الصفة: (الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما - ستة أيام -م استوى على العرش الرحمن قاسأل به خا ا) (الفرقان: 59)، وهنا زاد الشيخ معنى إضاـ افيا تأويله للاستواء بالاستيلاء، حيث ب أن اقصود بالاستيلاء «هو الاستيلاء بالتصرف والإدارة»³، والتدب لشؤون الكون.

أما العرش فقد فوض الشيخ حقيقته إ ا؛ حيث قال: «والعرش هو ذلك ا لمق العظيم، الذي خلقه ا تعا واه عرشا، واه كرسيا، ولكن ما هي حقيقة العرش؟ وما هي حقيقة الكرسي؟ وهل هو شيء وراء السماوات؟ علم ذلك عند ا»⁴.

كل ما الأمر أن الشيخ حاول ديد مكان العرش؛ استنتاجا من ذكر حملة من قبل الملائكة، بعد فناء السماوات والأرض، قوله تعا: (فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً وَحِمْلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدَكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيُومِئُذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ

¹ - نفس سورة طه: ص 225.

² - (م.ن)

³ - نفس سورة الفرقان: ص 202.

⁴ - (م.ن).

والمُلك على أرجائها **ويحملُ عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** (ا لاقة: 13-17)، حيث قال الشيخ عن مكان العرش: «وما تدل عليه بعض آيات القرآن الكر ، أن العرش شيء وراء السماوات والأرض، لأنه الوقت الذي تف فيه السماوات والأرض حمل عرش ا ثمانية»¹.
(ج) تأويل الاستواء في تفسير سورة السجدة:

تفس سورة السجدة، أول الشيخ صفة الاستواء على العرش تأويلاً مستفيضاً؛ ا يفصله تفس السورة السابقة -طه والفرقان-، حيث حاول تقريب مفهوم العرش أولاً، مفهوم الاستواء عليه ثانياً.

وقبل شروع الشيخ تفس الاستواء، صرح -بوضوح- نهجه التعامل مع الآيات المتعلقة بشؤون ا ، وباتشادات عموماً، ويتلخص النهج تفويض حقائقه-ا ا ا أولاً وأخ- ا ،
أولة البحث فيها قدر الاستطاعة للوصول ا ما تطمئن إليه النفس -إن أمكن-، قال الشيخ ذا الصد: «أما الاستواء فحقيقته عند ا تعا ، وهو من شؤونه، لا نتكلم فيه ... والعرش كذلك لا يعلم حقيقته إلا ا تعا ، فكل من كلمة " " و"الاستواء" و"العرش"، من التشابه، وإنه لم-ن الصعوبة ا وض تفس الآيات ا تتعلق بشؤون ا تعا ا اصة به، ولكنه تعا أخ نا ا كتابه، فلنا أن نبحت قدر طاقتنا واستطاعتنا للوصول ا شيء تطمئن إليه النفس إن أمكن-ن، وإلا قلنفوض الأمر ا ا «².

ففي تأويل العرش أولاً، أكد الشيخ على عجز العقول عن إدراك حقيقته و مكان وج-وده، و مقدار عظمتة و امة الذين ملونه، لأن كل ذلك غيب مطلق، وب أن كل ما يزعمه الرواة،³ وصف العرش ووزنه وطوله وعرضه، كل ذلك باطل لا أصل له، لعدم وجود نص من قرآن ولا حديث، يعتمد عليه فهم تلك الأمور، وكل ما يكن علمه عن العرش أنه من خلق ا ، وأنه أعظم من السماوات والأرض؛ كما وصفه تعا⁴: (قُلْ من رب السماوات السبع ورب

¹ - (م.ن).

² - تفس سورة السجدة: ص 30.

³ - انظر الروايات ا رويت وصف العرش عند: الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد مود: روح اعا ، دار الفكر، ب و ت، ط: 1398هـ - / 1978م، مج 6/ص 153-154.

⁴ - تفس سورة السجدة: ص 30.

العرش العظيم) (ا ومنون: 86).

هذا وقد وردت أخبار كتب اديث حول وصف العرش، إلا ا من أحاديث الآحاد ال تفيد الظن -عند الشيخ بيوض وع- ولا ترقى إ درجة اليق الذي تب عليه العقائد، إذ أن مذهب الشيخ بيوض هو عدم الاحتجاج مسائل العقيدة إلا بالسنة المتواترة، إ جانب القرآن -كما رأينا ذلك سالفًا-¹.

ومن تلك الأخبار ما روي وصف العرش بأن له قوائم؛ «...عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفق -ق- إذا أُنـا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش قلأ أدري أفأق قبلي أم جوزي بصعقة الطور»².

فالشخ بيوض إذًا، يعتمد على تلك الأخبار الأحادية تأويل العرش وإا اعتمد على اللغة، وعلى ما يتواضع عليه البشر كلامهم ويستعمله القرآن سياقاته، إذ ب الشخ أن العرش اصطلاح البشر ومعهودهم، يطلق على الكرسي الذي يصنع للسلطان أو الرئيس أو من بيده ال والعقد، وهو الكرسي الذي لمس عليه اكم، ومنه يصدر الأوامر ال تب تنفيذها الدولة، كما ب الشخ أن القرآن استعمل مصطلح العرش هذا ا ع ، ففي سياق اديث عن ملكة سبأ وسليمان، قال تعا -على لسان سليمان وهو يطلب إحضار عرش بلقيس-³: (يآ أيـها الملأ أيـكم ياتيني بعرشها قبل أن يـاتوني مسليم) (النمل: 38)، وقال أيضا: (نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تـكون من الذين لا يهتدون) (النمل: 41).

وهكذا اعت الشخ أنه ا كان ا ع الذي ذكره للعرش مستعملاً الكلام، و ا كان القـرآن قد نزل بأساليب العرب، وقد يسره ا للذكر؛ يث يفهم منه قدر ما يهتدى به، فالنتيجة أنـه تعا جاء بتلك اصطلاحات -أي مصطلحات الآية المتشابهة- وأطلقها على الأمور الغيبية الـ

¹ - أنظر: مسألة تأسيس العقيدة على اليق الفصل الأول من البحث، ص 41-42.

² - رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول ا تعا : وواعدنا موسى ثلاث ليلة...رقم 3136. ورواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول ا ، باب من سورة الزمر، رقم 3168، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

موسوعة اديث الشريف.

³ - نفس سورة السجدة: ص 30-31.

تتعلق با تعالى أو باليوم الآخر، > كن للبشر إدراكها¹، «وإن ا تعالى لئ ل عليائه، و عظمته وسلطانه، ليخاطبنا بلغة نفهمها!»².

كما بـ الشيخ أنه تعالى ملك الملوك، اختار العرش مصدرا لأوامره ونواهيه، وشـؤونه الـ ينفذها خلقه على أيدي من يشاء من جنوده، وأن هذا النظام ا كم يضع له كل ا مخلوقات، فهي مسخرة لإرادة ا الصادرة من العرش، ودليل الشيخ على هذا ا هو سياق تلك الصـفة³ " استوى على العرش"، فقد جاءت بعد قوله تعالى: (الله الذي خلق السماوات والأرض ومـا بينهما في ستة أيام) (السجدة: 4)، وهذا التأويل طبعاً هو رد تقريب للمع إ الأذهـان لفهم شيئاً ما؛ من صفة العرش، وتزداد إ انا ببارئها، وإلا فحقيقته عند ا أعظم من ذلك. أما صفة "استوى" فقد أو ا الشيخ بالاستيلاء، بعد أن نزه ا عن التجسم والتحيز، أي عـن مظنة جلوسه أو حلوله الأمكنة، لأنه تعالى لا يويه الأقطار واهات، وليس سم مصور ولا جوهر مقدر⁴.

ومعتمد الشيخ تأويله هو لغة العرب –كما مر بنا-، إذ استشهد على معـ الاستيلاء؛ بالبيت الشعري الذي اعتاد علماء العقيدة الاستشهاد به⁵، وهو:

قد استوى بشر على العراق من غـ سيفٍ ودرمٍ مهراق⁶.

كما استند الشيخ إ الاستعمال الشائع "للاستواء"، حيث «يقول الناس: استوى فـلان على ا ملكة الفلانية، وليس مرادهم ا لموس على الكرسي، وإ ا أخذ الأمر بيده، وأصبح ملكاً مطلقاً نافذاً الأمر، وكذلك استوى ا تعالى على السماوات والأرض يدبر أمرها، ويدل على هذا ا إسناد التدبـر إليه، وهو ادبر حقاً»⁷، وذلك ما جاء بعد آية الاستواء مباشرة حيث قال تعالى: (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) (السجدة: 5)، فـا تعالى –كما وضع الشيخ - لـق

¹ - (م.س)، ص 31.

² - (م.ن).

³ - (م.س)، ص 32.

⁴ - نفس سورة السجدة: ص 32.

⁵ - (م.س)، ص 33.

⁶ - ابن منظور: مصدر سابق، ج 14/ ص 414.

⁷ - نفس سورة السجدة: ص 33-34.

ا لى وضعه، بل خلقه وهو يدبره كل > ؛ كما تدل على ذلك كلمة " " الآية: (خـق السماوات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش)، وكما تدل على ذلك أيضا الآية: (ألا له الخلق والأمر) (الأعراف: 54)، ال فسر الشـيخ الأمـر فيهـا؛ بتـدبر الخلوقات¹.

وتدبر أمر الخلوقات، وإدارة شؤوا وتسيها؛ لا يتم إلا بعد خلقها—كما ذكر الشـيخـ، فبعد أن تعلقت إرادة ا لى ا لى، فكانت ستة أيام، استوى على العرش يدبر أمرها وفـق سننه، وذلك ما تدل عليه كلمة " "، ال لا تفيد حق ا تعا تراخ ولا ترتيبا زمنيا، وإا هي أمور دت قصى ا كمة، فالق أولا التدبر ثانيا، بتمك كل ما خلق من أداء وظيفته، وفق سنن مقدرة فهو تعا اُسير ذا النظام كله².

وبعد ذلك التحليل العميق لصفة الاستواء على العرش، عقب الشيخ بستمعيه، بيـانـنـسـبـية التأويل وقهم مثل تلك الصفة الإية، فقال: «وهذا قُصارى ما نستطيع أن نقوله للإيضاح والبيان، ويبدو أنكم تصور ا اقصود نسبيا»³.

هذا وبعد أن تبينا رأي الشيخ صفة الاستواء؛ الذي كان يتأرجح فيه ب التفويض والتأويل، ده يتعصب لرأيه، بل سجلنا له موقفا منصفًا من الرأي الآخر—الذي يتمسك بـ التفويض ا لى—وهو رأي أهل الأثر من السلفية، لأ م ما راموا إلا تيه ا تعا، فهم الذين يشتون ما أثبت لنفسه من صفات من غ تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل، وهم الذين روي عنهم الاستواء، مقولة: «الاستواء معلوم والكيف هول»⁴، يقول الشيخ إنصفاهم: «... فنحن لا نضلهم ولا نتهمهم أبدا بأ م مشبهة، فهذا ظلم. هذا وإننا نرعا من علماء أهل السنة، أو من انشق منهم—كالأشاعرة—لا يه ا تعا عن الأقطار والهاات، وعن ا دية والتصـوير، والاسـتقرار

¹ - (م.س)، ص 34.

² - (م.س)، ص 32-33.

³ - (م.س)، ص 33.

⁴ - ا قولة منسوبة إ الإمام مالك بن أنس، حيث روى «أبو الشيخ الأصبها، وأبو بكر البيهقي عن بن قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد ا (المرن على العرش استوى) كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه... قال: الاستواء غ هول، والكيف غ معقول، وإلإن به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا. أمر به أن يخرج». بن تيمية: مصدر سابق، مج5/ص40-41.

مكان، وهذا اُصرح به كتبهم، فهم يهون القوت بها عجيبا، ويفوضون الأمر إليه هذه الأمور الغيبية، وهذا هو الواجب»¹.

6/ صفة رؤية اؤمدا : تعا :

مكن اعتبار هذه الصفة من الصفات اية؛ من حيث أن العلم ا يتوقف على ا الشرعي، ولا مكن للعقل إدراكها بالاستقلال، وكذلك من حيث ما تناولتها الأفهام ورودها ا ي تفويض وتأويل²، فاء معناها وطنية دلالتها، وبالتالي فهي من التشابه.

وورا لاف هذا الصفة؛ يدور حول السؤال التا : هل مكن للإنسان أن يرى ا تعا الدنيا والآخرة؟، وبعد الاتفاق على استحالة رؤيته تعا الدنيا، انشقت الآراء إ وجهات أساسية : رأي يثبت رؤيته تعا الآخرة، ورأي ينفي ذلك³.
* الرأي الأول:

هو رأي أهل السنة يختلف طوائفهم، وقد بنوه على ظواهر نصوص الوحي، من مثل قوله : تعا : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) (القيامة: 22-23)، وقوله p: «إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا [أي القمر] لا تضامون رؤيته»⁴، وأكثر أصحاب هذا الرأي؛ يقولون أن رؤية ا ليست رؤية إحاطة، بل هي رؤية خاصة بأحكام اليوم الآخر، وبكيفية لا نعلم كنهها⁵.

* الرأي الثاني:

ذهب إليه الإباضية واعتزلة الذي نفوا الرؤية؛ تجبا لا تتم إلا بشروط مسوسة؛ من اسم ويز مكان وجهة للمقابلة، وذلك مستحيل وغا جائر حقه تعا، وسم تأييد.

¹ - نفس سورة السجدة: ص 33.

² - النجار: مرجع سابق، ص 161.

³ - (م.ن).

⁴ - رواه البخاري، كتاب اواقيت، باب فضل صلاة العصر، رقم 521. ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم 267. موسوعة اديث الشريف.

⁵ - النجار: مرجع سابق، ص 161-162، وانظر: البغدادي: كتاب أصول الدين، ص 99. وابن أ العز: مرجع سابق،

وجهتهم أدلة نقلية وتأويلات للنصوص ال استدلل ا الطرف الآخر¹.
أما الشيخ بيوض فقد تبني رأي مذهبه ا مسألة، وذلك ما تناوله موضع واحد - ا اطلعنا عليه من تفس ه-، عند تفس ه لقوله تعا : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: 110)، حيث دخل الشيخ إ مسألة الرؤية؛ م-ن مدخل: "لقاء ا" -الوارد الآية-، فذكر أولاً رأيين قِيلاً قوله تعا : "لقاء ربه"، رج-ج رأيه الذي يل إليه، أما الرأيان فالأول يرى أن لقاء ا ، معناه إلا أن بالوقوف ب يديه، والثا-ا يفسر الرجاء با وف، يرجو لقاء ربه، ع : اف لقاء ربه².

أما الرأي الذي رجحه الشيخ، فقد استهله ببيان أن لقاء ا مطلقاً، هو مص ا لمق إ ر م والوقوف ب يديه للحساب ا زاء، أما لقاء ا للمؤمن ؛ فهو رضاه عنهم وإكرامه م؛ بإدخالهم دار كرامته، وإعداد ا نه م نزلاً خالدين فيها، -كما فسره الشيخ-، وأما الكفار فهم عن ر م جوبون لأنه تعا لا يقيم م وزناً، وإا يرگمهم يعا فيجعلهم جهنم، وبين الشيخ أن هذا هو مع لقاء ا ، كما ورد آيات وأحاديث كثة³، منها قوله تعا : (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) (الفجر: 27-30)، وكقوله p: «من أحب لقاء ا أحب لقاءه، ومن كره لقاء ا كره لقاءه»⁴.
وعقب الشيخ على تفس ه للآية السابقة بقوله: «هذا هو لقاء ا تعا وليس -كم- ا يق-ول البعض- رؤيته، تعا ا عن ذلك علواكب ا، فا تعا لا يرى الدنيا ولا الآخرة»⁵.
هذا كل ما وجدناه من رأي الشيخ ا مسألة-ال شغلت حيزاً لا بأس به من مباحث علماء العقيدة- حيث استدلل-باختصار- لرأيه بالآية ال كان بصدد تفس ها فحسب، دون أن يناقش

¹ - النجار: مرجع سابق، ص 162، وانظر: اطفيش: شرح عقيدة التوحيد، ص 497، الساي: مصدر سابق، ص 186-

205، الز شري: مصدر سابق، ج2/ص54، وج4/ص662.

² - تفس سورة الكهف: ص 452.

³ - (م.س)، ص 452-453.

⁴ - رواه البخاري، كتاب الرفاق، باب من أحب لقاء ا أحب لقاءه، رقم 6026. ورواه مسلم، كتاب الذكر، باب من

أحب لقاء ا أحب لقاءه، رقم 4844. موسوعة ا ديث الشريف.

⁵ - تفس سورة الكهف: ص 453.

أو يعرض أدلة الرأي الآخر، ولعله قد فصل ذلك عند نفسه ه للآيات ا مباشرة ا وض-وع¹،
والا تصل أيدينا إ أجزاء نفسه ها.

المبحث الرابع: منهج الشيخ بيوض في عرض الصفات

للشيخ بيوض نفسه ه لكتاب ا العزيز-عموما- منهج متميز فهم وعرض صفات ا
تعا ، كن دراسته من خلال أربعة نقاط؛ الأو : بيانه لتناسب الصفات أائها مع مدارك
العقول، الثانية: بيانه لتناسب الصفات مع سياقها القرآ ، الثالثة: بيانه لتناسب الصفات مع
الميا الكونية، أما النقطة الرابعة والأخ ه فهي بيانه لأثر الإ ان بالصفات ا ياه.

أولا/ تناسب الصفات في أسمائها مع مدارك العقول

ا كانت معرفة الإنسان بربه لا تتم إلا معرفة صفاته تعا الا أ خ ا كتبه وعلى ألسنة
رسله، فكيف كن فهم تلك الصفات وإدراك معانيها إدراكا سليما من أوهام التشبيه والإشراك؟
لقد أو الشيخ بيوض ذه القضية انهجية عناية ك ب ه نفسه ه حيث وجدناه مواضع عديدة
يبدئ ويعيد تيه ا الق-جل وعلا- عن مشاة ا لمق له؛ صفاته العلا وأائه ا س- ،
باعتباره قانونا عاما، وركيزة أساسية فهم الأء والصفات عموما، كما ورد قوله تعا :
(ليس كمثله شيء) (الشورى: 11)، وقوله: (قُلْ هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفؤا أحد) (الإخلاص).

وبرى الشيخ أن اذهب الأصوب والأقرب إ قيق مبدأ التيه هو مذهب السلف، حيث
يدعو إ الاعتقاد بأن أء و صفاتا-من دون أن يفرق الشيخ بين-هما-، لكن لا يعرف
الإنسان حقائقها، فيؤمن ا أسنده تعا إ نفسه من أء و صفات وأفعال؛ من غ ه تشبيه ولا
تعطيل، فوجوده تعا -مثلا- ليس كوجود غ ه من اخلوقات، وكذا حياته و غ ه وبصره
وإرادته وحبه وبغضه، وولايته وعدواته، وكل شأن من شؤون تعا هو خاص به لا يشبهه
شيء².

¹ - كقوله تعا : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخي) (الأنعام: 103)، وقوله:(وجوه يومئذ
ناصرة إلى ربها ناظرة) (القيامة: 22-23)، وغ ا من الآيات.

² - نفسه سورة الفصص: ص 361.

و د الشيخ يدعو صراحة إ التمسك ذا اذهب العقيدة فيقول: «... فدعوا هذا ا دل، و سكو اذهب السلف الذي فيه كل السلامة»¹، و موضع آخر يبين من هم السلف الـذين يدعو إ تبني مذهبهم لسلامته، فيقول: «هذا هو الطريق الأقوم، وهذا الصراط المستقيم الـذي سلكه الـأعظم، وسلكه ا لفاء الراشدون، والصحابة من بعـده ٧٢، قُلنسـ ملك طـريقهم، ولتجنب هذا ا دل حـ نضمن السلامة»².

كما يـ الشيخ اذهب الذي دعا إ التمسك به العقيدة، بإ ان العجائز أو إ ان اقلـد، واعتـه هو الإ ان الصحيح³، وكلها تسميات تعـ اية ا طاف؛ التفـويض والتسـليم معرفة حقيقة ذاته وصفاته، وإل ان ا من غـ تكلف أو جدال الفهم والإفهام. هذا ومن جهة أخرى وجدنا الشيخ يؤكد على أن ا تعاـ التعريف بصـفاته لعبـاده، خاطبهم بلغة تناسب مدارك أفهامهم ومنطق عقوم، ولا كن إفهامهم بطريقة أخرى غـ تلـك اللغة، مع أن حقائق صفاته تعاـ وذاته العلية، تقصر العقول عن بلوغها وإدراكها، وهذا ما يؤكد مبدأ التـيه مرة أخرى، إذ لاـوز للبشر قياس صفات ا الكاملة؛ بصفا م الـ عرفوها بعقوم، ومشاهداهم الواقعية القاصرة.

يقول الشيخ ذا الصدد: «نؤمن بأن ا تبارك وتعاـ واحد ذاته، وواحد صـفاته لا شريك له فيها وإن تشات الألفاظ؛ ففرق بـ مع لموق و ع ا ، وبـ بصره وبصرا ، فإذا أُضيف السمع والبصر والقدرة والرمة والإرادة لغـا ، كانت ا معان دودة قاصرة، ـلاف صفات ا تبارك وتعاـ ، فهي كاملة الكمال اطلق، فا قدير القدرة اطلقة، الـ لا يعترهـا عجز و يسبقها عجز ولا يـ بعدها عاجز... أما ا خلوق فإذا قال: أقدر على كذا، فهو يقدر على شيء ولا يقدر على شيء آخر، وقبل قدرته تلك كان عاجزا وبعد ذلك يكون العجز»⁴. و مناسبة قوله تعا : (ا^١ نور السماوات والارض ...) (النور: 35)، بين الشيخ أن الـاء

¹ - نفس سورة الفصص: ص 361.

² - (م.س)، ص 365.

³ - (م.س)، ص 362.

⁴ - بيوض، إبراهيم بن عمر: فتاوى الإمام الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر، ترتيب و ريج: بكـ مد الشيخ باج، ا طبعة العربية، غرداية، ط: 1988، ج 1/ص 33، وانظر أيضا: ص 36، ونفس سورة الفصص، ص 361.

والصفات وردت بلغة عربية يستطيع الإنسان فهمها، لكن لا وز له فهمها على معا أوصـاف
المق، إذ لا توجد طريقة أخرى لفهم حقيقة ا الق وكمالاته، وأنى للبشر إدراكها؟!¹.

ضرب الشيخ أمثلة؛ لتثبيت قضية تناسب اء الصفات مع الأفهام، فقال: «فإذا قلنا مـثلاً:
إن ا يع بص ، فلا طر ببالنا أبدا أنه يسمع بأصمخة وآذان، أو يبصر دقة وأجفان، فلا يس
ع ا وبصره كسمعنا وبصرنا ... وإا علينا أن نفهم أن ا يع لا فى عليه الأصوات، بص
لا فى عليه الألوان، قدیر كل شيء قبضته، جبار له القوة والسـيطرة ...»²، اسـتأنف
الشيخ فائلاً: «أما أن نتساءل عن الكيفية: كيف لمق؟ وكيف يرزق؟ وكيف يي وكيف يت؟
وكيف يسمع وكيف يبصر؟ هذا ما لا مطمع فيه للخلق ولن يستطيع أحد إدراكه، ولو اجتمع
أهل السماوات والأرض ... وعلى هذا ب أن نفهم اء ا اسـ»³.

و موضع آخر دث الشيخ عن كلمة التكوين "كُن" المتعلقة بإرادة ا المـلق؛ قبل أن
لمقه، ال وردت مرارا القرآن، كقوله تعا : (إنما أمره إذآ أراد شيئاً أن يقول له كُنْ
فَيَكُونُ) (يس: 82)، وذكر الشيخ ا توجه للشيء العدم قبل إاده؛ وهو لا يسمع، عقب
على هذه الكلمة بأا ا قيقة عبارةً تقرب الفهم ليس إلّا، فعندما نا ا أن إرادته إذا تعلقت
بشيء: قال له: كن فيكون⁴، فقد «أراد أن يصور لنا، ويعبر تعب ا نفهمه عن طواعية الأمـور
لإرادته، وإلا ا قيقة ليس هناك كاف ولا نون، > يكون الرد مفحـمـا على مـن يريد
التفلسف؛ فيقول: كيف يسمع الشيء ا عدوم، وهل هو موجود > يسمع؟»⁵.

هكذا كل مرة، يد الشيخ مدى لطف ا بعباده، تعريفهم بأائه وصفاته، إذ يـتـل
تعا من عليائه؛ فيخاطبهم بعبارات تناسب أفهامهم ويجري أحكامه على قدر عقو م، وبتـلـك
العبارات يستطيعون تصور أشياء على قدر ما يؤمنون به تعا ، ويتيقنوا من قوته وجـوته، وعدله

¹ - نفس سورة النور: ص 288-289.

² - (م.س)، ص 289.

³ - (م.ن).

⁴ - نفس سورة الأنبياء: ص 85-86.

⁵ - (م.س)، ص 86. وانظر أيضا قضية تناسب اء الصفات مع العقول: نفس سورة مر : ص 90-91، ونفس سورة
السجدة: 49-50.

وسلطانه، وذلك ما يدفعهم إ اتباع شرعه¹.

ثانيا/ تناسب الصفات مع سياقها القرآني

كثا ما تنتهي آيات قرآنية وتدّيل بذكر صفة أو أكثر من صفات ا وأائه، وكثا ما مع ذيل الآية ب وصف من أوصاف ا تعا ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن حصر، و -ا-كان القرآن ت يلا من حكيم يد، فإن لكل وصف أو وصف دُيِلَت ما الآية؛ مناسبة وانسجام م-ع موضوع الآية أو سياق الآيات ال ورد الوصفان بعده، وتنزه ا و أن يسرد صفة أو أكثر م-ن صفاته آية؛ صدفة واتفاقا، من غ حكمة ولا مناسبة، وهو القائل: (... وإنه لكتابٌ عزيزٌ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ت-يلٌ من حكيمٍ حميدٍ) (فصلت: 41-42).

وهذه القضية انهجية أولاهها الشيخ بيوض -هي الأخرى- اهتماما كبا، فكان مواضع كثرة من تفسده يد تناسب الأء والصفات الإية مع سياقها القرآ ، وسبب أن اهتمامه ذاك يهدف إ ربط اسلم بإعجاز كتاب وبلاغة نظمها وتناسب آياتها وسوره من جهة، ترسيخ الإ ان بكمال صفاته تعا من جهة أخرى.

ومن أمثلة ذلك من تفسد الشيخ؛ ليله لقوله تعا : (وإن ربك لهُم والعزير -زال-رحيم) (الشعراء: 9)، وهي آية ديل ا قصصا للأنبياء وردت تلك السورة، وعند أول ورود -ا- ذكر الشيخ مناسبة ا مع ب صفة العزة والرمة الآية، ومناسبتها لسياقهما، حيث جاءت الآية بعد حديث ا عن اشرك الكذب للذ ورسالته، وتسلية ا لنبية م: (لعلك ب-اخج نفسك ألا يكونوا مؤمن) (الشعراء: 3)، يقول الشيخ ذلك التناسب: «وا تعا ع ب- العزة والرمة، رحيم بأن أنزل إليكم الكتاب، يذكركم ويبريكم آيات ا أنفسكم، و الأرض ال تكم، و السماء ال فوقكم، يترككم زمنا طويلا لعلكم ت-ذكرون، وإذا ت-ذكروا فحينئذ يستعمل عزته، ويومئذ يقول للكفرة إذا استغاثوا أو طلبوا ا روج م-ن الذ-ار: (أولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكروا وجاءكم النذير) (فاطر: 37)، و ه-ذا تسلية لل-ذ م وللمؤمن ، لأن اسلم يغيظهم أن يروا أنفسهم أذلاء بت سلطة اشرك ، وهم أقوباء ب-ا ق

¹ - نفس سورة الأنبياء: ص 214، نفس سورة السجدة: ص 50.

ا ب «¹.

وعند نفس الشيخ لقوله تعا — على لسان إبراهيم ه وهو اطب أباه-: (يَأْتِي لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) (مر : 44)، بين الشيخ ا كمة الإية اختيار اسم "الر ان"، ومناسبته للسياق، بدل أن يقول تعا : "إنه كان عصيا"، وذلك أن قوم إبراهيم ه، يعتقدون أن ما م من نعمة فمن ا وحده، وأنه تعا هو الذي يرهم الشدائد، فإذا كانوا يعتقدون هذا الر ان، فكيف يعبدون من عصاه؛ وهو إبليس ؟ ألا افون أن يمسك علـيهم باب ر ته ؟²

و مناسبة قوله تعا — اطبا نبهه م-: (وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْفَرَّانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) (النمل: 6)، بـ الشيخ أولا مع العلم الإي، وهو انكشاف ا معلومات له تعا ، من غ شك أو ظن أو تبديل يعتريه، مع ا كمة الإية، ال تع وضعه تعا الأشياء مواضعها؛ بالقدر والوقت المناسب، وبعد ديد مفهوم الصفة ، أخذ الشيخ يذكر أوجهها ناسـبتهما للآية أو السـياق الواردة فيهما، ومن تلك الأوجه قال: «ومناسبة الوصف هذه الآية، هي كون القرآن نفسه من نسج ا ونظمه، ليس فيه إلا ما تقتضيه ا كمة، وما يقتضيه العلم، أما الكتـاب والشـعراء وأولفون فقد يقعون ا طلـاهلهم أو لعدم حكمتهم»³.

هكذا د الشيخ؛ لا يدع —غالبا— تذيلا من تذييلات الآيات، ال ترد فيها الصـفات، إلا ويحكم صلتها ومناسبتها للسياق القرآ ، وتلك نقطة منهجية تـأزره عـرض صـفات ا وكمالاته عرضا مبينا، ا يرسخ الإ ان ا القلوب، بعد أن تتجلى معانيها العقول.

ثالثا/ تناسب الصفات مع تجلياتها الكونية

تطرقنا سابقا الفصل الثا : "منهج الشيخ بيوض بيان وجود ا تعا"، إ أنواع الأدلة ال استدل ا الشيخ بيوض على وجود ا ، وهي نوعان أدلة الآفاق وأدلة الأنفـس، وهـي مجموعها تشكل أدلة مشهودة —من عا الشهادة— يشهدها الإنسان كل ح أعماق نفسه،

¹ - نفس سورة الشعراء: ص 303-304.

² - نفس سورة مر : ص 106.

³ - نفس سورة النمل: ص 16-17، وانظر أيضا تناسب الصفات مع سياقها القرآ : نفس سورة الفرقان: ص 38-

39، نفس سورة ا ج: ص 549، نفس سورة طه: ص 224-225.

و صفحات الكون بعوا ه اختلفة، وهي الآيات ا مسوسة ال دعا القرآن إ تدبرها وتأملها - مواضع عديدة جدا- ليصل منها العقل إ معرفة ربه ووحدانيته، وقد رأينا كيف كان الشيخ يو تلك الآيات أيتها ال شغلته القرآن، وكيف كان يوظف ا قائق العلمية ا ديشة - تفس ها.

و باب الصفات وجدنا الشيخ أيضا - مواضع من تفس ه- ينهج إ توضيح صفات ا وأائه، ببيان ليا ا الكون، وكان كذا ما يعقب على لميلاته العلمية للآيات الكونية - السالفة الذكر- بربطها بكمال صفاته تعا ، وتناسبها مع طلاقة القدرة الإلية، وإحاطة علمه تعا بكل شيء، وسعة ملكوته، ونفوذ إرادته ومشيئته.

فبمناسبة قوله تعا : (ألم تر أن ا أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ان ا لطيف خي) (ا ج: 63)، أخذ الشيخ يحلل ليات صف : اللطف والة؛ عا النبات، فبعد أن ذكر اعا ا استعماله لكلمة اللطيف، وهي الشيء ا فيف العميق الذي لا يكاد يدرك، وتعا أيضا: اسالك وإيل ا فية، بعد هذا؛ ذكر الشيخ مناسبة وصف ا نفسه باللطيف على إثر-ر تلك الآية الكونية، وذلك ليش تعا إ لطف النباتات¹ وما وبها بداخلها، > يفهم الإنسان بعض ما تعنيه صفة اللطف الإلي، فقال الشيخ أسلوب تعج إ ا : «فكم هي قوة ه-ذه البذور، وكم هي قوة هذه الفروع ال رج من الأرض، وال إذا مسها أحد بيده تذوب م-ماء، أي قوة أخرجته وقد كانت الأرض مطموسة عليه، كانت رتقا ففتقها ا ، حقا ما ألطف ذاك النبات الذي يبدأ بصورة لا كن رؤيته، وحديد البصر لا يرى سوى ا ضرة، وإذا رآه ا ا-د با هر فإنه د تلك ا ضرة كلها شبكة من نبات داخل بعضه على بعض، يك فلا-يلا فلا-يلا > يتميز فيشتد»².

ب الشيخ بعد ذلك صفة ا الية، كيف تتجلى النبات، والة تعا : الدقة العلم، فا تعا خب ا تاجه كل لوق، وما يصلح لكل ذرة من الذرات من م-اء وغ-ذاء، عليم بطريقة امتصاصها للماء والغذاء، أخذ الشيخ يتساءل أسئلة إانية بأسلوب تعج ، ع-ن بعض أجهزة النبات ووظائفها الدقيقة، ال هي أثر من آثار ا الية، فأبدى تعجبه عن ع-دد

¹ - نفس سورة ا ج: ص 563.

² - (م.ن).

عروق النبات التي يصعد معها الماء والغذاء، وطريقة امتصاصهما، وعن دقة الدور التي هي عبارة عن شعيرات مجوفة كالأنابيب، والتي تنص النبات غذاءه¹، يستأنف الشيخ متعجبا: «تري كيف أن هذا العرق سبيله بطن الأرض؟ ... فخرج النبات فوق الأرض عجيب، وتسد رب العروق داخل الأرض عجيب، وامتصاصها للغذاء عجيب، ذلك هو صنع العليم الله²».

و مناسبة قوله تعالى: (الله نور السماوات والأرض ...) (النور: 35)، وضح الشيخ بعوض لميات اسم الله "النور" الملق:

* التجلي الأول:

يتمثل فيما اكتشفه علماء الكون من الأشعة التي تنقل الصوت والصورة من مكان إلى آخر، فاستخدموها لنقل الأصوات بطريق الراديو، كما وظفوها لصنع الأسلحة الفتاكة، كصنع الإشعاع الذري، وصارت الأشعة تستعمل في الطب للكشف عن بعض الأمراض أو علاجها، يعقب الشيخ أن كل هذه الأشعة هي نور من أنوار الله تعالى³.

* التجلي الثاني:

يتمثل الله الملق والإبداع، فهو تعالى مبدع السماوات والأرض، هو الذي كشف عنها حجاب العدم وظلمته، وأخرجها من نور الوجود، فالتعالى كما يدرك الشيخ - نور بذاته، مفيض نوره على غيره، وذلك بإعطائه كل شيء خلقه، هدايته في نظامه الذي يسر عليه⁴.

رابعاً/ أثر الإيمان بالصفات

بعد أن رأينا أن الشيخ بيوض يميل إلى مذهب السلف في مباحث الإيات - عموماً -، الذي ينبغي على التفويض تعالى حقائق صفاته وكيفية الله، والوقوف عند ما أخبر ووصف به نفسه تعالى، دون خوض أو جدال فلسفي فيه⁵، بقي أن نتساءل: ما هو المطلوب من المسلم الله صفات الله تعالى؟ وما المقصد من ذكرها كتابه الكر؟ كما يتصور ذلك الشيخ بيوض.

¹ - (م.س)، ص 563-564.

² - (م.س)، ص 564.

³ - نفس سورة النور: ص 293 وما بعدها.

⁴ - (م.ن)، وانظر أيضاً: لميات القدرة الإلهية - خلق الإنسان - على سبيل المثال - : نفس سورة الج: ص 310 - 340،

نفس سورة المؤمنون: ص 93-101، نفس سورة الفرقان: ص 184-188.

⁵ - انظر مثلاً: نفس سورة القصص: ص 359.

يرى الشيخ أن ا تعالى ، أراد بالإخبار عن صفاته كتابه أن يركّز التصديق بعظمته وقوته.ه وسلطانه وسائر صفاته قلوب المؤمن ، الذين ب عليهم استحضار تلك الصفات واستشعارها كل حركام وسكنام، وأن تظهر آثارها استقامة سلوكهم وصلاح أعما م، فيقدروا ا حق قدره، ويفردوه بالعبادة والطاعة، ويؤثروا رضاه على رضا غه¹.

ففي سياق نفس ه للآيات 26-30 من سورة لقمان؛ الواردة بعض صفات ا وأفعاله.ه الكون، يقول الشيخ بيوض عن مقصده تعالى من التذك بصافته: «هذا ما يريد ا تعالى م.ن هذه الآيات، أن يركّز عظمته وقوته وسلطانه قلوب المؤمن ، وإذا تركّزت هذه العقيدة قلب إنسان، وكان يحصر ا ق والعلو والكبر ذات ا وحده، فعندئذ يقدره حق ق.دره ويف.رده بعبادته، يطيعه ولا يعصيه، ويقدم رضاه على سخط غه ، وسخطه على رضا غه².

ويقول الشيخ اطلوب من اسلم اه صفات ربه: «ولو كنا نستحضر كل هذه الصفات مع حركاتنا وسكناتنا، لاستقمنا ولصلحت أعمالنا وأحوالنا، لأننا نكون حينئذ نرا.ب ا تعالى كل وقت، وهذا من أدب ا تعالى الذي أدبنا به، فلنتمسك به، ولنلتزمه > نكون من ا فلاح³».

وقد جسد الشيخ تصويره للمطلوب الصفات وا قصد من ذكرها، منهجا نفس ه لك.ث من الآيات المتضمنة لأاء ا وصفاته.

فعند تفسيره -مثلا- لقوله تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (لقمان: 30)، استخلص الشيخ من ا ي: العلي والكبر؛ فائدتين يستفيدها المؤمن سلوكا واقعيا حياته عند تدبر ا، فقال: «الفائدة الأولى: أن يتصاغر الإنسان ولا يتعا ولا يتكبر على غه ، ويعلم أنه ضعيف مهما بدا له أنه قوي ... الفائدة الثانية: أن يعلم أن بيع ا خلوق ضعاف، وإن تعاظموا واس.تعلاوا وادع.وا السلطان، فسلطان ا أعظم، وك ياءه أكثر، فلا تطع لموقا معصية ا الق⁴.

و مناسبة قوله تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ د

¹ - انظر: نفس سورة النور: ص 436، نفس سورة لقمان: 534.

² - (م.ن).

³ - نفس سورة النور: ص 436.

⁴ - نفس سورة لقمان: ص 534.

كلمات ربـي وُلُو جُدْـنا يَمِيلُهُ مددا) (الكهف: 109)، وبعد ليل الشيخ لبيـة علمـا م ا تعا ، تساءل عن ا كمة واقصد من تذكر ا بسعة علمه؟، فأجاب: «ا كمة هي أن تصـغر نفوسنا، وتتضاءل علومنا بالنسبة لعلم ا ، فلا نطغى ولا نفتر إذا تعلمنا شيئا، أو اكتشفنا شـيئا، فما أوتيتم من العلم إلا قليلا»¹.

وقد عَقَّب الشيخ على تلك الآية؛ قارنا إياها بآية أخرى ذات ا موضوع، وهي قوله تعا : (وَقَوْقُ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (يوسف: 76)، إذ دعا الشيخ الناس عامةً، والعلماء خصوصاً ا التحلي بأثر ا العملي -بعد استحضاره الشعور والوجدان- وهو التواضع وعدم الغرور، يقول الشيخ: «فإذا بلغت أيها الإنسان أي درجة من العلم، فتذكر سعة علم ا الذي صورته هــاـتـ الآيتـ تصويرا بديعا؛ لا يترك ذرةً من الغرور تتسرب إـ قلب أي إنسان الدنيا مهمـا بلـغ، فالعلم ا قيقـي هو الذي يدعو إـ الإـان، والعلم ا قيقـي هو الذي يدعو إـ التواضع»².

و ناسبة قوله تعا : (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاسْمِعْ عَلِيمٌ) (النـور: 60)، بـ الشيخ ا كمة أو اقصد من وصف ا نفسه بالسميع العليم هذا ا قام، إذ أن فيه إشـارة إـ أنه تعا يعلم ما يتهمس به الناس فيما بينهم، إذا رأوا فتاة أو امرأة متكشفة، مشـا بعضـهم إـ بعض بالنظر ا رام إليها، بل رأى الشيخ أن أول ما يراد بقوله: "واسمـع علـيم" حـديث النفس، لأن الإنسان -رجلا كان أو امرأة- تحدثه نفسه واطر، إذا رأى شيئا ما يثـمكـامن الغريزة، فذلك ا ديث وتلك ا واطر الـري سويداء القلب، ا مطلع عليهـا، يسـمعها ويعلمها، وإن كان صاحبها لا يسمعها بأذنه³، فإذا تدبر اؤمن هذا الوصف، واستشـعره وجدانه كل حـ، فلا مالة تتعفف نفسه عن ا رام، وتستقيم حاله وسـته.

و اقصد العملي للصفات وأثر الإـان ا، يقول عبد ا يد النجار: «والإـان ا قـبصـفات ا تعا ، هو ذلك الإـان الذي يتعدى التصديق الذهـ دلول الصفة صحيحا شاملا، ليـؤثر

¹ - نفس سورة الكهف: ص 438.

² - (م.س)، ص 442.

³ - نفس سورة النور: ص 435-436، وانظر أيضا أثر الإـان بالصفات: نفس سورة طه: ص 227-228، نفس سورة الروم: ص 49-51، نفس سورة الأحزاب: ص 311-312.

نتائج الفصل الرابع—

من خلال ما سبق من علاجنا مسألة الإِ ان بصفات ا تعا عند الشيخ بيوض كُن أن مُص
إِ النقاط الآتية:

أولاً/ يفرق الشيخ ب اء ا وصفاته، بل اعت ا شيئاً واحداً، وهي ألفاظ ا معـان
معقولة. إذا أطلقت على ا الق فهي حقيقية، وإذا أطلقت على خلقه فهي نسبية غ حقيقية؛ لا
تقاس بصفاته تعا .

ثانياً/ لقد تطرق الشيخ إ إشكال العلاقة ب علم ا تعا الأز وأفعال الإنسان؛ كيـف
ينفى عنها وقوعها على سبيل ا ؟ وحاول الشيخ ا روج من الإشكال بانطلاقه مـن أصـول
عقدية مسلم ا، وب عليها لميلاته، أولاً إ اد الانسجام الفكري بينها؛ > لا تضطرب فيها
الأفهام، و سب أن طرحه ذا الإشكال، كان دف دفع الناس و الفاعلية العمل للـدارين،
وهجر مفاهيم التكاسل والتواكل؛ استناداً على القدر.

ثالثاً/ يكن الشيخ تفسه؛ يشرح صفات ا تعا شرحاً اصطلاحياً دقيقاً، بل كان يهتم
أكثر بذكر متعلقات وشواهد الكونية، وآثارها الإِ انية، ومقاصدها العملية.

رابعاً/ من متعلقات القدرة الإِ انية -الـ كان الشيخ يركز عليها كـثـا-: خرقه تعا لكـثـ من
السنن اطرده، واُتمثل معجزات الأنبياء ع التاريخ، واقصد الإِ اني من ذلك -كمـا يـرى
الشيخ- هو بيان صلاح القدرة لكل شيء، وتأثـها > وادث الكـون كلـها، دون تقيـد
بالأسباب؛ لأـا هي ا القة للأسباب.

خامساً/ أعطى الشيخ لصفة الإرادة الإِ انية بعداً تربوياً، ببيان وجوب التمسك بشيئة ا على
اؤمن؛ تلفظاً باللسان واعتقاداً بالقلب، لأنه لا ملك لنفسه شيئاً، ا عله يفوض أمره كلـه إِ
ا ، دون أن يلغي فاعليته وإرادته الشخصية فيما كُلف وابتلي فيه.

سادساً/ لقد أوضح الشيخ ا فهم الشامل لرزق ا -كما يعرضه القرآن- وهو كل ما يضمن
البقاء للكائن ا ي من مقومات؛ طول ادة الـ قدر ا أن يقضيها ا ياة، وليس الرزق قاصراً
على اال فحسب -كما يفهم البعض-.

سابعاً/ طرح الشيخ تساؤلاً صفة الرزق؛ عن أساس تقسيمه ب العباد، وتفاضل بعضـهم

على بعض فيه، فأجاب بأن ذلك سر استأثر ا بعلمه، وا قصد العملي الذي أراده الشيخ من هذا التساؤل، هو دفع الناس إ إراحة نفوسهم من حب الدنيا وا رص عليها، والإقبال على الآخرة، من دون إغفال نصيبهم من الدنيا.

ثامنا/ لقد جاء موقف الشيخ من الصفات ا تشا ة موقفاً وسطاً ب وجهة التفويض ووجهة التأويل، وكن تلخيصه النقاط الآتية:

1. التمسك بعقيدة السلف، بتفويض حقائق الصفات إ ا تعالى ، كمنطلق عام.
 2. للعلماء حق البحث الصفات ا تشا ة قدر اُستطاع؛ للوصول إ ما تطمئن إليه النفس منها -إن أمكن-، وإلا صاروا إ التفويض.
 3. ينبغي اعتماد اللغة تأويل الصفات ا تشا ة، لأن القرآن نزل بلسان عرب .
 4. ألا يؤدي التأويل إ تشبيه ا أو سيمه، لأن ا قصد من التأويل هو ت يهه تعالى .
 5. كل تأويل للصفات ا تشا ة، هو اجتهاد ظني، فلا وز فيه تضليل الآخر.
- ثاسعا/** للشيخ منهج متميز الصفات، يتركز أساسا على فهمها وعرضها من مبدأ التناسب؛ سواء تناسب أائها مع مدارك العقول، أو تناسبها مع سياقها القرآ ، أو تناسبها مع تجليات الكونية.

عاشرا/ يرى الشيخ أن المطلوب من ا مسلم ا صفات ا وأائه؛ أن يعيشها ش -عوره ووجدانه، ويتر ها سلوكه وواقعه، بعد أن يفهمها فهما سليما، ويؤمن ا إ انا جازما.

خاتمة البحث

بعد أن توقفنا مع الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، من خلال منهجه ٤-رض السائل المتعلقة بالإيمان بالله تعالى -على ضوء تفسيده-، يمكن أن نستخلص لمة نتائج سابقة:

1. يعتد الشيخ القرآن الكريم، العلم وأصدر الأساس فهم العقيدة، بتفسير بعضه ببعض:

- لضمان الفهم السليم للمصطلحات العقدية، وطريقة استعمال القرآن ١.

- و ل الإشكالات العقدية الواردة الأذهان.

كما أن لتفسير السورة على أساس وحدة موضوعها، والتناسب بين آياتها، دور كبير في فهم الأمثل مسائل العقيدة بثبوتها فيها.

2. الروايات الواردة تفسير آيات الأخبار والقصص، يتعامل معها الشيخ بالنقد والتمحيص،

فما كان منها ألفا للشرع، يذكره الشيخ لبيان بطلانه والتحذير من اعتقاده، وما كان منها

غالف للشرع، فإما أن يحقه إذا توافق مع الشرع، وإما أن يذكره استثناسا -مع التوقف

عن تصديقه- إذا سكنت عنه الشرع، وقد يرجح بالقرائن عند اختلاف الروايات، مع ٤-دم

الزم ما يتوصل إليه.

3. يعتد الشيخ قصص القرآن أهم وسيلة لتقرير العقائد، وإصلاح النفوس، ويرى أن النهج الأمثل

فهمها هو الاكتفاء بواطن العلة منها، وعدم اوض فيما سكنت عنه القرآن من تفاصيلها،

لأنه لا يأخذ من التاريخ إلا ما فيه العلة.

4. يقف الشيخ من المسائل الغيبية عن العقل -اليرد بين النص-، موقف التصديق -

وتفويض حقيقتها إلهيا تعالى، مع التورع تأويل التشابه منها، وذلك ببحث معانيها -

التملة النص، اعتمادا على القرائن، ودون القطع بنتيجة البحث.

5. أعطى الشيخ بيوض - تفسيره - معرفة إلهية قيمة كبرى، باعتبارها شرطا أساسيا

انطلاق العقل تلف ميادين المعرفة، بل جعل التلازم متبادلاً بين العلم والإيمان، من منطلق

القرآن، من غأن يغفل واقع التاريخ والعصر، لتوضيح أمثلة متكررة لتلك السنة البشرية،

وهي حال الإنسان > يسد دروب العلم بغير هدى من الله، وحاله > ينطلق بفطرة

التوحيد متعلما، أو كان علمه يدعو إلى الإيمان.

6. يرى الشيخ بيوض أن الطريق الصحيح في معرفة الله والإيمان بوجوده، هو التفكير والتدبر

آياته؛ على طريق الانتقال من الأثر إلى الأثر، وآيات الله تشمل: الآيات المتلوة القرآن،

والآيات اَجَلوة الأنفس والأكوان، مع ملاحظة تركيز الشيخ أكثر على النوع الثا من الآيات باعتبارها اسلك الأوضح والأ ل لكل الناس؛ على اختلاف مداركهم ولغا م. 7. ينظر الشيخ بيوض إ علم الكلام ومناهج اتكلم باعتبارها تراثا تاريخيا للأمة، أمثته ظروف معينة، فلا ينبغي أن يتجاوزها أو أن تستحضر مباحثه العصر الراهن، وإلا رسخ الفرقة بـ اسلم أكثر، والبديل الذي يراه أصوب هو مذهب السلف، إلا إن اسند إ نفسه مع التفويض له، وتيهه عن مشاة خلقه، وقد دعا الشيخ إ التمسك ذا اذهب لسلامته.

8. يتعامل الشيخ مع الآيات الكونية نهج متميز، حيث يفسرها سياقها القرآ ، ويؤكدها ا توصل إليه العلم – ختلف شعبه - من حقائق ومعلومات حديثة، وذلك بما بـ القراءة – القرآنية والكونية - تقرير دعائم الإ إن با تعا العقول، وترسيخها النفوس، واقتناعا من الشيخ دوى توظيف نتائج العلوم ا عاصرة فهم كتاب ا تعا ، لأنه كتاب العلم. 9. بيان الشيخ لوحداية ا اكم والتشريع، كان يقنع مستمعيه بوجوب الاحتكام إ شرعه تعا ملة من الدواعي لذلك، قسمناها إ اعتبارين؛ الاعتبار الأول: استشهاده بكم - ال الصفات الإية، أما الاعتبار الثا : فاستشهاده بصفات النقضان البشرية، ال لا تؤهلهم ال إ تشريع نظام شامل يا م يكفل م سعادة الدارين.

10. يسلك الشيخ اسلك العقلي الذي سلكه القرآن إثبات وحدانية اعبودية، إذ يعت توحيد ا العبادة والشكر؛ نتيجة منطقية لتوحيده ا لمق والرزق، والنفع والضر.

11. لقد كان الشيخ بيوض ن تأثر با فهوم الشائع للشرك؛ وهو مرادفته صطلح الكفر الذي يع : إنكار أصل من أصول الإ إن، ولذا أدرج الشيخ الإ ادا با تعا ضمن أقسام الشرك، م - مع أن حقيقة الشرك هي إ ادا آة مع ا أو دونه، ونقيضه الإخلاص أو التوحيد.

12. لقد كان الشيخ بيوض واقعا تناول قضية الإ ادا با ، فلم يعاها كتعريفات اص - ملاحية جافة، بل انطلق من موارد ذكر القضية القرآن، أنز ا على واقعه الذي كان ولا يزال يشهد مظاهر متجددة من الإ ادا، متمثلة التيارات الفكرية ال نشأت الغرب واستهوت معه - ا الشباب اسلم، وقد ركز الشيخ على تيارى: الشيوعية والعلمانية، بيان مضام كل منهما، وأسباب انتشاره بـ هؤلاء الشباب، تقد العلاج الربا للقضية؛ بعودته إ الق - رآن م - رة أخرى.

13. للشيخ بيوض منهج متميز معاة تلف مظاهر الشرك، يتمثل انطلاقه من اُجج والدوافع

ال تدفع الشرك إ فعلهم، فيحللها يد بطلا وتهاقننها بقوة اُجة، إ جانب وصـفه
الدقيق لطقوس الشرك ، وبيان غرابتها ومتناقضا مع الشرع والعقل.

14. لقد كان الشيخ يزكّي قيمة الإ ان بالوحدانية تفسه، ببيان آثارها حياة الفرد اسلم،
ال تُنصب على اتزان الشخصية اسلمة وفعاليتها اياة، لكن الشيخ يول ذات الاهتمـام
لآثار التوحيد على ا ماعة أو ا تمع اسلم.

15. يفرق الشيخ ب أاء ا وصفاته، بل اعت ا شيئا واحدا، وهي ألفاظ ا معان معقولة،
لكن ما ميز الشيخ عند تطرقه لوحدانية الصفات، هو تنبيهه إ اُبانية ب معا صفات ا لق Y
وصفات ا لق - وإن اشتركت التسمية اللفظية - ذلك لأن الأو حقيقة مطلقة، بينما الثانية
مجازية ونسبية.

16. يكن الشيخ تفسه؛ يشرح صفات ا تعا شرحا اصطلاحيا دقيقا، بل كان يهتم أكثر
بذكر متعلقا وشواهد الكونية، وآثارها الإ انية، ومقاصدها العملية.

17. من متعلقات القدرة الإ ية -ال كان الشيخ يركز عليها كـ ا-: خرّقه تعا لكث من السنن
اطردة، وأتمثل معجزات الأنبياء ء التاريخ، واقصد الإ ي من ذاك -كمـا يـرى
الشيخ- هو بيان صلاح القدرة لكل شيء، وتأثها حوادث الكون كلـها، دون تقيـد
بالأسباب؛ لأ ا هي ا القة للأسباب.

18. أعطى الشيخ لصفة الإرادة الإ ية بعدا تربويا، ببيان وجوب التمسك بشيئة ا على ا -ؤمن؛
تلفظا باللسان واعتقادا بالقلب، لأنه لا ملك لنفسه شيئا، ا عله يفوض أمره كلـه إ ا ،
دون أن يلغي فاعليته وإرادته الشخصية فيما كُلف وابتلي فيه.

19. لقد أوضح الشيخ افهوم الشامل لرزق ا -كما يعرضه القرآن- وهو كل ما يضمن البقـاء
للكائن ا ي من مقومات؛ طول ادة ال قدر ا أن يقضيها اياة، وليس الرزق قاصـرا
على اال -كما قد يفهم-. ومن اقاصد العملية ال ركز الشيخ عليها - صفة الـرزق -
دفع الناس إ إراحة نفوسهم من ا برص على الدنيا، والإقبال على الآخرة.

20. لقد جاء موقف الشيخ من الصفات اتشاة موقفا وسطا ب وجهة التفويض ووجهة التأويل،
وكن تلخيصه النقاط الآتية:

- ✓ التمسك بعقيدة السلف، بتفويض حقائق الصفات إ ا تعا ، كمنطلق عام.
- ✓ للعلماء حق البحث الصفات اتشاة قدر اُستطاع؛ للوصول إ ما تطمئن إليه النفس
منها -إن أمكن-، وإلا صاروا إ التفويض.

- ✓ ينبغي اعتماد اللغة تأويل الصفات المتشابهة، لأن القرآن نزل بلسان عربي.
 - ✓ ألا يؤدي التأويل إلى تشبيه أو تسميه، لأن المقصد من التأويل هو تبيينه تعالى.
 - ✓ كل تأويل للصفات المتشابهة، هو اجتهاد ظني، فلا يجوز فيه القطع أو تضليل الآخر.
21. للشيخ منهج متميز الصفات، يتركز أساساً على فهمها وعرضها من مبدأ التناسل؛ سواء تناسل أئمتها مع مدارك العقول، أو تناسلها مع سياقها القرآني، أو تناسلها مع تجليات الكونية.
22. يرى الشيخ أن المطلوب من المسلم هذه الصفات وأدائها؛ أن يعيشها شعوره ووجدانه، ويترجمها سلوكه وواقعه، بعد أن يفهمها فهماً سليماً، ويؤمن بها إيماناً جازماً.

ختاماً نرجو أن نكون - ذا البحث - قد وضعنا لبنة دراسة إلهية عند الشيخ إبراهيم بيوض من خلال تفسيه، وأن تفتح هذه الدراسة للباحثين الآفاق لاكتشاف جوانب العقيدة الأخرى المثبتة رحاب تفسيه القيم، ولدراسة فكره التربوي والاجتماعي من خلال هذا التفسير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المح تويات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة

نص الآية

رقم الآية

سورة الفاة

154

05 (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيذُ)

سورة البقرة

60

03 (يَوْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)

181

20 (إِنْ أَعْلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

160

173 (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْرِ وَمَا أَهْلُ بِهِ لَعَبْرًا)

72

177 (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ ...)

سورة آل عمران

- 07 (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ...) 51
 59 (إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ آدَمَ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ...) 37
 190 (إِنْ خَلَقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ...) 77

سورة النساء

- 48 (إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) 134
 59 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ...) 132، 133،
 53
 65 (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوا بِمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ...) 163
 116 (إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) 134

سورة المائدة

- 2 (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ) 154
 17 (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ آهَ هُوَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) 114
 35 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ ...) 157
 49 (وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ ...) 126
 64 (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) 202

سورة الأنعام

- 103 (لَا تَدْرِكُهُ الْإِبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْإِبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) 215

سورة الأعراف

- 53 (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ) 53
 54 (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) 212

- 157-156 (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...) 198
 172 (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ...) 58
 190 (بَشِّرْكَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) 134

سورة الأنفال

- 42 (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّيَ عَنْ بَيِّنَةٍ) 180

سورة التوبة

- 30 (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) 114
 18 (هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) 155

سورة يونس

- 11 (وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ...) 200
 44 (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) 179

سورة هود

- 06 (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا...) 192
 108-107 (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) 189

سورة يوسف

- 76 (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) 223
 106 (وَمَا يَوْمِنَ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) 134

سورة الرعد

- 04 (تَسْقَى الْيَمَاءَ وَاحِدٍ وَنَفَضْلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) 85

سورة إبراهيم

88 48 (يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَتَرَوُنَّ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)

سورة النحل

89 (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...)

97 (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً...)

سورة الإسراء

15 (وَمَا كُنَّا مَعَدِّينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا)

70 (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ...)

82 (وَنَنْزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)

85 (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)

86 (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُنَّ لَتَنْدِهِنَّ بِالَّذِي أُوحِيَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا)

87 (لَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنْ فَضَّلْنَاكَ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ)

97 (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَمْ يَهْدِ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ...)

110 (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ)

سورة الكهف

07 (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)

08 (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا)

18 (وَنَقْلًا بِهَمِّ ذَاتِ الْأَيْمَنِ وَذَاتِ الشِّمَالِ)

23-24 (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)

28 (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)

51 (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتَ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ

عَصْدًا)

52 (يَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ...)

58 (وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ...)

- 71-72 (فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرُّوا عَنْهُمَا لِلْغَرَقِ أَهْلَهَا...) 119
 109 (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَةً...ات) 30، 223
 110 (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا...) 214

سورة مر

- 16 (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) 49
 17 (فَارْسَلْنَاهَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) 46، 36
 22-23 (فَحَمَلَتْهُ فَاتَّبَعَتْ ذِي مَكَانًا فَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ) 36
 35 (مَا كَانَ - أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) 62
 44 (يَا أَيُّهَا لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) 219
 65 (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا قَاعِبِدْهِ وَاصْطَبِرْ لِعِبَارَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) 115
 78 (أَطْلَعَ الْغَيْبِ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) 28
 92 (وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) 114

سورة طه

- 05 (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) 202، 207
 40 (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ قَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ...) 205
 41 (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) 205
 49 (قَالَ قَمْن رَبُّكُمَا يَامُوسَىٰ) 85
 50 (رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ) 85
 112 (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا) 27

سورة الأنبياء

- 22 (فَسُبْحَانَ - رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) 207
 68 (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ قَائِلِينَ) 148
 69 (فُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) 165، 118
 91 (وَالَّتِي أَحْصَيْتَ قَرَجَهَا فَتَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا...) 36، 185

- 92 (إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ، أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) 113
 96 (حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) 18
 107 (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) 195

سورة الج

- 5-1 (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ...) 97,30
 11 (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ...) 166,29
 18 (وَمَن يَهِنِ الْفَعْلُ لَهُ مِنْ مَّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) 165-63
 31 (وَمَن يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ...) 151
 37 (لَّن يَنَالِ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ) 161
 63 (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصَيِّحُ الْأَرْضُ خُضْرًا إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) 220
 65 (وَيَمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَتَرُؤُفٌ رَّحِيمٌ) 89
 73 (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ قَاسٍ تَسْمِعُوا لَهُ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...) 148,86

سورة المؤمنون

- 11-1 (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ - صَلَاتُهُمْ خَاشِعُونَ...) 26
 12 (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) 96
 13 (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً - فَزَّارٍ مَكِيدٍ) 98
 14 (ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا...) 100
 27 (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا) 206
 68 (أَقْلَمَ يَدَبُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ) 77
 71 (وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ) 128
 72 (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) 192
 78 (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) 102,101,87
 80 (وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) 90
 82 (قَالُوا أَأُذِيقُنَا مَا تَرْبَا وَكُنَّا مُّسْلِمِينَ) 186

- 84-89 (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ ...) 129
 86 (قُلْ مَنْ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) 210
 91 (مَا اتَّخَذَ آدَمُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ...) 155

سورة النور

- 35 (أَنْ نُورِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...) 221، 216
 47 (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِالرَّسُولِ وَأُطْعِمْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ ...) 28
 60 (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) 223

سورة الفرقان

- 04-05-06 (إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا ...) 199
 38 (وَأَصْحَابُ الرِّسِّ وَفُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَيْتٌ) 49
 44 (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) 128
 45 (أَلَمْ تَرِ الْكَافِرِينَ كَيْفَ كَذَبُوا الْوَيْلَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُمْ نَارًا مِّنْ لَّجَعْلُنَا الشَّمْسَ ...) 40
 54 (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) 100، 183
 59 (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا سِتَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ..) 208

سورة الشعراء

- 3 (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) 218، 40
 09 (وَإِنْ رَبُّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) 218
 227 (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا أَسْمَاءَهُ ...) 40 - 27

سورة النمل

- 06 (وَإِنْ لَّكَ لَتَلَقَى الْفُقَرَاءَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) 219
 19 (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ...) 32
 20 (أَمْ كَانَ مِنَ الْغَاثِ ...) 60

- 38 (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي بِمِثْلِهِ) 210
- 41 (قَالَ نَكُرُوا لَهُا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) 210
- 45 (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ أَهْلِهَا مِرْيَاسًا ثُمَّ جَاءَهُمْ حَالًا أَنَّهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ) 163
- 60-64 (أَمِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ...) 69، 84، 117، 191
- 65 (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) 125
- 67 (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَا أَيْدًا لِّمُخْرِجُونَ) 186
- 75 (وَمَا مِنْ غَائِثَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنِّي) 60

سورة القصص

- 68 (وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...) 122، 187
- 73 (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ...) 75، 91

سورة العنكبوت

- 03 (فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) 178، 181
- 17 (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوتَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) 147

سورة الروم

- 04 (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْهُ بَعْدُ) 117
- 07 (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) 138
- 08 (مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) 88
- 22 (وَمِنْ - آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ...) 103-105
- 27 (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى...) 186
- 40 (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ...) 190
- 54 (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) 98

56 (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ...) 68

سورة لقمان

- 11 (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) 50
12 (وَلَقَدْ - آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ...)
16 (يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِن تَكُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ...)
13 (يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)
20 (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ...)
22 (وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى...)
27 (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ...)
29 (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ...)
30 (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)
34 (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ عَدَا)

سورة السجدة

- 04 (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...)
05 (يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ)
09 (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ...)
10 (وَقَالُوا أَأِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ)
15 (إِنَّمَا يَوْمُنَا نَبَأَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...)

سورة الأحزاب

- 02 (وَإِيعَ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)
43 (هُوَ الَّذِي يَصْلِي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...)
44 (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا)
63 (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ...)

- 69 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ قَبْرَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا...) 46
72 (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا...) 58

سورة سبأ

- 02-01 (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ...) 197
24 (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ) 191
36 (قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) 193
39 (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) 192

سورة فاطر

- 37 (أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ) 218
41 (نَالِلَهُ يَمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا...) 90
45 (وَلَوْ يَوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهَرِهَا مِنْ دَآئِبَةٍ...) 200,199

سورة ياسد

- 82 (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) 217,2

سورة الصافات

- 80 (ذُجَّاءَ رَبِّهِ يَغْلِبُ سَلِيمٌ) 166

سورة ص

- 26 (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) 126
72 (فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رَوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) 36

سورة الزمر

- 03 (مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) 155
67 (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...) 207

سورة غافر

- 115 16 (لَمَن الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)
155 60 (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)
139,70 83 (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا يَمًا عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ)

سورة فصلت

- 218 42-41 (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ...)
107,83,82 53 (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الْحَقُّ)

سورة الشورى

- 215,81 11 (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

سورة الزخرف

- 94 14-12 (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ...)
193 32 (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ...)
36 76 (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ)

سورة الدخان

- 88 39-38 (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَغْنٍ...)

سورة ااثية

- 92 12 (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ)
92 13 (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ)
126 23 (أَقْرَأْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ)

سورة مد

24 (أَقْلًا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)

سورة الفتح

189 27 (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنًا - مُحَلِّقِينَ - رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ)

سورة الذاريات

96,83,82 20-21 (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ - وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَقْلًا يَبْصُرُونَ)

95 22 (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)

سورة القمر

206 14 (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا)

88 49 (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)

سورة الرحمن

202 27 (وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)

سورة ادلة

177 07 (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ لِثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ)

سورة البقرة

59 21 (لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...)

سورة التحر

36 12 (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا...)

سورة الملك

88 03 (مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ)

سورة الأاقة

17-13 (فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا ...)

209

سورة القيامة

19-16 (لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ...)

196

23-22 (وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ)

215, 213

سورة الإنسان

03 (نَا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)

180

سورة الأرسلاا

21-20 (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِمٍّ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)

92

سورة عبس

07 (فُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)

158

سورة الأعلى

06 (سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَىٰ)

196

سورة الفجر

30-27 (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ...)

215

سورة الإخلاص

4-1 (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)

215

فهرس الأحاديث النبوية

- «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم».....48
- «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ».....157
- «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ قَوْقَ عَرْشِهِ إِنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ عَصِي».....198
- «إِنْ قُلُوبُ بَ آدَمَ كُلُّهَا بِ إَصْبَعٍ مِنْ أَصَابِعِ الرَّ بِن».....202
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَكُمْ عِيَانًا كَمَا تَرُونَ هَذَا».....213
- «إِنْ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سَتَ أَلَا يَرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ».....47
- «تَفَكَّرُوا أَلَمْ يَلْقُوا وَلَا تَفَكَّرُوا أَلَمْ يَلْقُوا فَاِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ قَدْرَهُ».....76
- «الصَّلَاةُ مِنَ الْبِرِّ وَمِنْ الْبِرِّ الْإِسْتِغْفَارُ».....196-197
- «عَجَبًا لِلْأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ».....167
- «قَالَ مَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».....81

7. آدم فتحي: **موسوعة جسم الإنسان (أجهزته ووظائفها)**، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، ط 1: 2000م - 1421هـ..
8. اطفيش، أحمد بن يوسف: **نيس النفس**، قيق: إبراهيم مد تلاي، الطبعة العربية، غرداية، ط 1: 1422هـ - 2001م.
9. اطفيش، أحمد بن يوسف: **الذخر الأسرار** شرح أسماء الله الحسنى، (دم)، ط حجرية: 1326هـ..
10. اطفيش، أحمد بن يوسف: **الذهب المصنوع من نور العلم القالض**، قيق: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، دار البعث، قسنطينة - الجزائر، ط 2: 1400هـ - 1980م.
11. اطفيش، أحمد بن يوسف: **شامل الأصل والفرع**، دم، د.ت.
12. اطفيش، أحمد بن يوسف: **شرح عقيدة التوحيد**، قيق: مصطفى بن الناصر وين، نشر - عية التراث، القرارة - غرداية - الجزائر، ط 1: 1422هـ - 2001م.
13. اطفيش، أحمد بن يوسف: **بيان الزاد في دار ايعاد**، نشر وزارة التراث القومي، عم - ان، ط 2: 1980م.
14. إقبال، محمد: **حديث التفكيد الإسلامي**، ترجمة: عبد - اس م - ود، دار أس - يا، ط: 1985.
15. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد مود: **روح المعاني**، دار الفكر - بيروت، ط: 1398هـ - 1978م.
16. الباقل، أبو بكر محمد بن الطيب: **هيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، قيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط 3: 1414هـ - 1993م.
17. البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر: **الفرق بين الفرق**، قيق: محمد يحيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت - لبنان، د.ت.
18. البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر: **كتاب أصول الدين**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 3: 1401هـ - 1981م.
19. البوطي، محمد سعيد رمضان: **كليات الفينيات الكونية**، دار الفكر، سوريا، ودار الفكر - بيروت، لبنان، تصوير عن ط 8: 1423هـ - 2002م.

20. بيوض، إبراهيم بن عمر: **فناوى الإمام الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر**، ترتيب و ريج: بك مد الشيخ با اج، ا طبعة العربية، غرداية، ط: 1988.
21. بيوض، إبراهيم بن عمر: **رحاب القرآن، ج1: نفس سورة الإسراء**، نشر: عية التراث -القرارة- غرداية، ط: 1993، ج2: نفس سورة الكهف ط: 1994، ج3: نفس- **سور مر وطه ط: 1995، ج4: نفس سور الأنبياء وا -ج ط: 1997، ج5: نفس- سورة ا ومنون ط: 1998، ج6: نفس سورة النور ط: 1998، ج7: نفس سور الفرف-ان والشعراء ط: 1999، ج8: نفس سور النمل والقصص ط: 2000، ج9: نفس -س-ورة العنكبوت ط: 2001، ج10: نفس سورة الروم ط: 2001، ج11: نفس -س-ورة لقم-ان ط: 2002، ج12: نفس سور السجدة والأحزاب ط: 2003، ج13: نفس سور سبأ وفاطر ط: 2004.**
22. ا عبي، فرحات: **البعد ا حضاري للعقيدة عند الإباضية**، نشر: عية التراث -القرارة، ط: 1987.
23. عية التراث: **معجم أعلام الإباضية (قسم ا غرب الإسلامي)** من القرن الأول ا جري إ العصر ا اضر، نشر عية التراث، القرارة-غرداية-ا زائر، طبع دار الغرب الإسلامي، ب وت- لبنان، ط2: 1421هـ - 2000م.
24. ا معية ا صرية لنشر ا عرفة والثقافة العاية: **ا وسوعة العربية ايسرة**، دار ا يل، ب وت- لبنان، ط2: 2001م.
25. ا وهري، أبو نصر إ اغيل بن ادا: **الصحيح (تاج اللغة وصحيح العربية)**، قيق: إميل بديع يعقوب و مد طريف نبيلي، دار الكتب العلمية (لبنان)، ط 1: 1420 هـ - 1999.
26. ا وي، أبو اعا عبد الملك: **كتاب الإرشاد إ فواطع الأدلة أصول الاعتقاد**، مؤسسة الكتب الثقافية، ب وت-لبنان، ط1: 1405هـ - 1985م.
27. ا يطا، أبو طاهر إ اغيل بن موسى: **كتاب قواعد الإسلام**، تصحيح وتعليق: عبد الر بن بن عمر بكلي، ا طبعة العربية، غرداية-ا زائر، ط1: 1977م.
28. دبوز، مد علي: **أعلام الإصلاح ا زائر**، مطبعة البع-ث، فس-نطينة-ا زائر، ط1: 1394هـ - 1974م.

29. دبوز، مد علي: **حنة الزائر ا ديثة وثور ا اباركة**، ا مطبعة العربية، غرداية - ا زائر، ط1: 1969م.
30. دندل ج: **الشيوعية منشأ ومسلگا**، شركة الشهاب ا زائر، د.ت.
31. الرازي، فخر الدين مد بن عمر: **التفس الكب**، دار إحياء التراث العرب ، ب وت-لبنان، ط3: د.ت.
32. الراغب الأصفها ، أبو القاسم اُس بن مد، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، دار الكتب العلمية، ب وت-لبنان، ط1: 1418هـ - 1997م.
33. الز شري، أبو القاسم جار ا مود بن عمر: **الكشاف عن حقايق التاءيل وعي-ون الأفاويل وجوه التأويل**، دار اعرفة، ب وت-لبنان، د.ت.
34. الساي، أبو مد عبد ا بن حميد: **كتاب شرح طلعة الشمس على الألفية**، وزارة التراث القومي، عمان، ط3: 1413هـ - 1993م، ص169.
35. الساي، أبو مد عبد ا بن يد: **مشارك أنوار العقول**، طبع مطابع العقيدة، س-لمطنة عمان، ط2: 1398هـ - 1978م.
36. سليمان بن عبد ا : **نيس العزيز ا ميد شرح كتاب التوحيد**، مكتبة الرياض ا ديثة، الرياض، د.ت.
37. سيد قطب: **طلال القرآن**، دار الشروق، ب وت-لبنان، ط3: 1397هـ - 1977م.
38. شركة الامج الإسلامية الدولية: **موسوعة ا ديث الشريف**، الإصدار الثاني ، (1991-1997).
39. الشعراوي، مد متو : **معجزة القرآن**، إعداد: أ د زين، شركة الشهاب، ا زائر، ط: 1990.
40. الشهرستا ، أبو الفتح مد بن عبد الكر : **اللمل والنحل**، قيق: مد سيد كيلا ، دار صعب، ب وت، ط: 1986.
41. صبحي الصا : **مباحث علوم القرآن**، دار العلم للملاي ، ب وت-لبنان، ط21: 1997م.
42. الطاي، أبو جعفر مد بن جرير: **جامع البيان تفس القرآن**، دار اعرفة، ب وت-لبنان، ط4: 1400هـ - 1980م.

43. عبد الله بن عمر النجار، **الإيمان بأثره**، إياها، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1: 1997.
44. عبد الوهاب خلاف: **أصول الفقه**، دار القلم، بيروت.
45. عدنان الشريف: **من علم الطب القرآن**، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1: 1990.
46. علي بن أبي طالب: **ديوان الإمام علي بن أبي طالب (ديوان شعر إمام البلاء)**، قيق: عبد الله بن خفاجي، دار الأديب، أمّيلية-الزائر.
47. علي بن أبي أمية: **الإباضية (دراسة مركزية أصولية وتاريخية)**، الطبعة العربية، غرداية.
48. علي بن أبي أمية: **الإباضية موكب التاريخ**، ج1: نشأة المذهب الإباضي، مكتبة الاستقامة -سلطنة عمان، ط2: 1989، ج2: الإباضية ليبيا، ج3: الإباضية تونس، ج4: الإباضية الزائر.
49. الغزاوي، محمد: **عقيدة الإسلام**، دار الشهاب، باتنة-الزائر، ط: 1985.
50. الغزاوي، محمد: **كيف نتعامل مع القرآن**، مدارس أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، دار الرجاء، عنابة-الزائر، د.ت.
51. الغزاوي، محمد: **أوراق مسند القرآن الكر**، دار القلم، دمشق، ط3: 2000م.
52. الغزاوي، محمد: **و تفهيم موضوعي لسور القرآن الكر**، دار بغداد للطباعة والنشر، الرويبة-الزائر، ط: 2000م.
53. الغزاوي، محمد: **نظرات القرآن**، دار الكتب الحديثة، ط3: 1962م.
54. الفواز آبادي: **القاموس المحيط**، توزيع: مكتبة النوري - دمشق، د.ت.
55. القرضاوي، يوسف: **الإيمان واليه**، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط19: 1419 هـ / 1998.
56. القرضاوي، يوسف: **حقيقة التوحيد**، دار البعث، قسنطينة-الزائر.
57. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: **فتاوى اللجنة**، مع وترتيب: أ.د. عبد الله بن رزاق الدويش، دار الأئمة، الرياض-السعودية، ط3: 1421 هـ / 2000م.
58. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع: **الموسوعة العربية العلية**، الرياض-السعودية، ط2: 1419 هـ / 1999.

59. مد بن أ العز الدمشقي: **شرح العقيدة الطحاوية**، تج: عبد الله التركي، وش: عيب الأرنبوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط8: 1416هـ - 1995م.
60. مد بن صالح ناصر: **حلقة العزابة ودورها بناء المجتمع السجدي**، نشر: عية التراث - القرارة.
61. مد بن صالح ناصر: **رحاب القرآن (الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض) مهرج - ان ختم نفس القرآن الكر**، مقدمة مد بن صالح ناصر، نشر: عية التراث - العطف - غرداية، ط: 1989.
62. مد بن صالح ناصر: **اقالة الصحفية الزائرية (نشأ، تطورها، أعلامها)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الزائر، 1398هـ - 1978م.
63. مد بن قاسم ناصر بوحجام: **الشيخ إبراهيم بيوض (اصلاح ار)**، مكتبة ايل الواعد، سلطة عمان، ط1: 1425هـ - 2004م.
64. مد بن موسى بابا عمي: **الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض**، نشر: الكشافة الإسلامية الزائرية - القيادة العامة واطفة الولائية غرداية، ط: 1417هـ - 1996م.
65. مد رشيد رضا: **نفس الانار**، دار اعرقة، بيروت - لبنان، ط2: د.ت.
66. مد عبده: **رسالة التوحيد**، ديوان المطبوعات اامعية، الزائر، ط: 1988م.
67. مد فتحي الدرري: **انهاج الأصولية الاجتهاد بالرأي التشريع الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3: 1418هـ - 1997م.
68. مد قطب: **لا إله إلا الله (عقيدة وشريعة ومنهاج حياة)**، دار الشروق، بيروت - لبنان، ط2: 1414هـ - 1993م.
69. مد قطب: **مذاهب فكرية معاصرة**، دار الشروق - بيروت، ط8: 1414/1993.
70. مركز التراث لأاث اسب الآ، **اكتبة الألفية للسنة النبوية**، الإصدار 1.5، 1419هـ - 1999م، الأردن.
71. م حس الدسوقي: **الشيخ مصطفى الغلاية مفاهيمه الإصلاحية (دراسة مقارنة بينه وبين الشيخ: ال الدين الأفغا و مد عبده)**، اكتبه العصارية، صيدا - بيروت، ط1: 1419هـ - 1999م.

72. موريس أسعد ورشيد فرحات: **موسوعة الكون والفضاء والأرض**، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، ط 2: 2002م.
73. إيلي، مبارك بن محمد: **رسالة الشرك ومظاهره**، نشر: دار البعث، فلسطينة - أريز، د.ت.
74. ناهد الراشي: **أثر القرآن الكريم الأمن النفسي**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 4: 1423 هـ / 2003م.
75. هود بن محكم الواري: **تفسير كتاب العزيز**، تحقيق: باح شريف، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط 1: 1990م.

فهرس المد تويات

الإهداء..... أ.

مقدمة..... ب.

فصل 1 - 2..... 1.

أولاً/ سة الشيخ بيوض و يزات شخصيته..... 1.

1/ سة الشيخ بيوض..... 1.

2/ بعض يزات شخصية الشيخ بيوض..... 8.

ثانيا/ تفسه ه للقرآن الكر..... 9.

1/ رحلته مع التفسه..... 9.

2/ خصائص منهجه التفسه..... 11.

ثالثا/ مذهبه العقدي (ا ذهب الإباضي)..... 19.

الفصل الأول: البحث العقدي عند الشيخ بيوض..... 23.

1/ بحث الأول: مكانة العقيدة من تفسه الشيخ بيوض..... 25.

أولاً/ الاهتمام با قيقة الشرعية للإان..... 25.

1/ آراء ا دارس العقيدة مدلول الإان..... 25.

26.....	2/ رأي الشيخ بيوض مدلول الإِ ان
27.....	3/ تصحيح التصورات حول حقيقة الإِ ان
29.....	ثانيا/ الاهتمام بالآثار العملية للإِ ان
29.....	1/ أثر حسن الظن با تعا
30.....	2/ أثر الإِ ان بعلم ا تعا
30.....	3/ أثر الإِ ان بالبعث
31.....	4/ الآثار الإِ انية لقصاص القرآن
34.....	ا بحث الثاني: منهج الشيخ بيوض في العقيدة
34.....	أولا/ تفسد القرآن بالقرآن
35.....	1/ الشق الأول: تفسد ا موضوع الواحد مع متفرقاته القرآن
38.....	2/ الشق الثا : تفسد السور بالوحدة ا موضوعية
41.....	ثانيا/ التعامل مع روايات الأخبار
41.....	1/ تأسيس العقيدة على اليق
43.....	2/ وجه الاعتبار من أخبار القرآن
43.....	3/ روايات الأخبار ا خالفة للشرع
48.....	4/ روايات الأخبار غ ا خالفة للشرع
51.....	ثالثا/ العقل والتأويل
51.....	1/ موقف الشيخ بيوض من تأويل ا تشابه
60.....	2/ موقف الشيخ بيوض من ا مسائل اُغنية عن العقل
65.....	نتائج الفصل الأول
66.....	الفصل الثا : منهج الشيخ بيوض في بيان وجود ا تعا
68.....	ا بحث الأول: معرفة ا تعا عند الشيخ بيوض
68.....	أولا/ انطلاق العقل من معرفة ا تعا
73.....	ثانيا/ طريق ا عرفة با تعا
73.....	1/ النظر الاستدلا آيات ا طريق ا عرفة به
73.....	2/ مفهوم آيات ا
74.....	3/ مقاصد الشارع من توجيه العقول إ آياته الكون

74.....	ا قصد الأول: إقامة ا حة على العباد
76	ا قصد الثا : تقوية الإيمان وترسيخه القلب
76.....	ا قصد الثالث: دفع اؤمن إ طاعة ا والإخلاص له
77.....	4 / ل رأي الشيخ بيوض من آراء العلماء طريق اعرفة با
79.....	5 / موقف الشيخ بيوض من منهج ا تكلم معرفة ا
83.....	ا بحث الثا : الاستدلال على وجود ا تعا عند الشيخ بيوض
83.....	هـ - د -
84.....	أولا/ الاستدلال بأدلة الآفاق.....
84.....	1 / دليل ا لمق.....
84.....	أ) آية خلق السماوات والأرض وإنزال اء.....
85.....	ب) آية خلق اخلوقات، هدايتها.....
86.....	ج) ب صنع ا تعا وصنع الإنسان.....
87.....	2 / دليل النظام.....
88.....	أ) مظهر النظام سنة الأجل الكونية.....
89.....	ب) مظهر النظام اسك الأشياء "قانون ا اذبية".....
90.....	ج) مظهر النظام اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما.....
92.....	3 / دليل العناية.....
93.....	مظاهر العناية الإية بالإنسان.....
96.....	ثانيا/ الاستدلال بأدلة الأنفس.....
97.....	الدليل الأول: أصل خلق الإنسان.....
98.....	الدليل الثا : مراحل خلق الإنسان.....
101.....	الدليل الثالث: تركيب جسم الإنسان.....
102.....	النموذج الأول: جهاز السمع.....
103.....	النموذج الثا : جهاز البصر.....
103.....	النموذج الثالث: اختلاف الأصوات ب الناس.....
108.....	نتائج الفصل الثا
110.....	الفصل الثالث: منهج الشيخ بيوض بيان وحدانية ا تعا

112.....	هـ - د
113.....	أ بحث الأول: حقيقة الوجدانية وأركانها عند الشيخ بيوض
113.....	أولا/ حقيقة الوجدانية.....
114.....	ثانيا/ أركان الوجدانية.....
114.....	1/ وجدانية الذات.....
115.....	2/ وجدانية الصفات.....
116.....	3/ وجدانية الأفعال.....
116.....	أ مسألة الأو : السببية الطبيعية.....
118.....	أ مسألة الثانية: الشرور الكونية.....
121.....	4/ وجدانية أ كم.....
121.....	أ مسألة الأو : حقيقة وجدانية أ كم ووجوب الإيمان بأ.....
123.....	أ مسألة الثانية: دواعي توحيد أ حكمه وشرعه.....
128.....	5/ وجدانية أ عبودية.....
133.....	أ بحث الثا : حقيقة الشرك وأقسامه عند الشيخ بيوض
133.....	أولا/ حقيقة الشرك.....
133.....	1/ أ فهم العام للشرك.....
133.....	تعريف الشرك لغة.....
134.....	تعريف الشرك شرعا.....
135.....	2/ مفهوم الشرك عند الشيخ بيوض.....
136.....	ثانيا/ أقسام الشرك وصوره.....
138.....	القسم الأول: شرك أ حود (الإلحاد).....
144.....	القسم الثا : شرك التسوية.....
146.....	1/ عبادة الأصنام.....
149.....	2/ عبادة القباب والقبور والأضرحة.....
159.....	3/ الذبح والنذر لغ أ.....
162.....	أ بحث الثالث: آثار الإيمان بالوجدانية عند الشيخ بيوض

163.....	1 / الاستعداد لقبول التكاليف الشرعية.
164.....	2 / الأمن النفسي والطمأنينة القلبية.
164.....	3 / الشعور بالعزة والكرامة.
165.....	4 / النجاة والنجاح.
166.....	5 / الثبات والاستقرار.
168.....	نتائج الفصل الثالث.
170.....	الفصل الرابع: منهج الشيخ بيوض بيان صفات ا تعا
173.....	هيد: الصفات وأقسامها.
175.....	أولا/ مفهوم الصفات الذاتية.
175.....	ثانيا/ مفهوم الصفات الفعلية.
176.....	ا بحث الأول: الصفات الذاتية.
176.....	أولا/ صفة العلم.
176.....	1 / العلم الإلهي ومتعلقاته.
177.....	2 / ا قصد العملي من ذكر صفة العلم.
178.....	3 / علم ا والفعل الإنساني.
181.....	ثانيا/ صفة القدرة.
181.....	1 / القدرة الإلهية ومتعلقاتها.
182.....	2 / القدرة الإلهية وشواهدا.
183.....	أ) من شواهد القدرة الأنفس.
184.....	ب) من شواهد القدرة تاريخ الأنبياء.
185.....	ج) من شواهد القدرة الأخبار الإلهية الغيبية.
187.....	ثالثا/ صفة الإرادة.
187.....	1 / حقيقة الإرادة ومتعلقاتها.
188.....	2 / صفة الإرادة أو ا شئها وبعدها التربوي.
190.....	ا بحث الثا : الصفات الفعلية
190.....	أولا/ صفة الرزق.

190.....	1/ أوجه رزق ا لقه
192.....	2/ ا كمة من وصف ا تعا نفسه بأنه "خ الرازو "
193.....	3/ سر تقسيم الأرزاق ب العباد
194.....	ثانيا/ صفة الر ة.....
195.....	1/ الر ة العامة للخلق أ ع
195.....	2/ الر ة ا اصة باؤمذ
197.....	3/ ر ة العفو عن ا قصرين وا ذنب
199.....	أ/ مرحلة الإمهال وعدم تعجيل العذاب
201.....	ب/ مرحلة التوبة عن التائب
202.....	ا بحث الثالث: الصفات ا تشابه
202.....	أولا/ ثبوت الصفات ا تشابه وا لاف فهمها
202.....	1/ وجهة التفويض
203.....	2/ وجهة التأويل
203.....	ثانيا/ موقف الشيخ بيوض من الصفات ا تشابه
205.....	ثالثا/ اذج من تفسد الشيخ بيوض لآيات الصفات
205.....	1/ صفة النفس
206.....	2/ صفة الع
206.....	3/ صفة الوجه
207.....	4/ صفات: اليد والقبضة واليم
207.....	5/ صفة العرش والاستواء عليه
213.....	6/ صفة رؤية اؤمذ تعا
215.....	ا بحث الرابع: منهج الشيخ بيوض عرض الصفات
215.....	أولا/ تناسب الصفات أائها مع مدارك العقول
218.....	ثانيا/ تناسب الصفات مع سياقها القرآ
219.....	ثالثا/ تناسب الصفات مع لميات الكونية

221.....	رابعاً/ أثر الإيمان بالصفات
225.....	نتائج الفصل الرابع
227.....	خاتمة البحث
231.....	الفهارس العامة
232.....	فهرس الآيات القرآنية
245.....	فهرس الأحاديث النبوية
246.....	فهرس المصادر والمراجع
252.....	فهرس التوثيق